

هَذَا نِتُ الْحَيَاتِي
فِي أَجُوبَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

هَذَا نَبِيُّ الْحَيَارَى

فِي أَجُوبَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

تَأَلَّفَ

الإمام العلامة

شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

(٦٩١ — ٧٥١)

تقديم وتحقيق وتعليق

الدكتور أحمد مجازي السقا

دار الريان للتراث

حقوق الطبع محفوظة

عنيت بطبعه

دار المطبوعات السلفية

٢١ شارع الفتح بالروضة — القاهرة • تليفون : ٨٤٠٣٦٤

ترجمة المؤلف

قال العلامة الحافظ عبدالرحمن بن رجب الحنبلى فى ختام كتابه طبقات الحنابلة: محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى، ثم الدمشقى الفقيه، الأصولى المفسر النحوى العارف، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، شيخنا.

ولد سنة ٦٩١ وسمع من الشهاب النابلسى العابد، والقاضى تقى الدين سليمان، وفاطمة بنت جوهر، وعيسى المطعم، وأبى بكر بن عبد الدائم وجماعة، وتفقه فى المذهب وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقى الدين وأخذ عنه، وتفنن فى علوم الإسلام، وكان عارفا بالتفسير لا يجازى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيها المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق فى ذلك، وبالفقه وأصوله والعربية، وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام وغير ذلك، وعالما بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم، له فى كل من هذه الفنون اليد الطولى.

قال الذهبى فى المختصر: عنى بالحديث ومتونه ورجاله. وكان يشتغل فى الفقه ويجيد تقريره، وفى النحو ويدريه، وفى الأصولين، قد حبس مدة لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل، وتصدر للاشتغال ونشر العلم.

قلت: وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشغف بالحبّة والإنابة والافتقار إلى الله تعالى، والانكسار والانطراح بين يديه على عتبة عبوديته لم أشاهد مثله

فى ذلك ولا رأيت أوسع منه علما، ولا أعرف بمعانى القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أر فى معناه مثله .
وقد امتحن وأوذى مرات، وحبس مع الشيخ تقى الدين بن تيمية فى المدة الأخيرة بالقلعة منفردا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ . وكان فى مدة حبسه مشغلا بتلاوة القرآن وبالتدبر والتفكر، ففتح الله عليه من ذلك خيراً كثيراً، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجهيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام فى علوم أهل المعارف والدخول فى غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحجج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه، ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصديته النونية الطويلة فى السُّنة، وأشياء من تصانيفه وغيرها .

وأخذ عنه العلم خلق كثير فى حياة شيخه وإلى أن مات، وانتفعوا به، وكان الفضلاء يعظمونه ويسلمون له، كابن عبد الهادى وغيره .
وقال القاضى برهان الدين الزرعى عنه : ماتحت أديم السماء أوسع علما منه . ودرس بالصدرية . وأم بالجوزية (١) مدة طويلة، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة، وصنف تصانيف كثيرة جداً فى أنواع العلم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعة وتصنيفه واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لا يحصل لغيره . فن تصانيفه : «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»، «أعلام الموقعين عن رب العالمين»، «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»، «بدائع الفوائد»، «التبيان فى أقسام القرآن»، «تحفة المودود بأحكام المولود» (٢)،

(١) الجوزية مدرسة كان أبوه قياً عليها ومديراً لشؤونها ولذلك سُمى المؤلف ابن قيم الجوزية أو ابن القيم .

(٢) وقد بسر الله لنا طبعه فى مصر بالمكتبة القيعة .

«جلاء الأفهام فى الصلاة على خير الأنام»، «الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى»، «حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح»، «الروح»، «زاد المعاد فى هدى خير العباد»، «شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، «الطرق الحكيمية فى السياسة الشرعية»، «طريق المهجرتين وباب السعادتين»، «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، «الفوائد»، «الوابل الصيب من الكلم الطيب»، «مدارج السالكين»، «مفتاح دار السعادة»، «هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى».

وله رحمه الله تصانيف غير هذه لا تحصر كثرة، وإنما ذكرنا هنا أهمها وأشهرها.. وكل تصانيفه مرغوب فيها من جميع الطوائف.

قال ابن رجب: توفى رحمه الله وقت العشاء ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة ٧٥٢، وصلى عليه من الغد عقيب الظهر بجامع جراح. ودفن بمقبرة الباب الصغير. وشيعه خلق كثير، ورؤيت له منامات كثيرة حسنة رضى الله عنه. وقد رأى قبل موته شيخه الشيخ تقى الدين رحمه الله فى المنام وسأله عن منزلته، فأشار إلى علوه فوق بعض الأكابر، وقال له: وأنت كدت تلحق بنا، لكن أنت الآن فى طبقة ابن خزيمة رحمه الله.

انتهى ما ترجم به الشيخ الحافظ عبد الرحمن بن رجب لشيخه العلامة المحقق ابن القيم رحمهم الله أجمعين، ورضى عنا باتباعهم والاهتداء بهديهم، وصلى الله على أفضل الخلق، وأشرف الأنبياء وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم هذا الكتاب : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ..
مؤلف هذا الكتاب : الإمام الجليل العلامة المجتهد ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعى الدمشقى المولود سنة إحدى وتسعين وستمائة ، والمتوفى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة من الهجرة .

موضوع الكتاب : علم مقارنة الأديان .

سبب تأليف الكتاب : يقول ابن قيم الجوزية — رحمه الله تعالى — فى مقدمة الكتاب : « ومن بعض حقوق الله على عبده ، رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه بالحجة والبيان ، والسيف والسنان ، والقلب والجنان ، وليس وراء ذلك حجة خردل من الإيمان .. »

وكان انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين فلم يصادف عنده ما يشفيه ، ولا وقع دواؤه على الداء الذى فيه . وظن المسلم أنه بإجابته القاصرة أصاب . فقال : هذا هو الجواب فقال الكافر : صدق أصحابنا فى قولهم : إن دين الإسلام إنما قام بالسيف . لا بالكتاب . فتفرقا . وهذا ضارب . وهذا مضروب . وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب ، فشمر المجيب عن ساعد العزم ، ونهض على ساق الجدد ، وقام لله قيام مستعين به ، مفوض إليه ، متكلى عليه فى

موافقة مرضاته ، ولم يقل مقالة العجزة الجهاال : إن الكفار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدال ، وهذا فرار من الزحف ، وإخلاد إلى العجز والضعف .

وقد أمر الله بمجادلة الكفار بعد دعوتهم ، إقامة للحجة وإزاحة للعدر (لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) والسيف إنما جاء منفذا للحجة ، مقوما للمعاند ، وحدا للجاحد» أ. هـ .

الأسئلة التى وجهها السائل لمؤلف الكتاب :

السؤال الأول : « قد اشتهر عندكم بأن أهل الكتاب ما منعهم من الدخول فى الإسلام ، إلا الرياسة والمأكلة لا غير » ، ويقول السائل عن أمة اليهود ، وأمة النصارى : « إن هاتين الأمتين لا يحصى عددهم إلا الله كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم » أى أن الحق مع الأكثرية .

السؤال الثانى : « هب أنهم اختاروا الكفر لذلك ، فهلا اتبع الحق من لا رياسة له ، ولا مأكلة . إما اختيارا ، وإما قهرا ؟ » .

السؤال الثالث : « مشهور عندكم فى الكتاب والسنة : أن نبيكم كان مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، لكنهم محوه عنها لسبب الرياسة والمأكلة ، والعقل يستشكل ذلك . أفكلهم اتفقوا على محو اسمه من الكتب المنزلة من ربهم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ؟ هذا أمر يستشكله العقل أعظم من نفهم بألسنتهم ، لأنه يمكن الرجوع عما قالوا بألسنتهم ، والرجوع عما محو أبعد » .

السؤال الرابع : « إن قلت : إن عبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار ، وغيرهما شهدوا لنا بذلك من كتبهم فهلا أتى ابن سلام وأصحابه الذين أسلموا بالنسخ التى لهم كى تكون شاهدة علينا ؟ » .

السؤال الخامس : « إنكم نسبتم الأمتين العظيمتين المذكورتين إلى

اختيار الكفر على الإيمان، للغرض المذكور، فابن سلام وأصحابه أولى بذلك الغرض، لأنهم قليلون جدا، وأضداده كثيرون لا يحصيهم عدد».

السؤال السادس: «تدخل علينا الريبة من جهة عبد الله بن سلام وأصحابه، وهو أنكم قد بنيتم أكثر أساس شرائعكم في الحلال والحرام والأمر والنهي على أحاديث عوام من الصحابة الذين ليس لهم بحث في علم ولا دراسة ولا كتابة قبل مبعث نبيكم. فابن سلام هو وأصحابه أولى أن يؤخذ بأحاديثهم ورواياتهم، لأنهم كانوا أهل علم وبحث ودراسة وكتابة قبل مبعث نبيكم وبعده. ولا تراكم تروون عنهم من الحلال والحرام والأمر والنهي، إلا شيئا يسيرا جدا، وهو ضعيف عندكم».

السؤال السابع: نرى في دينكم أكثر الفواحش فيمن هو أعلم وأفقه في دينكم كالزنا واللواط والخيانة والحسد والبخل والغدر والتجبر والتكبر والخيلاء، وقلة الورع واليقين، وقلة الرحمة والمروعة والحمية، وكثرة الهلع، والشكالب على الدنيا، والكسل في الخيرات. وهذا الحال يكذب لسان المقال؟ أ. هـ.

عبارات من الكتاب:

في الإجابة عن السؤال الأول: يقول المؤلف رحمه الله تعالى: «لم يزل في الناس من يختار الباطل. ومنهم من يختاره جهلا، وتقليدا لمن يحسن الظن به، ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه. كبرا وعلوا، ومنهم من يختاره طمعا ورغبة في مأكل أو جاه أو رياسة، ومنهم من يختاره حسدا وبغيا، ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقا، ومنهم من يختاره خشية، ومنهم من يختاره راحة ودعة، فلم تنحصر أسباب اختيار الكفر في حب الرياسة والمأكلة» أ. هـ.

وفي الإجابة عن السؤال الثاني: يقول المؤلف رحمه الله تعالى: «فهذا ملك النصارى - النجاشى - قد صدق رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وآمن به ، واتبعه . وكم مثله ومن هو دونه ممن هداه الله من
النصارى قد دخل فى الدين . وهم أكثر بأضعاف مضاعفة ممن أقام على
النصرانية » أ. هـ .

وفى الإجابة عن السؤال الثالث : يقول المؤلف رحمه الله تعالى :
« إنه من الممتنع أن تخلو الكتب المتقدمة عن الإخبار بهذا الأمر العظيم
— ظهور محمد صلى الله عليه وسلم — الذى لم يطرق العالم من حين خلق
إلى قيام الساعة أمر أعظم منه ، ولا شأن أكبر منه ، فإنه قلب العالم ،
وطبق مشارق الأرض ومغاربها ، واستمر على العالم على تعاقب القرون ،
والى أن يرث الله الأرض ، ومن عليها . ومثل هذا النبأ العظيم لا بد أن
تتطابق الرسل على الإخبار به » أ. هـ .

وفى الإجابة عن السؤال الرابع : يقول المؤلف رحمه الله تعالى :
« إن شواهد النبوة وآياتها لا تنحصر فيما عند أهل الكتاب من نعت النبى
صلى الله عليه وسلم وصفته ، بل آياتها وشواهدا متنوعة متعددة جدا ،
ونعته وصفته فى الكتب المتقدمة فرد من أفرادها ، وجمهور أهل الأرض لم
يكن إسلامهم عن الشواهد والأخبار التى فى كتبهم ، وأكثرهم
لا يعلمونها . ولا سمعوا بها . بل أسلموا للشواهد التى عاينوها والآيات
التى شاهدوها ، وجاءت تلك الشواهد التى عند أهل الكتاب مقوية
عاضدة من باب تقوية البينة » أ. هـ .

وفى الإجابة عن السؤال الخامس : يقول المؤلف رحمه الله تعالى :
« إن عبد الله بن سلام — الحبر اليهودى الذى أسلم — وذويه ، كانوا
قليلين جدا ، وأضدادهم لا يحصون كثرة . ومعلوم أن الغرض الداعى
لموافقة الجمهور الذين لا يحصون كثرة ، وهم أولو القوة والشوكة أقوى من
الغرض الداعى لموافقة الأقلين المستضعفين » أ. هـ .

وفى الإجابة عن السؤال السادس : يقول المؤلف رحمه الله تعالى :
«إن قولكم : (إن المسلمين بنوا أساس دينهم على رواية عوام من الصحابة) من أعظم البهت وأفحش الكذب ، فانهم وإن كانوا أميين فنذ بعث الله فيهم رسوله ، زكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة ، وفضلهم فى العلم والعمل والهدى والمعارف الإلهية والعلوم النافعة المكملة للنفوس على جميع الأمم . فلم تبق أمة من الأمم تدانيهم فى فضلهم وعلومهم وأعمالهم ومعارفهم» أ. هـ .

وفى الإجابة عن السؤال السابع : يقول المؤلف رحمه الله تعالى :
«ماذا عن الرسل الكرام من معاصى أمهم وأتباعهم ؟ وهل يقدر ذلك شىء فى نبوتهم أو يغير وجه رسالتهم ؟ وهل سلم من الذنوب على اختلاف أنواعها وأجناسها إلا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ؟ ! وهل يجوز رد رسالتهم وتكذيبهم بمعضية بعض أتباعهم لهم ؟ ! وهل هذا إلا من أقبح التعنت ؟ ! وهو بمنزلة رجل مريض دعاه طبيب ناصح إلى سبب ينال به غاية عافيته فقال : لو كنت طبيباً لم يكن فلان وفلان وفلان مريضاً ! وهل يلزم الرسل أن يشفوا جميع المرضى بحيث لا يبقى فى العالم مريض ؟ !»

وفى دين اليهود : يقول المؤلف رحمه الله تعالى : «وما من جماعة منهم فى بلدة إلا إذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة يظهر لهم الخشونة فى دينه ، والمبالغة فى الاحتياط ، فإن كان من فقهاءهم شرع فى إنكار أشياء عليهم ، يوههم قلة دينهم وعلمهم ، وكلما شدد عليهم قالوا هذا هو العالم ، فأعلمهم أعظمهم تشديداً عليهم ، فتراه أول ما ينزل عليهم لا يأكل من أطعمتهم وذبائحهم ، ويتأمل سكينة الذباح ، ويشرع فى الإنكار عليه ببعض أمره ، ويقول : لا آكل إلا من ذبيحة يدي ، فتراهم معه فى عذاب ، ويقولون هذا عالم غريب قدم

علينا، فلا يزال ينكر عليهم الحلال ويشدد عليهم الآصار والأغلال، ويفتح لهم أبواب المكر والاحتيايل وكلما فعل هذا قالوا: هذا هو العالم الربانى والحكيم الفاضل» أ. هـ.

وفى دين النصارى: يقول المؤلف رحمه الله تعالى: «وليس عند النصارى على من زنا أو لاط أو سكر حد فى الدنيا أبدا ولا عذاب فى الآخرة، لأن القس والراهب يغفر لهم فكلما أذنب أحدهم ذنبا أهدي للقس هدية أو أعطاه درهما أو غيره ليغفر له به. وإذا زنت امرأة أحدهم بيتها عند القس ليطيها له فاذا إنصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيها قبل ذلك منها وتبرك به» أ. هـ.

ويقول المؤلف رحمه الله تعالى لليهود والنصارى اعترفوا بالجميل لأهل الإسلام.. يقول مانصه: «إنه لو لم يظهر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، لبطلت نبوة سائر الأنبياء، فظهور نبوته تصديق لنبواتهم، وشهادة لها بالصدق» أ. هـ.

ويقول المؤلف إن عقائد النصارى وشرعهم من المجامع وليس الدين من التوراة التى جاء المسيح مصدقا لها. يقول مانصه: «نذكر إسنادهم فى دينهم إلى أصحاب «المجامع» الذين كفر بعضهم بعضا، وتلقاهم أصول دينهم عنهم، ونحن نذكر الأمر كيف ابتدأ وتوسط وانتهى؟ حتى كأنك تراه عياناً أ. هـ. وينقل عن كتاب «نظم الجواهر» لسعيد بن بطريق وهو من نصارى الكاثوليك، ليس من الكتاب نفسه، بل نقلا من الجواب الصحيح للإمام العظيم أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى عليه.

ويبين المؤلف رحمه الله تعالى عظمة نور النبوة الخاتمة: فيقول: «إنه لا يمكن الإيمان بنبي من الأنبياء أصلا مع جحود نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه من جحد نبوته، فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحدا» أ. هـ.

جدل أهل الأديان :

إن الجدل غريزة من غرائز الإنسان ، كغريزة الأكل والشرب وغيرهما ، لأن من اللازم لحياة الإنسان أن يعرف ما ينفعه وما يضره ، ويتأكد مما يعرف ، وإذا عرف يريد أن يقنع غيره بما يعرف ليكون صديقا له ، إذا احتاج إليه وجده . ولئلا يستوحش من نفسه ويتهم عقله بالقصور ، إذا أحس أنه وحده على ما يعتقد . وحالة إذ يعرف ويعرف غيره ، يتولد الجدل والنقاش وكد الذهن للوصول إلى الهدف المنشود .

وقد ظهر جدال مع أتباع موسى عليه السلام ، ومع أتباع عيسى عليه السلام . ومع أتباع محمد صلى الله عليه وسلم . وظهر جدال بين اليهود والنصارى ، وبينهم وبين المسلمين . وسيظل الجدل بين الجميع إلى أن تقوم القيامة . سنة الله في خلقه . ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولأن ذلك لا بد وأن يكون ، أمر الله المسلمين بقوله : (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم)

ومن تتبع تاريخ الإسلام من يوم ظهوره إلى زمني هذا ، يجد جدلا قد وقع بين أهل الكتاب وبين المسلمين في معظم البلدان ، وفي كثير من السنين ، وأذكر شواهد يسيرة للبيان :

١ — ناظر (١) «ساويرس بن المقفع» بعض فلاسفة المسلمين زمن المعز لدين الله الفاطمي ، وقيد مناظرته في كتابه «المجالس» وقد دفع عن النصراني تهمة التبديل والتحريف في الانجيل بقوله : «ولنا عليهم حجة أخرى وهي : أن أصحابهم قد نقلوا أنهم فعلوا جميع ما قلناه . وأصحابنا نحن ، على كثرة اختلافهم وتعاديهم ما منهم أحد ادعى أن مخالفة وقعت ، ولا تحريفا جرى . وإلا فهو ذا آريوس ، وأوناميوس

(١) أنظر كتاب «مصباح العقل» تقديم وتحقيق الأب سمير خليل تأليف ساويرس بن المقفع — القرن العاشر الميلادي .

يقولان: «إن كلمة الله وروحه مخلوقان» فهل وجدتمونها ادعيا على مخالفيها أنهم غيروا أو بدلوا أو أفسدوا؟» ويرد عليه المسلم بقوله: إن محاورة آريوس وغيره كانت قبل التصديق على الكتب المقدسة في مجمع قرطاجنة.

٢- ناظر «ساويرس بن المقفع» يهوديا اسمه «موسى» بحضرة المعز لدين الله الفاطمي. ومن كلامه لليهودي: «ما أنا شهدت عليك يا يهودي بالجهل. بل نبي كبير جليل عند الله، شهد عليك بذلك. قال له اليهودي: ومن هو النبي؟ قال له: هو أشعيا الذي قال في أول سفره عن الله: عرف الثور قانيه، والحمار مذود سيده، وإسرائيل لم يعرفني» (أشعيا ١: ٣).

٣- ناظر الشيخ رحمت الله بن خليل الهندي القسيس بفندر في مدينة (أغره) الهدية واعترف بفندر بوجود التحريف في الانجيل وطبعت هذه المناظرة على هامش الطبقات القديمة لكتاب «إظهار الحق» ومن هذه الطبقات طبعة مصر سنة ١٣١٧هـ.

٤- ناظر المؤلف وهو بمصر أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة. وقد نقلها المؤلف في كتابه هذا «هداية الحيارى...».

٥- ناظر الإمام فخر الدين الرازي قسيسا في مدينة (خوارزم) وذكرها في تفسيره.

ومما تقدم يفهم: أن الحوار بين اليهودية والنصرانية والإسلام ركن من أركان الحياة الاجتماعية الشرقية، فلا يحق لإنسان أن يعترض عليه، وكيف يعترض أحد على غريزة ثابتة في الإنسان «وكان الإنسان أكثر شيء جدلا»؟

إن المؤلف رحمه الله تعالى قد أحسن القول في المقارنة بين اليهودية والنصرانية والإسلام في إثبات صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وإعجاز القرآن الكريم، وجادل جدالا حسنا، يستفيد منه كل محب للحق، وكل كاره للباطل.

علمنا في هذا الكتاب: نصوص القرآن والتوراة والانجيل، التي ذكرها المؤلف في الكتاب، بينت في التعليقات، بالنسبة للقرآن الكريم: اسم السورة ورقم الآية، وبالنسبة للتوراة والانجيل: اسم السفر ورقم الأصحاح ورقم الآية.

وواضح من عبارات المؤلف أنه ينقل نصوص التوراة والانجيل من الكتب الإسلامية التي كتبت في الموضوعات التي كتب هو فيها. فراجعت كل نص ذكره عن التوراة والانجيل، ونسبت كل نص إلى كتابه. ووضعت تعليقات على أهم أفكار الكتاب. هذا وأسأل الله أن يوفقنا لخدمة العلم والدين..

الدكتور محمد بن محمد أبو شعبة

الحائز على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين

جامعة الأزهر

في موضوع البشارة بنبى الإسلام في التوراة والانجيل

تلميذ الأستاذ الدكتور الشيخ

محمد بن محمد أبو شعبة

القاهرة في ١٩ - ٢ - ١٣٩٩ هـ

٢٨ - ٢ - ١٩٧٩ م

هَدَايَةُ الْحَيَّارِ فِي أَجُوبَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

تأليف

الإمام العلامة

شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١)



الصفحة الأولى حجم الثلاثين من المخطوطة رقم ٣٠١ رمز (٢) التي طبع الكتاب عليها مقارنا بالنسخة
لتر المخطوطة رقم ٢١٣٦٩ رمز (ب) في دار الكتب المصرية.

احواله قال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاه فيها
 مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كان كوكب دري توفد من شجرة
 مباركة زيتونه لا يشوفه ولا يلام فيه نوره بغير حساب ولما تم حسنة نادى
 نور على نور فهدى الله نوره من يشاء يضرب الله الامثال للذين آمنوا بكل
 شيء علم ثم ذكر حال الكفار واعمالهم وتبعهم في الضلالة فقال والذين
 كفروا اعمالهم كسراب يعيقه يحسبه الغرابة ما هي اذا بان لم تجد به
 شيئا وجد الله عبده فوفاء حسابه والله سريع الحساب اذ كلفنا
 في بحر لحي نضياء موج من فرقة موج من نوره محاب ظلمنا
 بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يعمل
 الله له نور فاحاله من نور ثم الكتاب بسبب حمد الله تعالى
 دعونه ولطفه وكرمه وحسن توفيقه
 وهو حسنا وبنو الوكيل
 وصلى الله على سيدنا
 محمد وآله وصحبه
 اجمعين
 امين

وانغذرت بنا اساجده وما لك مصطفى اذ قد بين المرحوم الامير الامير محمد
 كاشف قلوب الدير والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات وتلك من طالع
 رواديرهم من المسلمين حتى ترث الارض ومن عليا وات غدا الارض بين المسلمين
 وبنو ارضه مائة ست وثلاثين ودرجته ثمانية البياض ورفقته ثم على غير

الصفحة الأخيرة من مخطوطة هداية الحيارى لابن القيم الجوزية بحجم المخطوط كله .

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذى رضى لنا الإسلام ديناً، ونصب لنا الدلالة على صحته برهاناً مبيناً، وأوضح السبيل إلى معرفته واعتقاده حقاً يقيناً، ووعد من قام بأحكامه وحفظ حدوده أجراً جسيماً، وذخر لمن وافاه به ثواباً جزيلاً وفوزاً عظيماً، وفرض الانقياد له ولأحكامه، والتمسك بدعائه وأركانه، والاعتصام بعراه وأسبابه، فهو دينه الذى ارتضاه لنفسه ولأنبيائه ورسله وملائكة قدسه، فبه اهتدى المهتدون وإليه دعا الأنبياء والمرسلون. ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَكَمْ أَاسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (١)، فلا يقبل من أحد ديناً سواه من الأولين والآخرين (٢) ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣).

(١) آل عمران الآية الثالثة والثمانون.

(٢) قول المؤلف «فلا يقبل من أحد ديناً سواه من الأولين والآخرين» أى سوى دين الإسلام: معناه: أن الإسلام يعنى استسلام الإنسان لشرع الله كما يستسلم المأسور فى يد الأسر. والإسلام بهذا المعنى جاء به كل نبي. ويتفق الأنبياء جميعاً فى معنى الإسلام على ثلاثة أمور: ١- إيمان بالله وحده ٢- وإيمان بيوم القيامة ٣- وعمل الناس بشرع ينزل من السماء. فالإيمان بالله وبيوم القيامة دعا اليهما كل نبي. والعمل بالشرع هو الذى يختلف مع الأنبياء فشرعة نوح غير شرعة موسى والشرعتان غير شرعة محمد نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم. والله تعالى قبل إسلام الأولين بحسب شرائع أنبيائهم. ويقبل إسلام الآخرين بحسب شرعة محمد نبي الإسلام. وأى امرئ لا يدخل فى دين محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما يتبين له الحق لن يدخل الجنة.

(٣) آل عمران الآية الخامسة والثمانون.

شهد بأنه دينه قبل شهادة الأنعام، وأشاد به ورفع ذكره وسمى به أهله وما اشتملت عليه الأرحام، فقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿٥﴾ . وجعل أهله هم الشهداء على الناس يوم يقوم الأشهاد، لما فضلهم به من الإصابة في القول والعمل والهدى والنية والاعتقاد، إذ كانوا أحق بذلك وأهله في سابق التقدير، فقال ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٥).

وحكم سبحانه بأنه أحسن الأديان، ولا أحسن من حكمه ولا أصدق منه قيلًا فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (٦).

وكيف لا يميز من له أدنى عقل يرجع إليه بين دين قام أساسه وارتفع بناؤه على عبادة الرحمن، والعمل بما يحبه ويرضاه مع الإخلاص في السر والإعلان، ومعاملة خلقه بما أمر به من العدل والإحسان، مع إيثار طاعته على طاعة الشيطان، وبين دين (٧) أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار بصاحبه في النار. أسس على عبادة النيران، وعقد الشركة بين الرحمن والشيطان، وبينه وبين الأوثان.

أو دين (٨) أسس بنيانه على عبادة الصلبان والصور المدهونة في

(٤) آل عمران الآية الثامنة عشر وما بعدها.

(٥) آخر سورة الحج.

(٦) النساء الآية الخامسة والعشرون بعد المائة.

(٧) يقصد المجوس.

(٨) يقصد النصارى.

السقوف والحيطان ، وأن رب العالمين (٩) نزل غن كرسى عظمتة فالتحم ببطن انثى وأقام هناك مدة من الزمان ، بين دم الطمث فى ظلمات الأحشاء تحت ملتقى الاعكان ، ثم خرج صبيّاً رضيعاً يشب شيئاً فشيئاً ويبكى ويأكل ويشرب ويبول وينام ويتقلب مع الصبيان ، ثم أودع فى المكتب (١٠) بين صبيان اليهود يتعلم ما ينبغى للإنسان ، هذا وقد قطعت منه القلفة حين الختان (١١) ، ثم جعل اليهود يطردونه ويشردونه من مكان إلى مكان ، ثم قبضوا عليه وأحلوه أصناف الذل والهوان ، فعقدوا على رأسه من الشوك تاجاً من أقبح التيجان ، وأركبوه قسبة ليس لها لجام ولا عنان ، ثم ساقوه إلى خشبة الصليب مصفوعاً مبصوقاً فى وجهه وهم خلفه وأمامه وعن شمائله وعن الأيمان ، ثم أركبوه ذلك المركب الذى تقشعر منه القلوب مع الأبدان ، ثم شددت بالحبال يداه ومع الرجلان ، ثم خالطهما تلك المسامير التى تكسر العظام وتمزق اللحمان وهو يستغيث : يا قوم ارحموني ! فلا يرحمه منهم إنسان (١٢) . هذا وهو مدبر العالم العلوى والسفلى الذى (يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن) (١٣) ، ثم مات ودفن فى التراب تحت صم الجنادل والبصون ، ثم قام من القبر وصعد إلى عرشه وملكه بعد أن كان ما كان .

(٩) يشير الى مذهب الآرثوذكس (الأقباط الآرثوذكس) الذين يزعمون أن الله — تعالى — تجسد بقوة الروح القدس فى بطن مريم وخرج فى شكل انسان هو يسوع المسيح أى أن الله هو المسيح ، والمسيح هو الله . وفى القرآن عنهم «لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم» .

(١٠) يشير الى أن المسيح وهو فى الثانية عشرة من عمره ذهب الى هيكल سليمان فى اورشليم (القدس) يسمع علماء اليهود ويسألهم (لوقا ٢ : ٤١ — ٤٨)

(١١) لوقا ٢ : ٢١

(١٢) انظر آخر كل آنجيل من الآناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

(١٣) اقتباس من سورة الرحمن الآية الثامنة والعشرون .

فما ظنك بفروع هذا أصلها الذى قام عليه البنيان ، أو دين أسس بنيانه على عبادة الإله المنحوت بالأيدى بعد نحت الأفكار من سائر أجناس الأرض على اختلاف الأنواع والأصناف والألوان ، والخضوع له والتذلل والخرور سجوداً على الأذقان ، لا يؤمن من يدين به بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه يوم يجزى المسيء بإساءته والمحسن بالإحسان ؟

أو دين الأمة الغضبية (١٤) الذين انسلخوا من رضوان الله كانسلاخ الحية من قشرها ، وباءوا بالغضب والحزى والهوان ، وفارقوا أحكام التوراة ونبذوها وراء ظهورهم واشتروا بها القليل من الأثمان ، فترحل عنهم التوفيق وقارنهم الخذلان واستبدلوا بولاية الله وملائكته ورسله وأوليائه ولاية الشيطان ؟ .

أو دين (١٥) أسس بنيانه على أن رب العالمين وجود مطلق فى الأذهان ، لا حقيقة له فى الأعيان ، ليس بداخل فى العالم ولا خارج عنه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، ولا محايث ولا مباين له ، لا يسمع ، ولا يرى ، ولا يعلم شيئاً من الموجودات ولا يفعل ما يشاء ، لا حياة له ، ولا قدرة ، ولا إرادة ، ولا اختيار ، ولم يخلق السموات والأرض فى ستة أيام بل لم تزل السموات والأرض معه وجودها مقارن لوجوده ، لم يحدثها بعد عدمها ولا له قدرة على إفنائها بعد وجودها ، ما أنزل على بشر كتاباً ، ولا أرسل إلى الناس رسولا ، فلا شرع يتبع ، ولا رسول يطاع ، ولا دار بعد هذه الدار ، ولا مبدأ للعالم ولا معاد ، ولا بعث ولا نشور ، ولا جنه ولا نار ، إن هى إلا تسعة أفلاك وعشرة عقول ، وأربعة أركان وأفلاك تدور ، ونجوم تسير ، وأرحام تدفع ، وأرض تبلع و(ماهى إلا حياتنا

(١٤) يقصد اليهود .

(١٥) يقصد منكبرى الأديان .

الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا
يظنون) (١٦)؟

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد له ولا ند له ،
ولا صاحبة له ولا ولد له ، ولا كفؤ له ، تعالى عن إفك المبطلين ، وخرص
الكاذبين ، وتقديس عن شرك المشركين ، وأباطيل الملحدين . كذب
العادلون به سواه (١٧) وضلوا ضلالاً بعيداً . وخسروا خسراناً مبيناً (ما
اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلى
بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما
يشركون) (١٨) .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه وخيرته من بريته .
وأمينه على وحده ، وسفيره بينه وبين عباده . ابتعثه بخير ملة وأحسن
شرعة ، وأظهر دلالة وأوضح حجة ، وأبين برهان إلى جميع العالمين إنسهم
وجنهم عربهم وعجمهم حاضرهم وباديهم ، الذى بشرت به الكتب
السالفة ، والأبم الخالية ، ضربت لنبوته البشائر من عهد آدم أبى البشر (١٩) ،

(١٦) سورة الجاثية الآية الرابعة والعشرون .

(١٧) أى ، كذب من يتركوا الله إلى غيره .

(١٨) سورة (المؤمنون) الآية الحادية والتسعون والثانية والتسعون .

(١٩) النبوءات الصريحة عن محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة تبدأ من عهد
ابراهيم عليه السلام فقد قال الله له عن اسماعيل الذى سيأتى من ذريته رسول الله محمد
صلى الله عليه وسلم «وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه . وأثمره . وأكثره
كثيراً جداً . اثنى عشر رئيساً يلد . وأجعله أمة كبيرة» (تكوين ١٧ : ٢٠)

قوله «كثيراً جداً» فى اللغة العبرانية . «بماد ماد» وقوله «أمة كبيرة» فى اللغة العبرانية
«لجوى جدول» وكل قول يشير الى اسم «محمد» بحساب الجمل — وسيذكر المؤلف عن
«بماد ماد» فيما بعد — (انظر كتابنا : أقانيم النصارى) . واليهود لما صاغوا التوراة بأسلوبهم
— وكانوا قد عرفوا من عهد ابراهيم أن نبينا آت الى العالم قد نبه الله على مجيئه من قبل
مجيئه . ومن عادتهم المبالغة فى التعبير وتفخيم الأساليب — راعوا أن يكتبوا عن النبى المنتظر
بعبارات التعظيم . وأن يشيعوا أنه سيكون من بنى اسرائيل . كتبوا أنه مخلوق منذ الأزل .

إلى عهد المسيح ابن البشر، كلما قام رسول (٢٠) أخذ عليه الميثاق بالإيمان به والبشارة بنبوته حتى انتهت النبوة إلى كليم الرحمن، موسى بن عمران فأذّن بنبوته على رؤوس الأشهاد بين بنى إسرائيل معلناً بالأذان «جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران» (٢١).

إلى أن ظهر المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم فأذّن بنبوته أذاناً لم يؤذنه أحد مثله قبله، فقام فى بنى إسرائيل مقام الصادق الناصح وكانوا لا يحبون الناصحين فقال: (إني رسول الله إليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (٢٢) تالله لقد أذن المسيح أذاناً أسمع البادى والحاضر، فأجابه المؤمن المصدق وقامت حجة الله على الجاحد الكافر.

الله أكبر الله أكبر عما يقول فيه المبطلون ويصفه به الكاذبون، وينسبه إليه المفترون والجاحدون (٢٣)، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا

ومما كتبوا ما جاء فى المزمور الثانى «قال لى أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك ... الخ» وفى بعض التراجم «قبل كوكب المسيح فى ضياء القديسين خلقتك» ولما ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام راعى حُب اليهود للنبي المنتظر فتكلم عنه بنفس الأساليب التى يتكلمون بها عنه . ولكنه خالفهم وقال : إنه سيكون من بنى اسماعيل عليه السلام . ومن كلامه بنفس أساليبهم : أنه مكتوب على باب لا اله الا الله ومحمد رسول الله — كما ذكر برنابا .

(٢٠) يقصد من عهد ابراهيم .

(٢١) النص : «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء . وأشرق لهم من سعير . وتلألأ من جبل فران . وأتى من ربوات القدس . وعن يمينه نار شريعة لهم . فأجبت الشعب . جميع قديسيه فى يدك . وهم جالسون عند قدمك . يتقبلون من أقوالك» (تشية ٣٣: ١-٣)

(٢٢) سورة الصف الآية السادسة .

(٢٣) يقصد أن المسيح برىء مما عليه اليهود الآن والنصارى .

الله وحده لا شريك له ، ولاند له ولا كفاء له ، ولا صحابة له ولا ولد له ، بل هو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (٢٤) ، ثم رفع صوته بالشهادة لأخيه (٢٥) وأولى الناس به بأنه عبد الله ورسوله ، وأنه أركون العالم (٢٦) ، وأنه «روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول ما يقال له وأنه يخبر الناس بكل ما أعد الله لهم ، ويسوسهم بالحق ، ويخبرهم بالغيوب ويحييهم بالتأويل ، ويوبخ العالم على الخطيئة ، ويخلصهم من يد الشيطان ، وتستمر شريعته وسلطانه إلى آخر الدهر» ، وصرح فى أذانه باسمه ونعته وصفته وسيرته حتى كأنهم ينظرون إليه عياناً ، ثم قال حى على الصلاة خلف إمام المرسلين وسيد ولد آدم اجمعين ، حى على الفلاح باتباع من السعادة فى اتباعه ، والفلاح فى الدخول فى زمرة أشياعه ، فأذن وأقام ونولى وقال : (لست أدعكم كالأيتام ، وسأعود وأصلى وراء هذا الإمام ، هذا عهدى إليكم إن حفظتموه دام لكم الملك إلى آخر الأيام) (٢٧) فصلى الله عليه من

(٢٤) يقصد أن المسيح دعا الى وحدانية الله وأنه منزه عن الشبيه . وأنه يتصف بصفات الكمال . ويتنزه عن صفات النقص .

(٢٥) المراد بأخيه : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢٦) «أنه أركون العالم» أى رئيس العالم . والمسيح لما تحدث عن نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم فى انجيل يوحنا قال بما قال «وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين» يقصد أن الشيطان الذى هو رئيس العالم فى الشر والضلال ستفضحه دعوة الاسلام ، وستصبح الحجة بالنبي ظاهرة عليه وعلى أتباعه . ففهم المؤلف — خطأ — أن أركون العالم ليس الشيطان بل نبي الاسلام (انظر تفاسير النصارى فى الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا) وسيأتى لنا زيادة بيان .

(٢٧) عبارة المؤلف : لست أدعوكم كالأيتام ... الخ يشير بها الى قوله المسيح عن نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم «ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا اطلب من الآب فيعطىكم معزىا آخر ليمكث معكم الى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكنث معكم ويكون فيكم . لا أترككم يتامى . انى آتى اليكم ... الخ » (يوحنا ١٤ : ١٥ —)

ناصح بشر برسالة أخيه عليها أفضل الصلاة والسلام، وصدق به أخوه ونزّهه عما قال فيه وفي أمه أعداؤه المغضوب عليهم من الإفك والباطل وزور الكلام، كما نزّه ربه وخالفه ومرسله عما قال فيه المثلثة عباد الصليب، ونسبوه إليه من النقص والعيب والذم (٢٨).

(٢٨) يقصد أن القرآن الكريم نطق ببراءة مريم رضى الله عنها من افتراءات اليهود عليها بالزنا ونطق بأن المسيح عبد الله ورسوله وأنه من الوجهاء في الدنيا والآخرة ومن المقربين لله.

(أما بعد)

فإن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره جعل الإسلام عصمة لمن لجأ إليه ، وجنة لمن استمسك به وعرض بالنواجذ عليه ، فهو حرمة الذى من دخله كان من الآمنين ، وحصنه الذى من لجأ إليه كان من الفائزين ، ومن انقطع دونه كان من الهالكين .

وأبى أن يقبل من أحد ديناً سواه ، ولو بذل فى المسير إليه جهده واستفرغ قواه ، فأظهره على الدين كله حتى طبق مشارق الأرض ومغاربها ، وسار مسير الشمس فى الأقطار ، وبلغ إلى حيث انتهى الليل والنهار ، وعلت الدعوة الإسلامية وارتفعت غاية الإرتفاع والاعتلاء ، بحيث صار «أصلها ثابت وفروعها فى السماء» فتضاءلت لها جميع الأديان ، وجرت تحتها الأمم منقادة بالخضوع والذل والإذعان ، ونادى المنادى بشعارها فى جو السماء بين الخافقين : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صارخاً بالشهادتين ، حتى بطلت دعوة الشيطان ، وتلاشت عبادة الأوثان ، واضمحلت عبادة النيران ، وذل المثلة عباد الصلبان ، وتقطعت الأمة الغضبية فى الأرض كتقطع السراب فى القيعان ، وصارت كلمة الإسلام العليا ، وصار له فى قلوب الخلائق المثل الأعلى ، وقامت براهينه وحججه على سائر الأمم فى الآخرة والأولى ، وبلغت منزلته فى العلى والرفعة الغاية القصوى وأقام لدولته ومصطفيه أعواناً وأنصاراً نشروا ألويته وأعلامه ، وحفظوا من التغيير والتبديل حدوده وأحكامه ، وبلغوا إلى نظرائهم كما بلغ إليهم من قبلهم ، حلاله وحرامه ، فعظموا شعائره ، وعلموا شرائعه ، وجاهدوا أعداءه بالحجة والبيان حتى ﴿ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُرْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ

يَوْمَ الْكُفَّارِ ﴿٢٩﴾ ، وعلا بنيانه المؤسس على تقوى من الله ورضوان إذ كان بناء غيره مؤسساً على شفا جرف هار.

فتبارك الذي رفع منزلته وأعلى كلمته وفخم شأنه وأشاد بنيانه وأذل مخالفه ومعانديه، وكبت من يبغضه ويعاديه، ووسمهم بأنهم شر الدواب وأعد لهم إذا قدموا عليه اليم العقاب، وحكم لهم بأنهم أضل سبيلاً من الأنعام، إذ استبدلوا الشرك بالتوحيد والضلال بالهدى والكفر بالإسلام، وحكم سبحانه لعلماء الكفر وعباده حكماً يشهد ذوو العقول بصحته ويروونه شيئاً حسناً، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايِنَةِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَخَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿٣٠﴾ .

فأين يذهب من تولى عن توحيد ربه وطاعته، ولم يرفع رأساً بأمره ودعوته، وكذب رسوله وأعرض عن متابعتة، وحاد عن شريعته، ورغب عن ملته واتبع غير سنته، ولم يستمسك بعهده، ومكّن الجهل من نفسه، والهوى والعناد من قلبه، والجحود والكفر من صدره، والعصيان والمخالفة من جوارحه؟ فقد قابل خبر الله بالكذب، وأمره بالعصيان، ونهيه بالارتكاب، يغضب الرب وهو راض، ويرضى وهو غضبان، يحب ما يبغض، ويبغض ما يحب، ويوالى من يعاديه، ويعادى من يواليه، يدعو إلى خلاف ما يرضى، وينهى عبداً إذا صلى قد ﴿اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ﴿٣١﴾ فأصممه وأبكمه وأعماه، فهو ميت الدارين، فاقد السعادتين، قد رضى بخزى الدنيا وعذاب الآخرة، وباع التجارة

(٢٩) سورة الفتح الآية التاسعة والعشرون .

(٣٠) سورة الكهف الآية الثالثة بعد المائة وما بعدها .

(٣١) سورة الجاثية الآية الثالثة والعشرون .

الرابحة بالصفقة الخاسرة فقلبه عن ربه مسدود، وسبيل الوصول إلى جنته ورضاه وقربه عنه مسدود، فهو ولى الشيطان وعدو الرحمن، وحليف الكفر والفسوق والعصيان.

رضى المسلمون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا، ورضى المخذول بالصليب والوثن إلهاً، وبالتثليث والكفر ديناً، وبسبيل الضلال والغضب سبيلاً، أعصى الناس للخالق الذى لا سعادة له إلا فى طاعته، وأطوعهم للمخلوق الذى ذهاب دنياه وأخراه فى طاعته، فاذا سئل فى قبره: «من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال: هاه، هاه، لا أدري. فيقال: لا دريت، ولا تليت، وعلى ذلك حييت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، ثم يصرم عليه قبره ناراً، ويضيق عليه كالزج فى الرمح إلى قيام الساعة.

وإذا بعث ما فى القبور وحصل ما فى الصدور، وقام الناس لرب العالمين ونادى المنادى ﴿وَأَمْتَنُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٣٢) ثم رفع لكل عابد معبوده الذى كان يعبدته ويهواه، وقال الرب تعالى وقد أنصت له الخلائق: أليس عدلاً منى أن أولى كل إنسان منكم ما كان فى الدنيا يتولاه؟ فهناك يعلم المشرك حقيقة ما كان عليه، ويتبين له سوء منقلبه وما صار إليه، ويعلم الكفار أنهم لم يكونوا أولياءه ﴿إِنْ أَوْلِيَاءُ هَؤُلَاءِ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ﴾ (٣٣)، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِرَّيَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتَرَدُونَ إِلَىٰ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٤).

ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان أهل الأرض صنفين: أهل الكتاب، وزنادقة لا كتاب لهم.

(٣٢) سورة ياسين الآية التاسعة والخمسون.

(٣٣) سورة الأنفال الرابعة والثلاثون.

(٣٤) سورة التوبة الآية الخامسة بعد المائة.

وكان أهل الكتاب أفضل الصنفين ، وهم نوعان : مغضوب عليهم وضالون .

فالنوع الأول : الأمة المغضبة وهي (٣٥) : « اليهود » أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل ، قتلة الأنبياء وأكلة السحت — وهو الربا والرشا — أحبث الأمم طوية ، وأرداهم سجية ، وأبعدهم من الرحمة ، وأقربهم من النقمة عادتهم البغضاء ، وديدنهم العداوة والشحناء ، بيت السحر والكذب والحيل ، لا يرون لمن خالفهم فى كفرهم وتكذيبهم من الأنبياء حرمة ، ولا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة ، ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة ، ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصفة ، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمانة ، ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة ، بل أخبرهم أعقلهم ، وأحذقهم أغشهم ، وسليم الناصية — وحاشاه أن يوجد بينهم — ليس يهودى على الحقيقة أضيق الخلق صدوراً ، وأظلمهم بيوتاً ، وأنتهم أفنية ، وأوحشهم سجية ، تحيتهم لعنة ولقاؤهم طيرة ، شعارهم الغضب ودثارهم المقت .

والنوع الثانى الأمة « المثلثة »^١ وهى « النصارى » أمة الضلال وعباد الصليب ، الذين سبوا الله الخالق مسبة ما سبه إياها أحد من البشر ، ولم يقرؤا بأنه الواحد الاحد الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، ولم يجعلوه أكبر من كل شىء ، بل قالوا فيه ما ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴾ (٣٦) ، فقل ماشئت فى طائفة أصل عقيدتها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ (٣٧) وأن مريم صاحبتة وأن المسيح ابنه ، وأنه نزل عن كرسى عظمتة والتحم ببطن الصاحبة ، وجرى له ماجرى إلى أن قتل ومات ودفن ، فدينها عبادة الصليبان ،

(٣٥) عبارة الأصل « فالأمة الغضبية هم اليهود » وعبارة الأصل عن النوع الثانى

« فصل والصنف الثانى المثلثة أمة الضلال ... الخ »

(٣٦) سورة مريم الآية التسعون . (٣٧) سورة المائدة الآية الثالثة والسبعون .

ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر والأصفر فى الحيطان ، يقولون فى دعائهم :
(يا والدة الإله ارزقينا ، واغفرى لنا وارحمنا) (٣٨) ، فدينهم شرب الخمر
وأكل الخنزير ، وترك الختان ، والتعبد بالنجاسات ، واستباحة كل خبيث
من الفيل إلى البعوضة (٣٩) ، والحلال ما حله القس ، والحرام
ما حرمه ، والدين ما شرعه ، وهو الذى يغفر لهم الذنوب ، وينجيهم من
عذاب السعير (٤٠) .

فهذا حال من له كتاب وأما من لا كتاب له : فهو بين عابد
أوثان ، وعابد نيران وعابد شيطان ، وصابىء حيران يجمعهم الشرك ،
وتكذيب الرسل ، وتعطيل الشرائع ، وإنكار المعاد وحشر الأجساد ،
لا يدينون للخالق بدين ، ولا يعبدونه مع العابدين ، ولا يوحّدونه مع
الموحدين .

قأمة «المجوس» (٤١) منهم تستفرش الأمهات والبنات والأنخوات ،
دع العمات والخالات ، دينهم الزمر ، وطعامهم الميتة ، وشرايهم الخمر ،
ومعبودهم النار ، ووليهم الشيطان ، فهم أخبر بنى آدم نحلة ، وأرداهم
مذهباً ، وأسوأهم اعتقاداً .

(٣٨) جميع النصارى يعظمون مريم العذراء . والكاثوليك يرتفعون بالتعظيم الى درجة
العبادة . وغيرهم الى أقل . مع التعظيم . ويعتبرها الأرثوذكس والكاثوليك : أم الإله . وهى
بهذا الاعتبار عندهم : اله لأنها الأصل
(٣٩) القديس بولس الذى حرف النصرانية هو الذى ألغى أحكام التوراة . وبين
للعنصارى : أن من آمن بالمسيح ربا مصلوباً دخل الجنة حتى ولو لم يعمل عملاً صالحاً .
(انظر رسالته الى أهل غلاطية) .

(٤٠) يقولون بذلك استناداً على قول المسيح لبطرس «فكل ما تربطه على الأرض
يكون مربوطاً فى السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً فى السموات» (متى
١٦: ١٩) مع أنه المسيح وبخ بطرس بعد هذا القول «وقال البطرس : أذهب يا شيطان .
أنت معثرة لى . لأنك لا تهتم بما لله . لكن بما للناس» (متى ٢٣: ١٦) .
(٤١) فى الأصل : وأمة المجوس .

وأمة «زنادقة الصابئة وملاحدة الفلاسفة» (٤٢) لا يؤمنون بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه، ولا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، وليس للعالم عندهم رب فعال بالاختيار لما يريد قادر على كل شيء، عالم بكل شيء، آمر، ناه، مرسل الرسل، ومنزل الكتب، مثير المحسن، ومعاقب المسيء، وليس عند نظارهم إلا تسعة أفلاك وعشرة عقول وأربعة أركان، وسلسلة ترتبت فيها الموجودات هي بسلسلة المجانين أشبه منها بمجوزات العقول .

(وبالجملّة)

فدين الحنيفية - وقتئذ - الذى لا دين لله غيره بين هذه الأديان الباطلة - التى لا دين فى الأرض غيرها - أخفى من السها تحت السحاب (٤٣) وقد نظر الله إلى أهل الأرض فقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، فأطلع الله شمس الرسالة فى حنادس تلك الظلم سراجاً منيراً، وأنعم بها على أهل الأرض نعمة لا يستطيعون لها شكورا، وأشرقت الأرض بنورها أكمل الإشراق، وفاض ذلك النوع حتى دعم النواحي والآفاق واتسق قر الهدى أتم الاتساق، وقام دين الله الحنيف على ساق .

فلله الحمد الذى أنقذنا بمحمد صلى الله عليه وسلم من تلك الظلمات، وفتح لنا به باب الهدى فلا يغلق إلى يوم الميقات، وأرانا فى نوره أهل الضلال وهم فى ضلالهم يتخبطون، وفى سكرتهم يعمهون وفى جهالتهم يتقلبون، وفى ريهم يترددون، يؤمنون ولكن بالجبوت والطاغوت يؤمنون ويعدلون ولكن برهم يعدلون، ويعلمون ولكن ظاهراً

(٤٢) فى الأصل. وأما زنادقة الصابئة وملاحدة الفلاسفة فلا ... الخ

(٤٣) فى، الأصل لا يوجد (وقتئذ) .

من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ويسجدون، ولكن للصليب والوثن والشمس يسجدون، ويمكرون وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٤٤)، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكَ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ * فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿٤٥﴾.

الحمد لله الذى أغنانا بشريعته التى تدعو إلى الحكمة والموعظة الحسنة، وتتضمن الأمر بالعدل والإحسان، والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا وآثرنا به على سائر الأمم، وإليه الرغبة أن يوزعنا شكر هذه النعمة، وأن يفتح لنا أبواب التوبة والمغفرة والرحمة، فأحب الوسائل إلى المحسن التوسل إليه بإحسانه والاعتراف له بأن الأمر كله محض فضله وامتنانه، فله علينا النعمة السابغة كما له علينا الحجة البالغة.

نبوء له بنعمه علينا، ونبوء بذنوبنا وخطايانا وجهلنا وظلمنا وإسرافنا فى أمرنا فهذه بضاعتنا التى لدينا لم تُبَقْ لنا نِعْمُهُ وحقوقها وذنوبنا حسنة (٤٦) نرجو بها الفوز بالثواب والتخلص من أليم العقاب، بل بعض ذلك يستنفد جميع حسناتنا، ويستوعب كل طاعتنا هذا لو خلصت من الشوائب، وكانت خالصة لوجهه واقعة على وفق أمره، وما هو والله إلا التعلق بأذيال عفوه وحسن الظن به، واللجأ منه إليه والاستعاذة به منه والاستكانة والتذلل بين يديه، ومد يد الفاقة والمسكنة إليه، بالسؤال

(٤٤) الآية الرابعة والستون بعد المائة من سورة آل عمران:

(٤٥) الآية الثانية والخمسون بعد المائة من سورة البقرة.

(٤٦) يقصد أن فضل الله يستحق من الانسان العمل الصالح الكثير الله مقابل

الفضل. فاذا اجتمع الفضل مع الذنوب كان اليئس لله على الانسان كثيرا. حتى أنه لا حسنة للانسان - لديه الكثير - يرجو بها الفوز بالثواب ... الخ.

والافتقار إليه فى جميع الأحوال فمن أصابته نفحة من نفحات رحمته أو وقعت عليه نظرة من نظرات رأفته انتعش من بين الأموات وأناخت بفنائيه وفود الخيرات، وترحلت عنه جيوش الهموم والغموم والحسرات..

وإذا نظراتك إلى نظرة راحم فى الدهر يوماً انى لسعيد
ومن بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسوله
ودينه ومجاهدتهم بالحجة والبيان، والسيف والسنان، والقلب والجنان،
وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان.

وكان انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض
المسلمين فلم يصادف عنده ما يشفيه، ولا وقع دواؤه على الداء الذى
فيه، وظن المسلم (٤٧) أنه بإجابته القاصرة أصاب. فقال: هذا هو
الجواب! فقال الكافر: صدق أصحابنا فى قولهم: إن دين الإسلام إنما
قام بالسيف لا بالكتاب.

فتفرقا وهذا ضارب وهذا مضروب (٤٨)، وضاعت الحجة بين
الطالب والمطلوب، فشمر المجيب عن ساعد العزم، ونهض على ساق الجد
وقام لله قيام مستعين به مفوض إليه متكمل عليه فى موافقة مرضاته، ولم
يقبل مقالة العجزة الجهال: إن الكفار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدال،
وهذا فرار من الزحف، وإخلاد إلى العجز والضعف.

وقد (٤٩) أمر الله بمجادلة الكفار بعد دعوتهم إقامة للحجة وإزاحة
للعذر ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (٥٠).

(٤٧) فى الأصل عبارة مهمة وهى: وظن المسلم أنه بضربه يداويه فسطابه ضرباً
وقال هذا هو الجواب.

(٤٨) أى أن السائل ضارب والمسلم الذى أجاب بغير علم يعتبر كالمضروب لأن
يجب جيداً.

(٤٩) فى الأصل: وقو أمر الله.

(٥٠) الآية الثانية والأربعون من سورة الانفال.

والسيف إنما جاء منفذا للحجة ، مقوماً للمعاند ، وحداً للجاحد ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٥١) .
فدين الإسلام قام بالكتاب الهادى ونفذه السيف الماضى .

فما هو إلا الوحى أُوْحِدَ مرهف يقيم ضُباؤه أخذعى كل مائل فهذا شفاء الداء من كل عاقل وهذا دواء الداء من كل جاهل وإلى الله الرغبة فى التوفيق ، فإنه الفاتح من الخير أبوابه والميسر له أسبابه وسميته (هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى) وضمنته أجوبة المسائل وتقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بجميع أنواع الدلائل (٥٢) ، فجاء بحمد الله ومنه وتوفيقه كتاباً ممتعاً معجباً ، لا يسأم قاريه ولا يمل الناظر فيه فهو كتاب يصلح للدنيا والآخرة ، ولزيادة الإيمان ، ولذة الإنسان .

يعطيك ما شئت من أعلام النبوة وبراهين الرسالة ، وبشارات الأنبياء بخاتمهم ، واستخراج اسمه الصريح من كتبهم ، وذكر نعتة وصفته وسيرته ، من كتبهم ، والتمييز بين صحيح الأديان وفاسدها وكيفية فسادها بعد استقامتها ، وجملة من فضائح أهل الكتابين وما هم عليه ، وأنهم أعظم الناس براءة من أنبيائهم ، وأن نصوص أنبيائهم تشهد بكفرهم وضلالهم ، وغير ذلك من نكت بديعة لا توجد فى سواه .

والله المستعان وعليه التكلان ، فهو حسبنا ونعم الوكيل .

(٥١) الآية الخامسة والعشرون من سورة الحديد .

(٥٢) فى الأصل : وقسمته قسمين القسم الاول فى أجوبة المسائل القسم الثانى فى تقرير ... الخ ولما كان ذلك يوهم تقسيم مضمون الكتاب مع أن المؤلف لم يقسم استحسنا ما كتبنا .

السؤال الأول

فنقول أما السؤال الأول وهو (١): قول السائل «قد اشتهر عندكم بأن أهل الكتاب (٢) ما منعهم من الدخول في الإسلام إلا الرياسة والمأكلة لا غير» .

فكلام جاهل بما عند المسلمين وبما عند الكفار، أما المسلمون فلم يقولوا إنه لم يمنع أهل الكتاب من الدخول في الإسلام إلا الرياسة والمأكلة لا غير، وإن قال هذا بعض عوامهم فلا يلزم جماعتهم، والممتنعون من الدخول في الإسلام من أهل الكتاب وغيرهم جزء يسير جداً بالإضافة إلى الداخلين فيه منهم، بل أكثر الأمم دخلوا في الإسلام طوعاً ورغبة واختياراً لا كرهاً ولا اضطراراً، فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا إلى أهل الأرض وهم «خمسة أصناف» قد طبقوا الأرض: يهود، ونصارى، ومجوس، وصابئة، ومشركون. وهذه الأصناف هي التي كانت قد استولت على الدنيا من مشارقها إلى مغاربها.

فأما «اليهود» فأكثر ما كانوا باليمن وخيبر والمدينة وما حولها، وكانوا بأطراف الشام مستنذلين مع النصارى، وكان منهم بأرض فارس فرقة

(١) في الأصل: (فنقول: أما المسألة الأولى وهي) وحيث وضعنا المسألة الأولى كفصل مستقل ناسب أن نكتب: أما (السؤال الأول) وهو. وانظر التعليق رقم سبعة .

(٢) في الأصل: الكتابين، والصحيح: الكتاب، لأن التوراة هي كتاب لليهود وللنصارى، فإن المسيح ما جاء لنسخ التوراة وما الانجيل الا البشرى المفرحة بمجيء نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم.

مستذلة مع المجوس وكان منهم بأرض العرب فرقة وأغزر ما كانوا بالمدينة وخير، وكان الله سبحانه قد قطعهم في الأرض أمماً وسلبهم الملك والعز.

وأما «النصارى» فكانوا طبق الأرض: فكانت الشام كلها نصارى، وأرض المغرب كان الغالب عليهم النصارى وكذلك أرض مصر والحبشة والنوبة والجزيرة والموصل وأرض نجران وغيرها من البلاد.

وأما «المجوس» فهم أهل مملكة فارس وما اتصل بها.

وأما «الصائبة» فأهل حران وكثير من بلاد الروم.

وأما «المشركون» فجزيرة العرب جميعها وبلاد الهند وبلاد الترك وما جاورها، وأديان أهل الأرض لا تخرج عن هذه الأديان الخمسة، وأهل الحنفاء لا يعرف فيهم البتة، وهذه الأديان الخمسة كلها للشيطان كما قال ابن عباس رضى الله عنها وغيره: «الاديان ستة واحد للرحمن وخمسة للشيطان». وهذه الأديان الستة مذكورة في آية الفصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِغِينَ وَالنَّصْرَانِ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٣)، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استجاب له وخلفائه بعده أكثر أهل الأديان طوعاً واختياراً، ولم يكره أحداً قط على الدين، وإنما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله، وأما من سألته وهادته فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالاً لأمر ربه سبحانه حيث يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٤) وهذا نفى في معنى النهى، أى لا تكرهوا أحداً على الدين، نزلت هذه الآية في رجال من الصحابة كان لهم أولاد قد تهودوا وتنصروا قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أسلم

(٣) سورة الحج الآية السابعة عشر.

(٤) سورة البقرة الآية السادسة والخمسون بعد المائتين.

الآباء وأرادوا إكراه الأولاد على الدين ، فنهاهم الله سبحانه عن ذلك حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الإسلام .

والصحيح أن الآية على عمومها في حق كل كافر، وهذا ظاهر على قول من يجوز أخذ الجزية من جميع الكفار^(٥) ، فلا يكرهون على الدخول في الدين ، بل إما أن يدخلوا في الدين وإما أن يعطوا الجزية كما يقوله أهل العراق وأهل المدينة ؛ وإن استثنى هؤلاء بعض عبدة الأوثان، ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تبين له أنه لم يكره أحداً على دينه قط ، وأنه إنما قاتل من قاتله .. وأما من هادنه فلم يقاتله مادام مقيماً على هدنته لم ينقض عهده بل أمره الله تعالى أن يفى لهم بعهدهم ما استقاموا له كما قال تعالى : ﴿ فَأَسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾^(٦) ولما قدم المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم ، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدأوه بالقتال قاتلهم ، فنزّل على بعضهم ، وأجلى بعضهم ، وقتل بعضهم وكذلك لما هادن قريشاً عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدأوه هم بقتاله ونقضوا عهده ، فعند ذلك غزاهم في ديارهم ، وكانوا هم يغزونهم قبل ذلك كما قصدوه يوم أحد ويوم الخندق ، ويوم بدر أيضاً هم جاءوا لقتاله ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم .

والمقصود : أنه صلى الله عليه وسلم لم يكره أحداً على الدخول في دينه البتة ، وإنما دخل الناس في دينه اختياراً وطوعاً ، فأكثر أهل الأرض دخلوا في دعوته لما تبين لهم الهدى وأنه رسول الله حقاً . فهؤلاء أهل

(٥) صرح القرآن الكريم بأن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب فقط اليهود والنصارى إذا سالموا لأنهم لا يدخلون في الإسلام أنفة وكبراً . يقولون : كيف نخضع لنبي من نسل جارية ونحن من نسل سارة الحرة زوجة إبراهيم ؟ فلكي يعاملهم الله بضد الأنفة والكبر فرض عليهم الجزية ليكونوا خاضعين للمسلمين (انظر الآية الثامنة والعشرين من سورة التوبة) أما الكفار فلا جزية عليهم إذا سالموا (انظر الآية التسعين من سورة النساء) .

(٦) سورة التوبة الآية السابعة .

اليمن كانوا على دين اليهودية أو أكثرهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتى قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله» وذكر الحديث، ثم دخلوا فى الإسلام من غير رغبة ولا رهبة، وكذلك من أسلم من يهود المدينة وهم جماعة كثيرون غير عبد الله بن سلام المذكورون فى كتب السير والمغازى لم يسلموا رغبة فى الدنيا ولا رهبة من السيف بل أسلموا فى حال حاجة المسلمين وكثرة أعدائهم ومحاربة أهل الأرض لهم من غير سوط ولا نوط، بل تحملوا معاداة أقربائهم وحرمانهم نفعتهم بالمال والبدن مع ضعف شوكة المسلمين وقلة ذات أيديهم.

فكان أحدهم يعادى أباه وأمه وأهل بيته وعشيرته، ويخرج من الدنيا رغبة فى الإسلام لا لرياسة ولا مال، بل ينخلع من الرياسة والمال ويتحمل أذى الكفار من ضربهم وشتيمهم وصنوف أذاهم ولا يصرفه ذلك عن دينه. فإن كان كثير من الأخبار والرهبان والقسيسين ومن ذكره هذا السائل قد اختاروا الكفر فقد أسلم جمهور أهل الأرض من فرق الكفار ولم يبق إلا الأقل بالنسبة إلى من أسلم، فهؤلاء نصارى الشام كانوا ملء الشام ثم صاروا مسلمين إلا النادر، فصاروا فى المسلمين كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض وكذلك المجوس كانت أمة لا يحصى عددهم إلا الله فأطبقوا على الإسلام لم يتخلف منهم إلا النادر، وصارت بلادهم بلاد إسلام، وصار من لم يسلم منهم تحت الجزية والذلة وكذلك اليهود أسلم أكثرهم ولم يبق منهم إلا شرذمة قليلة مقطعة فى البلاد.

فقول هذا الجاهل: «إن هاتين الأمتين لا يحصى عددهم إلا الله كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم» (٧) كذب ظاهر وبهت مبين، حتى لو كانوا كلهم قد أجمعوا على اختيار الكفر لكانوا فى ذلك أسوة قوم نوح، وقد أقام فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله ويربهم

(٧) هذه العبارة من السائل لم يذكرها المؤلف فى نص السؤال الأول.

من الآيات ما يقيم حجة الله عليهم وقد أطبقوا على الكفر إلا قليلا منهم كما قال تعالى ﴿وَمَاءٌ آمِنٌ مَّعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٨) وهم كانوا أضعاف أضعاف هاتين الأمتين الكافرتين أهل الغضب وأهل الضلال، وعاد أطبقوا على الكفر وهم أمة عظيمة عقلاء حتى استوصلوا بالعذاب، وتمادى أطبقوا جميعهم على الكفر بعد رؤية الآية العظيمة التي يؤمن على مثلها البشر، ومع هذا فاختاروا الكفر على الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ (٩) وقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (١٠) فهاتان أمتان عظيمتان من أكبر الأمم قد أطبقتا على الكفر مع البصيرة فأمتا الغضب والضلال إذ أطبقتا على الكفر فليس ذلك ببدع وهؤلاء قوم فرعون مع كثرتهم قد أطبقوا على جحد نبوة موسى مع تظاهر الآيات الباهرة آية بعد آية فلم يؤمن منهم إلا رجل واحد كان يكتم إيمانه (١١).

وأيضاً، يقال للنصارى: هؤلاء اليهود مع كثرتهم فى زمن المسيح حتى كانوا ملء بلاد الشام كما قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ (١٢) وكانوا قد أطبقوا على تكذيب المسيح وجحدوا نبوته، وفيهم الأحرار والعباد والعلماء حتى آمن به الحواريون فإذا جاز على اليهود وفيهم الأحرار والعباد والزهاد

(٨) سورة هود الآية الأربعون. (٩) سورة فصلت الآية السابعة عشرة.

(١٠) الآية الثامنة والثلاثون من سورة العنكبوت.

(١١) لقد آمن موسى من قوم فرعون أكثر من رجل واحد كما قال تعالى «فأ آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم» (يونس ٨٣) والمراد بمن قومه: قوم فرعون أى لم يؤمن لموسى إلا عدد من قوم فرعون وقد كانوا خائفين من فرعون وأهاليهم أن يعذبوهم فيتركون دين موسى عليه السلام. وكما قال تعالى عن سحرة آل فرعون أنهم «قالوا آمنا برب العالمين. رب موسى وهارون» (١٢١ - ١٢٢).

(١٢) الآية السابعة والثلاثون بعد المائة من سورة الاعراف.

وغيرهم الاطباق على جحد نبوة المسيح والكفر به مع ظهور آيات صدق كالشمس جاز عليهم إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن جواز ذلك على أمة الضلال الذين هم أضل من الأنعام، وهم النصارى أولى وأحرى.

فهذا السؤال الذى أورده هذا السائل وارد بعينه فى حق كل نبى كذبه أمة من الأمم، فإن صوب هذا السائل رأى تلك الأمم كلها فقد كفر بجميع الرسل، وإن قال إن الأنبياء كانوا على الحق وكانت تلك الأمم مع كثرتها ووفور عقولها على الباطل فلأن يكون المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم الأقلون الأذلون الأذلون من هذه الطوائف على الباطل أولى وأحرى، وأى أمة من الأمم اعتبرتها وجدت المصدقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم جمهورها وأقلها وأراذلها هم الجاحدون لنبوته، فرقة الإسلام قد اتسعت فى مشارق الأرض ومغاربها غاية الاتساع بدخول هذه الأمم فى دينه وتصديقهم برسالته، وبقي من لم يدخل منهم فى دينه وهم من كل أمه أقلها، وأين يقع النصارى المكذبون برسالته اليوم من أمة النصرانية الذين كانوا قبله؟! وكذلك اليهود والمجوس والصابئة لانسبة للمكذبين برسالته بعد بعثه إلى جملة تلك الأمة قبل بعثه.

وقد أخبر تعالى عن الأمم التى أطبقت على تكذيب الرسل ودمرها الله تعالى، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رُّسُولُهَُا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٣)، فأخبر عن هؤلاء الأمم أنهم تطابقوا على تكذيب رسلهم وأنه عمهم بالإهلاك، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رُّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿أَتَوَصَّوْنَ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (١٤) ومعلوم قطعاً أن الله تعالى لم

(١٣) الآية الرابعة والاربعون من سورة (المؤمنون).

(١٤) سورة الذاريات الآية الثانية والخمسون وما بعدها.

يهلك هذه الأمم الكثيرة إلا بعد ما تبين لهم الهدى فاختراروا عليه الكفر، ولو لم يتبين لهم الهدى لم يهلكهم، كما قال تعالى: (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) (١٥)، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (١٦)، أى فلم يكن قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس، ومعلوم قطعاً أنه لم يصدق نبي من الأنبياء من أولهم إلى آخرهم ولم يتبعه من الأمم ما صدق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، والذين اتبعوه من الأمم أضعاف هاتين الأمتين المكذبتين مما لا يحصيهم إلا الله ولا يستريب من له مسكة من عقل أن الضلال والجهل والغى وفساد العقل إلى من خالفه وجحد نبوته أقرب منه إلى اتباعه ومن أقر بنبوته .

وحينئذ فيقال: كيف جاز على هؤلاء الأمم التي لا يحصيهم إلا الله الذين قد بلغوا مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف طبائعهم وأغراضهم وتباين مقاصدهم الإطباق على اتباع من يكذب على الله وعلى رسله وعلى العقل ويحل ما حرم الله ورسله ويحرم ما أحله الله ورسله، ومعلوم أن الكاذب على الله فى دعوى الرسالة هو شر خلق الله وأفجرهم وأظلمهم وأكذبهم .

ولا يشك من له أدنى عقل أن إطباق أكثر الأمم على متابعة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وخروجهم عن ديارهم وأموالهم ومعاداتهم آباءهم وأبنائهم وعشائرتهم فى متابعتهم وبذلهم نفوسهم بين يديه من أمحل المحال؟ فتجوز اختياريهم الكفر بعد تبين الهدى على شريطة قليلة حقيرة لها أغراض عديدة من هاتين الأمتين أولى من تجوز

(١٥) الآية التاسعة والخمسون من سورة القصص .

(١٦) سورة يونس الآية الثامنة والتسعون .

ذلك على المسلمين الذين طبقوا مشارق الأرض ومغاريها ، وهم أعقل الأمم وأكملها فى جميع خصال الفضل .

وأين عقول عباد العجل وعباد الصليب الذين أضحكوا سائر العقلاء على عقولهم ودلوهم على مَبْلَغها بما قالوه فى معبودهم من عقول المسلمين ؟ وإذا جاز اتفاق أمة — فيها من قد ذكره هذا السائل — على أن رب العالمين وخالق السموات والأرضين نزل عن عرشه وكرسى عظمته ودخل فى بطن امرأة فى محل الحيض والطمث عدة شهور ثم خرج من فرجها طفلاً يمص الثدي ويبكى ، ويكبر شيئاً فشيئاً ، ويأكل ويشرب ويبول ، ويصح ويمرض ، ويفرح ويحزن ، ويلد ويألم ، ثم دبر حيلة على عدوه إبليس بأن مَكَّن أعداءه اليهود من نفسه ، فأمسكوه وساقوه إلى خشبتين يصلبونه عليهما ، وهم يجرونه إلى الصלב ، والأوباش والأراذل قدامه وخلفه وعن يمينه وعن يساره ، وهو يستغيث ويبكى فقربوه من الخشبتين ، ثم توجهوه بتاج من الشوك ، وأوجعوه صفعاً ، ثم حملوه على الصليب وسمروا يديه ورجليه وجعلوه بين لصين ، وهو الذى اختار هذا كله لئتم له الحيلة على إبليس ليخلص آدم وسائر الأنبياء من سجنه ، ففداهم بنفسه حتى خلصوا من سجن إبليس .

وإذا جاز اتفاق هذه الأمة وفيهم الأحبار والرهبان والقسيسون والزهاد والعباد والفقهاء ومن ذكرتم على هذا القول فى معبودهم وإلههم حتى قال قائل منهم وهو من أكابرهم عندهم : اليد التى خلقت آدم هى التى باشرت المسامير ونالت الصלב ، فكيف لا يجوز عليهم الاتفاق على تكذيب من جاء بتكفيرهم وتضليلهم ، ونادى سراً وجهاً بكذبهم على الله وشتمهم له أقبح شتم ، وكذبهم على المسيح ، وتبديلهم دينه ، وعاداهم وقاتلهم ، وبرأهم من المسيح وبرأه منهم ، وأخبر أنهم وقود النار وحطب جهنم ؟ فهذا أحد الأسباب التى اختاروا لأجلها الكفر على الإيمان وهو من أعظم الأسباب .

فقولكم : «إن المسلمين يقولون إنهم لم يمنعهم من الدخول فى الإسلام إلا الرياسة والمأكلة لا غير» كذب على المسلمين ، بل الرياسة والمأكلة من جملة الأسباب المانعة لهم من الدخول فى الدين ، وقد ناظرنا نحن وغيرنا جماعة منهم فلما تبين لبعضهم فساد ما هم عليه قالوا : لو دخلنا فى الإسلام لكننا من أقل المسلمين لا يأبه لنا ، ونحن متحكمون فى أهل ملتنا فى أموالهم ومناصبهم ولنا بينهم أعظم الجاه وهل منع فرعون وقومه من اتباع موسى إلا ذلك ؟ !

والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً فمنها (الجهل به) ، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس ، فإن من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى ، فإن انضاف إلى ذلك ألفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوى المانع ، فإن انضاف إلى ذلك توهمه أن الحق الذى دعى إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهوته وأغراضه قوى المانع من القبول جداً .

فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ازداد المانع من قبول الحق قوة ، فإن هرقل عرف الحق وهم بالدخول فى الإسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه فاختار الكفر على الإسلام بعد ماتين له الهدى ، كما سيأتى ذكر قصته إن شاء الله تعالى .

ومن أعظم هذه الأسباب (الحسد) فإنه داء كامن فى النفس ، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتى ما لم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه . وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد ؟ ! فإنه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه غصن بريقه واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة .

وهذا الداء هو الذى منع اليهود من الإيمان بعيسى بن مريم وقد علموا علماً لا شك فيه أنه رسول الله جاء بالبينات واهدى فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان وأطبقوا عليه ، وهم أمة فيهم الأحرار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والأمراء .

هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة ولم يأت بشريعة يخالفهم ولم يقاتلهم ، وإنما أتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفاً ورحمة وإحساناً ، وجاء مكلاً لشريعة التوراة (١٧) ، ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر (١٨) على الإيمان ، فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع ، مبكّثاً لهم 'بقبائحهم' ، ومنادياً على فضائحهم ، ومخرجاً لهم من ديارهم ، وقد قاتلوه وحاربوه وهو فى ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم ويعلو هو وأصحابه وهم معه دائماً فى سفال ، فكيف لا يملك الحسد والبغى قلوبهم ؟ وأين يقع حالهم معه من حالهم مع المسيح وقد أطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم الهدى ؟ وهذا السبب وحده كاف فى رد الحق ، فكيف إذا انضاف إليه زوال الرياسات والمأكّل كما تقدم ؟

وقد قال المسور بن مخرمة — وهو ابن أخت أبى جهل — لابی جهل

(١٧) المسيح عليه السلام لم يأت مكلاً للتوراة بمعنى : أنه اقر الأصل أى التوراة وزاد عليه تشريعات وإنما هو قد أتى للتصحيح . وعبارة الأصل اليونانى تفيد أنه كان قد أتى للتصحيح . ومع أنه كان مصححاً للتوراة كان مفسراً وموضحاً لبعض آياتها وكان يحل للناس بعض ما حرمه عليهم علماء اليهود من تلقاء أنفسهم . ويبين ما كان العلماء فيه يختلفون فى تفسير آيات التوراة . ويبشر برسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يكن مع المسيح شريعة مستقلة عن شريعة موسى . والتشريع الموجود الآن فى النصرانية ليس من المسيح بن مريم بل من بولس الذى كون النصرانية على حساب عيسى بن مريم عليه السلام .

(١٨) لم يختاروا كلهم الكفر . بل كما قال القرآن الكريم « فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة » (الصف ١٤) .

يا خالي هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال :
يا ابن أختي ! والله لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم فينا وهو شاب
يدعى الأمين ، فما جربنا عليه كذباً قط . قال : يا خال ! فما لكم
لا تتبعونه ! قال : يا ابن أختي تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف ، فأطعموا
وأطعمنا ، وسقوا وسقيننا ، وأجاروا وأجرنا ، حتى إذا تجاثينا على الركب
وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبي فتى ندرك مثل هذه ؟

وقال الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل : يا أبا الحكم ! أخبرني
عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ها هنا من قريش أحد غيري
وغيرك يسمع كلامنا ؟ فقال أبو جهل : ويحك ! والله إن محمداً لصادق ،
وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابه
والسقاية والنبوة فإذا يكون لسائر قريش ؟

وأما « اليهود » فقد كان علماءهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، قال
ابن اسحق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى
قريظة ، قال : هل تدري عما كان إسلام أسد وثعلبة ابني شعبة وأسد
ابن عبيد لم يكونوا من بنى قريظة ولا النضير كانوا فوق ذلك ؟ فقلت :
لا ، قال فإنه قدم علينا رجل من الشام من اليهود يقال له ابن الهيبان
فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلاً يصلي خيراً منه ، فقدم علينا قبل مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ، فكنا إذا قحطنا وقل علينا المطر
نقول يا ابن الهيبان أخرج فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدموا
أمام مخرجكم صدقة ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاع من تمر ، أو مدين من
شعير ، فنخرجه ، ثم يخرج إلى ظاهر حرتنا ونحن معه نستسقى فوالله
ما يقوم من مجلسه حتى تمطر ويمر بالشعاب ، قد فعل ذلك غير مرة
ولا مرتين ولا ثلاث ، فحضرتة الوفاة واجتمعنا إليه ، فقال : يا معشر يهود !
أترون ما أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس

والجوع (١٩)؟ قالوا أنت أعلم، قال فإنى إنما خرجت أتوقع نبيا قد أظل زمانه، هذه البلاد مهاجرة، فاتبعوه ولا يسبقن إليه غيركم إذا خرج، يامعشر اليهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبى الذرارى والنساء ممن يخالفه فلا يمنعكم ذلك منه، ثم مات، فلما كانت الليلة التى فتحت فيها قريظة قال اولئك الثلاثة الفتية وكانوا شبانا أحداثا: يامعشر اليهود والله إنه للذى ذكر لكم ابن الهبيان، فقالوا ما هو به، قالوا بلى والله إنه لصفته، ثم نزلوا وأسلموا وخلوا أمواهم وأهليهم.

قال ابن اسحق وكانت أمواهم فى الحصن مع المشركين فلما فتح ردت عليهم.

وقال ابن اسحق حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد، قال كان بين أبياتنا يهودى فخرج على نادى قومه بنى عبد الأشهل ذات غداة فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، قال ذلك لأصحاب وثن لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت وذلك قبيل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ويحك يا فلان! وهذا كائن أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون بأعمالهم؟! قال: نعم، والذى يحلف به لوددت أن حظى من تلك النار ان تَوَقَدُوا، أعظم تنور فى داركم فتحمونه ثم تقذفونى فيه ثم تطبقون على وانى أنجو من النار غداً، فقل يا فلان ما علامة ذلك؟ قال نبى يبعث من ناحية هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: فتى نراه؟ فرمى بطرفه فرأى وأنا مضطجع بفناء باب أهلى وأنا أحدث القوم، فقال إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وإنه لحي بين أظهرنا، فآمنا

(١٩) يقصد بأرض الخمر والخمير أرض فلسطين. ويقصد بأرض البؤس والجوع أرض العرب.

به وصدقناه وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا يا فلان ألسنت الذي قلت ماقلت وأخبرتنا به ؟! قال ليس به .

قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني أشياخ منا قالوا : لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا ، كان معنا يهود وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن ، وكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا إن نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم قتل عاد وإرم ، فلما بعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم اتبعناه وكفروا به ففينا وفيهم أنزل الله عز وجل ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢٠) .

وذكر الحاكم وغيره عن ابن أبي نجيح عن علي الأزدي ، قال كانت اليهود تقول : اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما : كانت يهود خيبر تقاتل غطفان ، فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعازت اليهود بهذا الدعاء ، فقالت : اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، قال فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به فأنزل الله عز وجل (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) يعنى بك يا محمد «فلعنة الله على الكافرين» ، «يستفتحون» أى يستنصرون .

وذكر الحاكم وغيره أن بنى النضير لما أجلوا من المدينة أقبل عمرو ابن سعد فأطاف بمنزلهم فرأى خرابها ففكر ثم رجع إلى بنى قريظة فوجدتهم فى الكنيسة فنفخ فى بوقهم فاجتمعوا ، فقال الزبير بن باطا

(٢٠) الآية التاسعة والثمانون من سورة البقرة .

يا أبا سعد أين كنت منذ اليوم فلم نرك ، وكان لا يفارق الكنيسة وكان عزيزا فى اليهودية (٢١) قال رأيت اليوم عبراً اعتبرنا بها ، رأيت إخواننا قد جلوا بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع قد تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل ، ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الاشرف فى عزة بنيانه فى بيته آمنا ، وأوقع بابن سنينة سيدهم ، وأوقع بينى قينقاع فأجلاهم وهم جل اليهود وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة — حصرهم النبى عليه السلام ، فلم يخرج إنسان منهم رأسه حتى سباهم ، فكلّم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب — يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمداً ، فوالله إنكم لتعلمون أنه نبى وقد بشرنا به وبأمره ابن الهييان وأبو عمرو بن حواس وهما أعلم اليهود جاءا من بيت المقدس يتوكفان قدومه وأمرانا باتباعه وأمرانا أن نقرئه منها السلام ثم ماتا على دينها ودفناهما بجزتنا فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم ، فأعاد. هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء ، فقال الزبير ابن باطبا : قد والتوراة قرأت صفته فى كتاب التوراة التى أنزلت على موسى ليس فى المثانى التى أحدثنا ، فقال له كعب بن أسد : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه ؟ قال : أنت ، قال : ولم فوالتوراة ما حلت بينك وبينه قط ؟ قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فان اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبينا فأقبل عمرو بن سعد على كعب فذكر ما تقاولا فى ذلك إلى أن قال كعب ما عندى فى ذلك إلا ما قلت ، ما تطيب نفسى أن أصير تابعاً .

وهذا المانع هو الذى منع فرعون من اتباع موسى ، فإنه لما تبين له الهدى عزم على اتباع موسى عليه السلام ، فقال له وزيره هامان : «بينا أنت إله تعبد تصبح تعبد ربا غيرك» قال : صدقت .

(٢١) فى الأصل : وكان يتأله فى اليهودية .

وذكر ابن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر، قال حدثت عن صفية بنت حيي أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا عليه ثم جاءا من العشى، فسمعت عمي يقول لأبي أهو هو؟ (٢٢) قال: نعم والله، قال أتعرفه وتثبته. قال نعم، قال: فما في نفسك منه، قال: عداوته والله ما بقيت (٢٣).

فهذه الأمة الغضبية معروفة بعداوة الأنبياء قديماً وأسلافهم وخيارهم قد أخبرنا الله سبحانه عن أذاهم لموسى ونهانا عن التشبه بهم في ذلك فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (٢٤).

وأما خلفهم فهم قتلة الأنبياء: قتلوا زكريا وابنه يحيى (٢٥) وخلقاً كثيراً من الأنبياء، حتى قتلوا في يوم سبعين نبياً وأقاموا السوق في آخر النهار كأنهم لم يصنعوا شيئاً.

واجتمعوا على قتل المسيح وصلبه فصانته الله من ذلك وأكرمه أن يهينه على أيديهم، وألقى شبهه على غيره فقتلوه وصلبوه (٢٦). وراموا قتل خاتم النبيين مراراً عديدة والله يعصمه منهم.

(٢٢) أهو هو: أى المبشر به فى التوراة.

(٢٣) أى سأظل عدوا له مادمت حيا.

(٢٤) الآية التاسعة والستون من سورة الاحزاب.

(٢٥) القرآن الكريم لم يصرح بقتل يحيى عليه السلام وإنما صرح بموته. وقد وضعنا خبر زكريا ويحيى فى كتابنا «يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية» نشر دار التراث العربى بمصر - ميدان الأزهر.

(٢٦) فى أنجيل برنابا أن الله القى شبه المسيح على يهوذا الأسخريوطى. وفى كثير من الكتب أنه هرب الى بلاد الهند ومات فيها (انظر عبقرية المسيح للعقاد وقصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار).

ومن هذا شأنهم لا يكبر عليهم اختيار المكفر على الإيمان لسبب من الأسباب التي ذكرنا بعضها أو سببين أو أكثر.

وقد ذكرنا اتفاق أمة الضلال وعباد الصليب على مسبة رب العالمين أقبح مسبة، على ما يعلم بطلانه بصريح العقل، فإن خفى عليهم أن هذا مسبة لله مع أن العقل يحكم بطلانه وبفساده من أول وهلة لم يكثر على تلك العقول السخيفة أن تسب بشراً أرسله الله، وتجد نبوته، وتكابر ما دل عليه صريح العقل من صدقه وصحة رسالته، فلو قالوا فيه ما قالوا لم يبلغ بعض قولهم في رب الأرض والسماوات الذى صاروا به ضحكة بين جميع أصناف بنى آدم.

فأمة اطبقت على أن الإله الحق — سبحانه عما يقولون — صلب وشفع وسمر ووضع الشوك على رأسه ودفن فى التراب، ثم قام فى اليوم الثالث وصعد وجلس على عرشه يدبر أمر السموات والأرض (٢٧)، لا يكثر عليها أن تطبق على جحد نبوة من جاء بسبها ولعنها ومحاربتها وإبداء معايها والنداء على كفرها بالله ورسوله، والشهادة على براءة المسيح منها ومعاداته لها ثم قاتلها وأذلها وأخرجها من ديارها وضرب عليها الجزية، وأخبر أنها من أهل الجحيم خالدة مخلدة لا يغفر الله لها وأنها شر من الحمير، بل هى شر الدواب عند الله.

وكيف لا ينكر على أمة (٢٨) أطبقت على صلب معبودها وإلاهها ثم عمدت إلى الصليب فعبدته وعظمت، وكان ينبغى لها أن تحرق كل صليب تقدر على إحراقه، وأن تهينه غاية الإهانة إذ صلب عليه إلاهها الذى يقولون تارة: إنه الله، وتارة يقولون إنه ابنه، وتارة يقولون ثالث

(٢٧) هذا مذهب الارثوذكس (الاقباط).

(٢٨) عبارة الأصل: وكيف ينكر لأمة أطبقت.

ثلاثة (٢٩) ؟ فجحدت حق خالقها وكفرت به أعظم كفر وسبته أقبح مسبة ، وجحدت حق عبده ورسوله وكفرت به (٣٠) .

وكيف لا ينكر (٣١) على أمة قالت فى رب الأرض والسموات إنه ينزل من السماء ليكلم الخلق بذاته لئلا يكون لهم حجة عليه ، فاراد أن يقطع حجتهم بتكليمه لهم بذاته لترفع المعاذير عمن ضيع عهده بعد ما كلمه بذاته ؟ فهبط بذاته من السماء ، والتحم فى بطن مريم ، فأخذ منها حجابا ، وهُو مخلوق من طريق الجسم ، وخالق من طريق النفس ، وهو الذى خلق جسمه وخلق أمه ، وأمّه كانت من قبله بالناسوت ، وهو كان من قبلها باللاهوت . وهو الإله التام ، والإنسان التام ومن تمام رحمته تبارك وتعالى على عباده أنه رضى بإراقة دمه على خشبة الصليب ، فكن أعداءه اليهود من نفسه ليتم سخطه عليهم ، فأخذوه وصلبوه وصفعوه وبضسقوا فى وجهه ، وتوجوه بتاج من الشوك على رأسه «وغار دمه فى أصبعه (٣٢) لأنه لو وقع منه شيء إلى الأرض ليبس كل ما كان على وجهها ، فثبت فى موضع صلبه النوار» .

ولم لم يكن فى الحكمة الأزلية أن ينتقم الله من عبده العاصى الذى ظلمه أو استهان بقدره لاعتلاء منزلة الرب وسقوط منزلة العبد أراد سبحانه أن ينتصف من الإنسان الذى هو إله مثله ، فانتصف من خطيئة

(٢٩) قول المؤلف تارة : انه الله يشير الى مذهب الارثوذكس . وقوله وتارة : يقولون انه ابنه يشير به الى جميع النصارى . انهم يقولون ان المسيح ابن الله الذى تحدث عنه داود فى المزمور الثانى . وقوله وتارة يقولون ثالث ثلاثة . يشير به الى مذهب الكاثوليك والبروتستانت .

(٣٠) عبارة الأصل : وسبته اقبح مسبة ان تجحد حق عبده ورسوله وتكفر به .

(٣١) عبارة الأصل : وكيف يكفر .

(٣٢) «وغار دمه فى أصبعه ... الخ النوار» ليست فى الانجيل ، ويحتمل ان

تكون فى تفاسير النصارى .

آدم بصلب عيسى المسيح الذى هو إله مساو له فى الالهية ، فصلب ابن الله الذى هو الله فى الساعة التاسعة من يوم الجمعة .

هذه ألفاظهم فى كتبهم ..

فأمة أطبقت على هذا فى معبودها ؟ ! ، كيف يكثر عليها أن تقول فى

عبدته ورسوله إنه ساحر وكاذب وملك مسلط ونحو هذا ؟

ولهذا قال بعض ملوك الهند : «أما النصرارى وإن (٣٣) كان

اعداؤهم من أهل الملل يجاهدونهم بالشرع فأنا أرى جهادهم بالعقل ،

وإن كنا لانرى قتال أحد لكنى استثنى هؤلاء القوم من جميع العالم ؟

لأنهم قصدوا مضادة العقل وناصبوه العداوة وشذوا عن جميع مصالح العالم

الشرعية والعقلية الواضحة ، واعتقدوا كل مستحيل ممكناً ، وبنوا من ذلك

شرعاً لا يودى إلى صلاح نوع من أنواع العالم ، ولكنه يصير العاقل إذا

تشرع (٣٤) به أخرق ، والرشد سفيهاً ، والحسن قبيحاً ، والقبيح حسناً ،

لأن من كان فى أصل عقيدته التى جرى نشؤه عليها الإساءة إلى

الخلاق والنيل منه ، وسبه أقبح مسبة ، ووصفه بما يغير صفاته الحسنى ،

فأخلق به أن يستسهل الإساءة إلى مخلوق ، وأن يصفه بما يغير صفاته

الجميلة فلو لم تجب مجاهدة هؤلاء القوم إلا لعموم أضرارهم التى لا

تحصى وجوهها (٣٥) كما يجب قتل الحيوان المؤذى بطبعه لكانوا أهلاً

لذلك» أ. هـ .

والمقصود أن الذين اختاروا هذه المقالة فى رب العالمين على تعظيمه

وتنزهه وإجلاله ووصفه بما يليق به ، هم الذين اختاروا الكفر بعبدته

ورسوله وجحد نبوته ، والذين اختاروا عبادة صور خطوها بأيديهم ، فى

الحيطان مزوقة بالأحمر والأصفر والأزرق لو دنت منها الكلاب لبالت

عليها وأعطوها غاية الخضوع والذل والخشوع والبكاء وسألوها المغفرة

(٣٣) عبارة الأصل : أما النصرارى فان .

(٣٤) عبارة الأصل : شرع . (٣٥) عبارة الأصل : وجوهه .

والرحمة والرزق والنصر، هم الذين اختاروا التكذيب بخاتم الرسل على الإيمان به وتصديقه واتباعه، الذين نزهوا بطارقتهم وبتاركتهم (٣٦) عن صاحبة الولد ونخلوهما للفرد الصمد.. هم الذين انكروا نبوة عبده وخاتم رسله.

والذين اختاروا صلاة يقوم اعبدهم وأزهدهم إليها والبول على ساقه وافخأذه فيستقبل الشرق ثم يصلب على وجهه ويعبد الإله المصلوب، ويستفتح الصلاة بقوله: «يا أبانا أنت الذى فى السموات تققدس اسمك وليأت ملكك ولتكن إرادتك فى السماء مثلها فى الأرض أعطنا خبزنا الملايم لنا» (٣٧). ثم يحدث من هو إلى جانبه، وربما سأل عن سعر الخمر والخنزير وعما كسب فى القمار وعما طبخ فى بيته، وربما أحدث وهو فى صلاته، ولو أراد لبال فى موضعه إن أمكنه، ثم يدعو تلك الصورة التى هى صنعة يد الإنسان.

فالذين اختاروا هذه الصلاة على صلاة من إذا قام إلى صلاته طهر أطرافه وثيابه وبدنه من النجاسة، واستقبل بيته الحرام، وكبر الله وحده وسبحه، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ناجاه بكلامه المتضمن لأفضل الثناء عليه وتحميده وتمجيد وتوجيه، وإفراده بالعبادة والاستعانة وسؤاله أجل مسئؤل وهو الهداية إلى ريق رضاه التى خص بها من أنعم الله عليه دون طريق الأمتين المغضوب عليهم وهم اليهود والضالين وهم

(٣٦) بطارقتهم وبتاركتهم يقصد بالبطارقة علماء الدين. ويقصد بالبتاركة رؤساء

الدين.

(٣٧) نص الصلاة: «أبانا الذى فى السموات. ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا. ولا تدخلنا فى تجربة. لكن نجنا من الشرير. لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين» (متى ٦ : ٩-١٣).

النصارى، ثم أعطى كل جارية من الجوارح حظها من الخشوع والخضوع والعبودية مع غاية الثناء والتمجيد لله رب العالمين، لا يلتفت عن معبوده بوجهه، ولا قلبه، ولا يكلم أحدا كلمة، بل قد فرغ قلبه لمعبوده وأقبل عليه بقلبه ووجهه، ولا يحدث فى صلاته، ولا يجعل بين عينيه صورة مصنوعة يدعوها ويتضرع إليها.

فالذين اختاروا تلك الصلاة التى هى فى الحقيقة استهزاء بالمعبود لا يرضاها المخلوق لنفسه فضلا أن يرضى بها الخالق على هذه الصلاة التى لو عرضت على من له أدنى مسكة من عقل لظهر له التفاوت بينهما.. هم الذين اختاروا تكذيب رسوله وعبدوه على الإيمان به وتصديقه.

فالعقل إذا وازن بين ما اختاروه ورغبوا فيه وبين ما رغبوا عنه تبين له أن القوم اختاروا الضلالة على الهدى والغى على الرشاد، والمقبيح على الحسن، والباطل على الحق، وأنهم اختاروا من العقائد ابطالها، ومن الأعمال أقبحها. وأطبق على ذلك أساقفتهم وبتاركهم ورهبانهم فضلا عن عوامهم وسقطهم.

ولم يقل أحد من المسلمين أن ما ذكرتم من صغير وكبير وذكر وأنثى وحر وعبد وراهب وقسيس كلهم تبين له الهدى، بل أكثرهم جهال بمنزلة الدواب السائمة، معرضون عن طلب الهدى فضلا عن تبيينه لهم، وهم مقلدون لرؤسائهم وكبرائهم وعلمائهم — وهم أقل القليل وهم الذين اختاروا الكفر على الإيمان بعد تبين الهدى.

وأى إشكال يقع للعقل فى ذلك؟ ولم (٣٨) يزل فى الناس من يختار الباطل، ومنهم (٣٩) من يختاره جهلا وتقليدا لمن يحسن الظن به

(٣٨) فى الأصل: فلم يزل.

(٣٩) فى الأصل: فلم يزل.

ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبراً وعلواً، ومنهم من يختاره طمعاً
ورغبة في مأكّل أو جاه أو رياسة، ومنهم من يختاره حسداً وبغياً،
ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقا، ومنهم من يختاره خشية ومنهم
من يختاره راحة ودعة، فلم تنحصر أسباب اختيار الكفر في حب
الرياسة والمأكلة .

السؤال الثانى

وأما (١) السؤال الثانى وهو: قولكم: هب أنهم اختاروا الكفر لذلك فهلا اتبع الحق من لا رياسة له ولا مأكلة إما اختيارا وإما قهرا؟»

فجوابه (٢): انا قد بينا أن أكثر من ذكرتم قد آمن بالرسول وصدقه اختياراً لا اضطراراً وأكثرهم أولو العقول والأحلام والعلوم ممن لا يحصيهم إلا الله، فرقة الإسلام إنما انتشرت فى الشرق والغرب بإسلام أكثر الطوائف، دخلوا دين الله أفواجا حتى صار الكفار معهم تحت الذلة والصغار.

وقد بينا أن الذين أسلموا من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين أكثر من الذين لم يسلموا، وأنه إنما بقى منهم أقل القليل، وقد دخل فى دين الإسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق كثير، فهذا (ملك النصارى على إقليم الحبشة) فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم لما تبين له أنه رسول الله آمن به ودخل فى دينه وآوى أصحابه ومنعهم من أعدائهم، وقصته أشهر من أن تذكر، ولما مات أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالساعة التى توفى فيها وبينها مسيرة شهر، ثم خرج بهم إلى المصلى وصلى عليه.

(١) عبارة الأصل: فصل وأما المسألة الثانية وهى قولكم.

(٢) عبارة الأصل: فجوابه من وجوه «أحدها». ولما لم يذكر المؤلف إلا وجهها

واحدا استحسننا ما أثبتناه.

روى الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام
المخزومى، وعن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت: لما
نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى، أمنا على ديننا،
وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً اتتمروا
على أن يبعثوا إلى النجاشى هدايا مما يستظرف من متاع مكة، وكان
من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من
بطارقتة بطريقاً إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبى
ربيعة المخزومى وعمرو بن العاص، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعا
إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلم النجاشى فيهم، ثم قدما إلى
النجاشى هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. قالت
فخرجنا فقدا على النجاشى ونحن عنده بخير دار مع خير جوار (٣)، فلم
يبق من بطارقتة بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلم النجاشى. ثم
قالا لكل بطريق أنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا
دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا
أنتم، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم
لتردهم إليهم، فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا
ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا
نعم.

ثم إنهما قربا هداياهما إلى النجاشى فقبلها منها، ثم كلماه فقالا له
أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم
يدخلوا فى دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا
إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم إليهم،
فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم

(٣) عبارة الأصل: بخير دار وعند خير جوار. وسيصححها المؤلف فيما بعد.

يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهما، فقالت بطارقتة حوله صدقوا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما ليردوهما إلى بلادهم وقومهم، قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: والله لا أسلمهم إليهما ولا أكيد أقواماً جاوروني ونزلوا ببلادى واختاروني على من سواى حتى أدعوهم فاسألهم ما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منها وأحسن جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه، قالوا نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائناً فى ذلك ما هو كائن، فلما جاءوه — وقد دعا النجاشي اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله — سألهم فقال: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من هذه الأمم؟ قالت: وكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب، فقال له: أيها الملك! كنا قبوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا

إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واحترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا الا نظلّم عندك أيها الملك .

قالت : فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ، فقال له النجاشي : فاقرأه على ، فقرأ عليه صدرّاً من (كهيعص) (٤) قالت : فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت اساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقوا فوالله لا أسلمهم إليكأ أبداً ولا أكيد ، قالت أم سلمة : فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينه غداً أعيبيهم عنده بما استأصل به خضرأهم ، قالت فقال عبدالله بن أبي ربيعة وكان أبقى الرجلين فينا : لا تفعل فان لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد ، قالت : ثم غدا عليه من الغد فقال له : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فأسألمهم عما يقولون فيه ، قالت فأرسل إليهم فأسألمهم عنه ، قالت ولم ينزل بنا مثلها .

فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض : ما تقولون في عيسى إذا سألكم عنه ، قالوا نقول والله فيه ما قال الله عز وجل وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن ، فلما دخلوا عليه قال لهم : ما تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبي طالب نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه ، فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال ما

(٤) كاف هين عين صاد : أول سورة مريم . وتشير هذه الحروف الى حساب الجمل (أنظر كتابنا : اعجاز القرآن — الطبعة الثانية — نشر الانجلو المصرية) .

عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بظارقتة حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم، وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم: الآمنون - من سبكم غرم من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبر ذهب وانى أذيت رجلا منكم - والدبر: بلسان الحبشة الجبل - ردوا عليها هداياها فلا حاجة إلى بها، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكي فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليها ما جاءا به، وأقننا عنده بخير دار مع خير جار، قالت فوالله انا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، قالت فوالله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزنائه عند ذلك تخوفاً أن يظهر على النجاشي فيأتى رجلاً لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه.

قالت: فسار النجاشي وبينها عرض النيل فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم حتى يأتينا بالخبر؟ قالت فقال الزبير أنا، وكان من أحدث القوم سناً، قالت فننفخوا له قرية فجعلها في صدره ثم سبج عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، قالت ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده فاستوسق له أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما كان شهر بيع الأول سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري، فلما قرىء عليه الكتاب أسلم، وقال: «لو قدرت على أن آتية لأتيته» وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ففعل وأصدق عنه اربعمائة دينار،

وكان الذى تولى التزويج خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه من بقى عنده من أصحابه ويحملهم ففعل ، فقدموا المدينة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، فشحصوا إليه فوجدوه قد فتح خير ، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يدخلوهم فى سهامهم ففعلوا .

فهذا ملك النصارى قد صدّق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به واتبعه . وكم مثله ومن هو دونه ممن هداه الله من النصارى قد دخل فى الدين ، وهم أكثر بأضعاف مضاعفة ممن أقام على النصرانية . قال ابن اسحق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا أو قريبا من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه فى المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه ، وقبالتهم رجال من قریش فى أنديتهم حول الكعبة .

فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله ، وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قریش ، فقالوا لهم خبيكم الله من ركب ؟ بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخير الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ؟ ! ما نعلم ركبا أحق منكم ؟ أو كما قالوا .

فقالوا لهم سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل من أنفسنا خيرا ، ويقال إن نفر من النصارى من أهل نجران ، ويقال فيهم نزلت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا - إلى قوله - سَلَامٌ

عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَنَّةَ (٥) وقال الزهري ما زلت أسمع من علمائنا أنهم نزلن في النجاشي وأصحابه .

قال ابن اسحق : ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد «نصارى نجران» بالمدينة ، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا عليه مسجده بعد العصر ، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده فأراد الناس منعهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «دعوه» فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم ، وكانوا ستين راكبا ، منهم أربعة وعشرون رجلا من أشرافهم ، منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم ، هم «العاقب» أمير القوم وذوو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه وأمره ، واسمه عبد المسيح . و«السيل» عقاهم (٦) وصاحب رحلهم وجميعهم . و«أبو حارثة بن علقمة» أسقفهم وحبهم وإمامهم وصاحب مدارسهم ، وكان «أبو حارثة» قد شرف فيهم ودرس كتبهم ، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم . فلما وجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس أبو حارثة على بغلة متوجهاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة يسايره إذ عثرت بغلة أبي حارثة ، فقال له كرز تعس الأبعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو حارثة ، بل أنت تعست . فقال : ولم يا أخي ؟ فقال والله إنه للنبي الذي كنا ننتظره ، فقال له كرز فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا ؟ فقال ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا

(٥) الآيات في سورة القصص . الآية الثانية والخمسون وما بعدها

(٦) في الأصل تعليق على كلمة عقاهم وهكذا : «في نسخة : مثاهم»

خلافه، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، فأصر عليها أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك (٧).

فهذا وأمثاله من الذين منعتهم الرياسة والمأكل من اختيار الهدى وآثروا دين قومهم. وإذا كان هذا حال الرؤساء المتبوعين الذين هم علمائهم وأحبارهم كان بقيتهم تبعاً لهم، وليس بمستنكر أن تمنع الرياسة والمناصب والمأكل للرؤساء ويمنع الأتباع تقليدهم، بل هذا هو الواقع والعقل لا يستشككه.

وكان رؤساء النصارى الذين دخلوا في الإسلام لما تبين لهم أنه الحق، الرئيس المطاع في قومه «عدى بن حاتم الطائي» ونحن نذكر قصته كما رواها الإمام أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم.

قال عدى بن حاتم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد، فقال القوم، هذا عدى بن حاتم — وجئت بغير أمان ولا كتاب — فلما رفعت إليه أخذ بيدي، وقد كان قال قبل ذلك: «إني لأرجو» (٨) أن يجعل الله يده في يدي» قال فقام لي، فلقيته امرأة وصبى معها فقالا إن لنا إليك حاجة، فقام معها حتى قضى حاجتهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها، وجلست بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما يفرك أن تقول لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله سوى الله» قال قلت لا، ثم تكلم ساعة، ثم قال: «ما يفرك أن يقال الله تعالى أكبر، وتعلم أن شيئاً أكبر، من الله» قال قلت لا.

قال: «فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضلال» قال قلت فإنني حنيف مسلم، قال فرأيت وجهه ينبسط فرحاً، قال ثم أمر بي

(٧) انظر: كتابنا (نبوءات عن محمد في الكتاب المقدس) نشر دار الفكر العربي

(٨) في الأصل: إني لا أرجو.

فأنزلت عند رجل من الأنصار جعلت أغشاه آتية طرفى النهار، قال فبينما أنا عنده عشية إذ جاءه فى ثياب من الصوف من هذه الثمار، قال فصلى وقام فحث عليهم .

ثم قال : «ولو بصاع ، ولو بنصف صاع ، ولو بقبضة ، ولو ببعض قبضة ، يقى أحدكم وجهه حر جهنم أو النار ولو بتمرة ولو بشق تمرة ، فان أحدكم لاقى الله وقائل له ما أقول لكم ، ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أجعل لك مالا وولداً ؟ فيقول : بلى ، فيقول : أين ما قدمت لنفسك ؟ ! فينظر قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيئاً يقى وجهه حر جهنم ، ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإنى لا أخاف عليكم الفاقة ، فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى لتسير الطعينة فيما بين يثرب والحيرة أكثر ما يخاف على مطيتها السرق» ، قال فجعلت أقول فى نفسى فأين لصوص طى ؟ وكان عدى مطاعاً فى قومه بحيث يأخذ المربع من غنائهم .

وقال حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين : قال قال أبو عبيدة بن حذيفة ، قال عدى بن حاتم بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فكرهته أشد ما كرهت شيئاً قط ، فخرجت حتى أتيت أقصى أرض العرب مما يلى الروم ، ثم كرهت مكانى أشد مما كرهت مكانى الأول ، فقلت لو أتيت فسمعت منه ، فأتيت المدينة فاستشرفنى الناس ، وقالوا جاء عدى بن حاتم الطائى ! جاء عدى بن حاتم الطائى ! فقال : «يا عدى بن حاتم الطائى أسلم تسلم» فقلت إنى على دين ، قال : «أنا أعلم بدينك منك» قلت أنت أعلم بدينى منى ؟ قال : «نعم» قال هذا ثلاثاً ، قال : «ألست لوسياً» ، قلت : بلى ، قال : «ألست ترأس قومك» ، قلت بلى ، قال : «ألست تأخذ المربع» ، قلت بلى ، قال : «فإن ذلك لا يحل لك فى دينك» ، قال فوجدت بها على غضاضة ،

ثم قال: «لعله أن يمنعك أن تسلم أن ترى عندنا خصاصة، وترى الناس علينا ألباً واحداً، هل رأيت الحيرة؟» قلت لم أرها وقد علمت مكانها، قال: «فإن الظعينة سترحل من الحيرة تطوف بالبيت بغير جوار، وليفتحن الله علينا كنوز كسرى بن هرمز، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «كنوز كسرى بن هرمز، وليفيض المال حتى يهتم الرجل من يقبل منه صدقته» قال فقد رأيت الظعينة ترحل من الحيرة بغير جوار، وكنت أول خيل أغارت على المدائن، والله لتكونن الثالثة أنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كان «سلمان الفارسي» من أعلم النصارى بدينهم، وكان قد تيقن خروج النبی صلى الله عليه وسلم فقدم المدينة قبل مبعثه، فلما رآه عرف أنه هو النبی الذي بشر به المسيح (٩) فأمن به واتبعه، ونحن نسوق قصته.. قال ابن اسحق: حدثني عاصم، عن محمود، عن ابن عباس رضى الله عنها، قال حدثني سلمان الفارسي من فيه، قال كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من قرية يقال لها جى، وكان أبى دهقان قريته، وكنت أحب خلق الله إليه لم يزل حبه إياى حتى حبه إياى حبسنى فى بيت كما تحبس الجارية، فاجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار التى توقدها لا نتركها تخبو ساعة.

وكانت لأبى ضيعة عظيمة فشغل فى بنيان له يوماً، فقال يا بنى إنى قد شغلت فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب إليها فاطلعها،

(٩) أصل معنى كلمة المسيح على الحقيقة: المسح بالزيت أو بالدهن. وعلى المجاز: المصطفى من الله. وبنو إسرائيل يطلقون على أنبيائهم وعلمائهم وملوكهم لقب «مسيح» وعيسى بن مريم عليه السلام مسيح. وأصل كلمة المسيح «هاماشيح» فى اللغة العبرانية. وهى فى الآرامية (السرانية) «ماشيح» وهى فى اليونانية «مسيح» وهى فى اللغة العربية الآن «مسيا» أو «مسيح» وكلمة «عيسى» عن اليونانية. إنها فى اليونانية «أيسا» وفى حالة الرفع تنطق «أيسوس»

وأمرنى فيها ببعض ما يريد، ثم قال لى ولا تحتبس عنى فإنك إن احتبست عنى كنت أهم إلى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شيء من أمرى.

فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها فمرت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى إياى فى بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم، وقلت هذا والله خير من الذى نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعته فلم آتها، ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين؟ قالوا بالشام.

فرجعت إلى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال يا بنى أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قلت يا أبت مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم فوالله مازلت حتى غربت الشمس، قال: أى بنى! ليس فى ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، فقلت له كلا والله إنه لخير من ديننا.

فخافنى فجعل فى رجلى قيداً ثم حبسنى فى بيته، وبعثت إلى النصارى فقلت لهم إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم، فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبرونى، فقلت لهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنونى بهم، قال فلما أرادوا الرجعة أخبرونى بهم فألقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علماً؟ قالوا الأسقف فى الكنيسة، فجئته فقلت له إبنى قد رغبت فى هذا الدين، وأحببت أن أكون معك فأخدمك فى كنيستك، وأتعلم منك، وأصلى معك، قال أدخل فدخلت معه.

فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً، فقالوا لى: وما علمك بذلك؟ قلت: أنا أدلكم على كنزه، فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبداً، فصلبوه ورموه بالحجارة!!

وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فإ رأيت رجلاً يصلى —أرى— أنه أفضل منه ولا أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأب ليلاً ولا نهارة منه، فأحببته حباً لم أحبه شيئاً قبله، فأقمت معه زمناً ثم حضرته الوفاة، فقلت له يا فلان إنى قد كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه أحداً قبلك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصى بى؟ وم تأمرنى؟، فقال أى بنى والله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه، ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه.

فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل، فقلت له يا فلان إن فلاناً أوصانى عند موته أن الحق بك، وأخبرنى أنك على أمره، فقال أقم عندى، فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان إن فلاناً أوصى بى إليك وأمرنى بالالحق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصى بى؟ وم تأمرنى؟، قال يا بنى والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به.

فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبرى وما أمرنى به صاحبه، فقال أقم عندى، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه،

فأقت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر قلت له يا فلان إن فلاناً أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك فألى من توصى بى ؟ وم تأمرنى ؟ ، فقال : يابنى ! والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتية إلا رجلا بعمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فأته

فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبرى ، فقال أقم عندى فأقت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم ، فاكسبت حتى كانت لى بقيرات وغنيمة ، ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له يا فلان إنى كنت مع فلان فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فألى من توصى بى ؟ وم تأمرنى ؟ قال : يابنى والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتية .

ولكنه قد أظل زمان «نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين ، بينها نخل ، به علامات لا تخفى .. يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة» (١٠) ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ، ثم مات وغيب ، فكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث .

ثم مر بى نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بقيراتى هذه وغنيمتى هذه ، قالوا نعم فأعطيتهم فحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجل يهودى فكنت عنده ، فرأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم يحق فى نفسى ، فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتناعنى منه فحملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبى ، فأقت بها .

(١٠) ليس فى نبوءات التوراة الآن من علامات النبي صلى الله عليه وسلم «بين كتفيه خاتم النبوة» وما عدا هذه العلامة موجود فى التوراة .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إنى لفى رأس عذق لسيدى أعمل فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بنى قليلة والله إنهم الآن لمجتمعون معنا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي، فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت أنى ساقط على سيدى، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ما تقول؟

فغضب سيدى فلكنى لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك! فقلت: لا شيء إنما أردت أن استثبتته عما قال، وقد كان عندى شيء جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبا فدخلت عليه، فقلت له إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، فقربته إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه «كلوا» وأمسك فلم يأكل، فقلت فى نفسى هذه واحدة، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً.

وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ثم جئته به، فقلت إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت فى نفسى هاتان اثنتان، ثم جئت رسول الله وهو ببقيع الغرق قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعلى شملتان لى وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبنى فلما رآنى صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف أنى استثبتت فى شيء وصف لى. فالقى الرداء عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكبت عليه أقبله وأبكى، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحول» فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا ابن

عباس ، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه .

ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد ، قال سلمان ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كاتب يا سلمان » ، فكاتبته صاحبى على ثلاثمائة نخلة أحبيها له بالفقير ، وأربعين أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعينوا أخاكم » فأعانونى بالنخل : الرجل بثلاثين ودية ، والرجل بعشرين ودية ، والرجل بخمسة عشر ، والرجل بعشر ، يعيننى الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلاثمائة ودية ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب يا سلمان فققر لها فإذا فرغت فأتنى أكن أنا أضعها بيدي » فققرت ، وأعاننى أصحابى حتى إذا فرغت جئته فأخبرته .

فخرج معى إليها ، فجعلنا نقرب إليه الودى ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغت ، فوالذى نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة ، فأديت النخل وبقي على المال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال : « ما فعل الفارسى المكاتب » فدعيت له فقال : « خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان » ، فقلت : وأين تقع يارسول الله مما على ؟ ، قال : « خذها فإن الله سيؤدى بها » فأخذتها فوزنت منها لهم والذى نفسى بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم ، فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتنى بعد مشهد .

وكان ملك الشام — أحد أكابر علمائهم بالنصرانية — (هرقل) قد عرف أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً ، وعزم على الإسلام فأبى عليه عباد الصليب ، فخافهم على نفسه ، وضمن بملكه — مع علمه — أنه

سينقل عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته — ونحن نسوق قصته .

ففى الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس، أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه، قال انطلقت فى المدة التى كانت بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فبينما أنا بالشام إذ جىء بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل، وقد كان دحية بن خليفة جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل، فقال هرقل: قال هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي؟ قالوا نعم، قال فدعيت فى نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه، وأجلسوا أصحابى خلفى، فدعا بترجمانه فقال: قل لهم إني سائل هذا عن الرجل الذى يزعم أنه نبي فإن كذبنى فكذبوه، فقال أبو سفيان وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر على الكذب لكذبت .

ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال قلت: هو فينا ذو حسب.. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: ومن اتبعه أشرف الناس أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت لا بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطه له؟ قال قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت نعم، قال فكيف كان قتالكم إياه؟ قال قلت يكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قلت لا ونحن منه فى مدة ما ندرى ما هو صانع فيها .

قال: فوالله ما أمكننى من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت لا، قال لترجمانه: قل له إني سألتك عن حسبه فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث فى أحساب قومها، وسألتك هل كان فى آبائه ملك؟ فزعمت أن لا،

فقلت لو كان فى آباءه ملك لقلت رجل يطلب ملك آباءه ، وسألتك من أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم ؟ فقلت بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل . وسألتك هل كنتم تتهمونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فرعمت أن لا ، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله عز وجل ، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطه له ؟ فرعمت أن لا وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فرعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم ، وسألتك هل قاتلتموه فرعمت أنكم قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتناولون منه وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة ، وسألتك هل يغدر ؟ فرعمت أنه لا يغدر ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فرعمت أن لا ، فقلت لو قال هذا القول أحد من قبله قلت رجل إنتم بقول قيل قبله .. ثم قال : فيم يأمركم ؟ قلت : يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف . قال إن يكن ما تقول حقاً إنه لنبي ، وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أكن أظنه منكم ، ولو أعلم أنى أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي .

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه ، فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد .. فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (١١) ﴿ قُلْ يَتَّأَهَّلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْعًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا

(١١) الأريسيين : يقصد بهم اتباع القديس آريوس الذى جهر بالتوحيد فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ واضطهده النصارى . فكأنه يقول : أنا أدعو الى تحرير أتباع آريوس الذين مايزالون من بعده يدعون بالتوحيد مثلى .

أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾، فلما قرأه وفرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا، ثم أذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بجمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد وأن تثبت مملكتكم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال ردهم على، فقال إنى قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، وقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه، فهذا ملك الروم — وكان من علمائهم أيضاً — عرف وأقر أنه نبي وأنه سيملك ما تحت قدميه وأحب الدخول في الإسلام فدعا قومه إليه فولوا عنه معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ومنعه من الإسلام الخوف على ملكه ورياسته، ومنع أشباه الحمير ما منع الأمم قبلهم.

ولما عرف «النجاشي ملك الحبشة» أن عباد الصليب لا يخرجون عن عبادة الصليب إلى عبادة الله وحده أسلم سراً، وكان يكتم إسلامه بينهم هو وأهل بيته ولا يمكنه مجاهرته، ذكر ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إليه عمرو بن أمية الضمري رضى الله عنه مكانه يدعوه إلى الإسلام، فقال له عمرو: يا أوصحة! على القول وعليك الاستماع: إنك كأنك في الرقة علينا منا وكأنا في الثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحز وإصابة الفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه لخبر سالف وأجر منتظر.

(١٢) سورة آل عمران الآية الرابعة والستون.

فقال النجاشي: أشهد بالله أنه للنبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة زكريا براكب الحمار كبشارة أشعيا براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفي من الخبر (١٣).

قال الواقدي: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة.. إسلم أنت فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، حملت بعيسى خلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله إليك، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى»..

فكتب إليه النجاشي: «بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو.. أما بعد فلقد بلغني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقا،

(١٣) عبارة الأصل وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل. وزكريا هو الذي بشر براكب الحمار يقصد به «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه فاتح مدينة القدس (أورشليم) لينشر فيها دين الإسلام. ونص عبارته: «أبتهي جدا يابنة صهيون. اهتفي يابنت أورشليم. هوذا ملكك. يأتي إليك. هو عادل ومنصور، وديع وراكب على حمار. وعلى جحش ابن أتان» (زكريا ٩: ٩) (أنظر: قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار).

وأشعيا هو الذي بشر براكب الجمل يقصد به «محمد» رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي العربي. ونص عبارته: «أذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى. فرأى ركابا أزواج فرسان. ركاب حير. ركاب جمال. فأصغى اصغاء شديدا... الخ» (أشعيا ٢١: ٦ وما بعدها).

إنه كما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قرَّبنا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين .

و«التفروق» علامة تكون بين النواة والتمرة .

وكذلك «ملك دين النصرانية بمصر» (المقوقس) عرف أنه نبي صادق ، ولكن منعه من اتباعه ملكه وأن عباد الصليب لا يتركون عبادة الصليب .

ونحن نسوق حديثه وقصته ، قال الواقدي كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فاني أدعوك بداعية الإسلام ، اسلم تسلم ، اسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١٤) وختم الكتاب .

فتخرج به حاطب حتى قدم عليه الاسكندرية ، فأنتهى إلى حاجبه فلم يلبث أن أوصل إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال حاطب للمقوقس لما لقيه إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿ (١٥) فانتقم به ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك ، قال : هات ، قال إن لنا ديناً لم ندعه إلا لما هو خير منه وهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه ، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له اليهود وأقربهم منه

(١٤) الآية الرابعة والستون .

(١٥) سورة النازعات الآية الخامسة والعشرون .

النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى
بمحمد (١٦).

وما دعائنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل،
وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن
أدرك هذا النبي، ولسنا ننهك عن دين المسيح (١٧) ولكننا نأمرك به.
فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فرأيت أنه لا يأمر بمزهود
فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن
الكاذب، ووجدت معه إله النبوة من إخراج الخبء والإخبار بالنجوى،
ووصف لحاطب أشياء من صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وقال:
القبط لا يطاوعونني في اتباعه، ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك، وأنا
أضن بملكى أن أفارقه، وسيظهر على بلادى وينزل بساحتى هذه
أصحابه من بعده، فارجع إلى صاحبك.

وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في حق من عاج
وختم عليه ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كتاباً له يكتب بالعربية،
فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم
القبط، سلام عليك، أم بعد.. فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت
فيه، وما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً بقى، وكنت أظن أنه يخرج
بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط
عظيم، وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك، ولم يزد.

(١٦) يقصد حاطب رضى الله عنه أن موسى بشر بعيسى في التوراة كما يزعم
النصارى، لأنه ليس في التوراة أية نبوة إلى عيسى عليه السلام. أن كل نبوءاتها تشير
إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٧) المسيح دينه هو دين موسى لأنه قال «ما جئت لأتقض الناموس» (متى
١٧: ٥) ومعنى «لسنا ننهك عن دين المسيح» أى لا ننهك عن النظر في تعاليمه الأصلية
من قبل التحريف ومن بعد التحريف فما تزال النبوءات صريحة عن نبي الإسلام محمد
صلى الله عليه وسلم.

والجاريّتان : ماريّة وسيرين و«البغلة» دلدل . وبقيت إلى زمن معاوية .

قال حاطب فذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : «ضمن الخبيث بملكه ، ولا بقاء لملكه» .

وكذلك «ابنا الجلندي ملكا عمان وما حولها» من ملوك النصارى أسلموا طوعا واختياراً ، ونحن نذكر قصتها وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهما ، وهذا لفظه :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى حيفر وعبيد ابني الجلندي ، سلام على من اتبع الهدى .. (أما بعد) .. فاني أدعوكما بداعية الإسلام ، إسلموا تسلموا ، فاني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن اقررتما بالإسلام ولّيتكما مكانكما ، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتي على ملككما» .

وختم الكتاب وبعث به مع عمرو بن العاص .

قال عمرو : فخرجت حتى انتهيت إلى عمان ، فلما قدمتها انتهيت إلى عبيد وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقاً ، فقلت : إني رسول رسول الله إليك وإلى أخيك ، فقال أخى المقدم علىّ بالسن والملك ، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ، ثم قال لى : وما تدعو إليه ، قلت أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه ، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال يا عمرو إنك سيد قومك فكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة ؟ قلت مات ولم يؤمن بمحمد ووددت أنه كان أسلم وصدق به ، وكنت أنا على مثل رأيه حتى هدانى الله للإسلام .

قال فتى تبعته ، قلت قريباً . فسألنى أين كان إسلامى ؟ فقلت عند النجاشى وأخبرته أن النجاشى قد أسلم ، قال فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت أقره ، قال والأساقفة والرهبان ؟ قلت نعم . قال انظر

يا عمرو ما تقول أنه ليس خصلة في رجل أفصح له من كذب، قلت ما كذبت وما نستحله في ديننا، ثم قال ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي، قلت بلى قال بأي شيء علمت ذلك؟ قلت كان النجاشي يخرج له خراجاً فلما أسلم وصدق بمحمد قال لا والله لو سألتني درهماً واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال له نياق أخوه: اتدع عبدك لا يخرج له خراجاً ويدين ديناً محدثاً؟ قال هرقل: رجل ترغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به، والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع.

قال انظر ما تقول يا عمرو؟ قلت والله لقد صدقتك، قال عبيد فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن مَعْصِيَتِهِ، ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال ما أحسن هذا الذي يدعو إليه لو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير^(١٨) تابعاً، قلت انه إن أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم، قال إن هذا لخلق حسن، وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الأموال حتى انتهت إلى الإبل، فقال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ فقلت نعم، فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا، قال فكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبرى.

ثم إنه دعانى يوماً فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي فقال دعوه فأرسلت، فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه فقال تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب غتوماً ففرض خاتمه فقرأه حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته إلا أنني رأيت أخاه

(١٨) في الأصل: ويصير ديناً.

أرق منه ، ثم قال : ألا تخبرنى عن قریش كيف صنعت ؟ فقلت اتبعوه إما راغب فى الإسلام وإما مقهور بالسيف ، قال ومن معه ؟ قلت الناس قد رغبوا فى الإسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا فى ضلال ، فما أعلم أحداً بقى غيرك فى هذه الحرجة ، وإن أنت لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضرائك ، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال ، قال دعنى يومى هذا وارجع إلتى غداً ، فرجعت إلى أخيه فقال يا عمرو إنى لأرجو أن يسلم إن لم يضمن بملكه .

حتى إذا كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لى فانصرفت إلى حيه فأخبرته أنى لم أصل إليه فأوصلنى إليه ، فقال إنى فكرت فيما دعوتنى إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدى وهو لا يبلغ خيله ههنا ، وإن بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى ، قلت وأنا خارج غداً ، فلما أيقن بمخرجى خلا به أخوه فقال ما نحن فيما قد ظهر عليه ، وكل من أرسل إليه قد أجابه ، فأصبح فأرسل إلى فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً وصدقا النبى صلى الله عليه وسلم ، وخليا بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لى عوناً على من خالفنى .

وكتب النبى صلى الله عليه وسلم إلى هوادة بن على الحنفى «صاحب اليمامة» : «بسم الله الرحمن الرحيم» من محمد رسول الله إلى هوذة بن على ، سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والخافر ، فأسلم تسلم ، أجعل لك ما تحت يدك .

وكان عنده أركون دمشق عظيم من عظماء النصارى فسأله عن النبى صلى الله عليه وسلم ؟ وقال قد جاءنى كتابه يدعونى إلى الإسلام ، فقال له الأركون لم لا تحببه ؟ فقال : ضننت بدينى وأنا ملك قومى إن اتبعته لم أملك ، قال بلى والله لئن ابتعته ليمكنك وإن الخير لك فى

اتباعه، وإنه للنبي العربى الذى بشر به عيسى بن مريم، والله إنه لمكتوب عندنا فى الإنجيل (١٩).

وذكر الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث شجاع بن وهب إلى «الحارث بن أبى شمر» وهو بغوطة دمشق، فكتب إليه مرجعه من الحديبية «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث ابن أبى شمر، سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق، وإنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك» وختم الكتاب.

فخرج به شجاع بن وهب، قال فانتهيت إلى حاجبه فوجدته يومئذ وهو مشغول بتهيئة الإنزال والإلطاف لقيصر وهو جاء من حصص إلى إيليا (٢٠) حيث كشف الله عنه جنود فارس شكراً لله عز وجل، قال فأقت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إني رسول رسول الله إليه، فقال حاجبه لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا، وجعل حاجبه، وكان رومياً اسمه مري، يسألنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدعو إليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء، ويقول إني قرأت فى الإنجيل وأجد صفة هذا النبى بعينه وأجده هو. وكنت أراه يخرج بالشام فإذا بى أراه قد خرج بأرض العرب (٢١)، فأنا أوأمن به وأصدقه وأنا أخاف من الحارث بن أبى شمر أن يقتلنى، قال شجاع فكان هذا الحاجب يكرمنى ويحسن ضيافتى، ويخبرنى عن الحارث

(١٩) سيتحدث المؤلف فيما بعد عن نبوءات من التوراة والإنجيل عن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم.

(٢٠) إيليا هى بيت المقدس ويقال لها القدس ويسميا اليهود والنصارى «أورشليم» (انظر فى سبب تسميتها بإيليا: كتابنا: يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية - نشر دار التراث العربى بالازهر بمصر)

(٢١) عبارة الأصل: انى قرأت فى الإنجيل. وأجد صفة هذا النبى بعينه فكنت أراه يخرج بالشام. فأراه قد خرج... الخ.

باليأس منه ، ويقول هو يخاف قيصر ، قال فخرج الحارث يوما وجلس فوضع التاج على رأسه فأذن لى عليه ، فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه ، وقال : من ينتزع منى ملكى ؟ ! أنا سائر إليه ولو كان باليمن جثته ، على بالناس ، فلم يزل جالساً يعرض حتى الليل ، وأمر بالخييل أن تنعل ، ثم قال أخبر صاحبك ما ترى ، وكتب إلى قيصر يخبره خبرى فصادف قيصر بايليا وعنده دحية الكلبي قد بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قرأ قيصر كتاب الحارث كتب إليه أن لا تسر إليه وتلهى عنه ووافنى بايليا . قال ورجع الكتاب وأنا مقيم ، فدعانى وقال متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ قلت غداً ، فأمر لى بمائة مثقال ذهباً ، ووصلنى (مرى) بنفقة وكسوة ، وقال اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وأخبره أنى متبع دينه ، قال شجاع فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال «باد ملكه» وأقرأته من مرى السلام وأخبرته بما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صدق» .

ونحن إنما ذكرنا بعض ملوك الطوائف الذين آمنوا به وأكابر علمائهم وعظمائهم ولا يمكننا حصر من عداهم وهم جمهور أهل الأرض ، ولم يتخلف عن متابعتة إلا الأقلون ، وهم : إما مسالم له قد رضى بالذلة والجزية والهوان ، وإما خائف منه فأهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلمون له ، ومسالمون له ، وخائفون منه .

ولو لم يسلم من اليهود فى زمنه إلا سيدهم على الإطلاق وابن سيدهم وعالمهم وابن عالمهم باعترافهم له بذلك وشهادتهم «عبد الله بن سلام» لكان فى مقابلة كل يهودى على وجه الأرض فكيف وقد تابعه على الإسلام من الأحرار والرهبان من لا يحصى عددهم إلا الله .

ونحن نذكر قصة عبد الله بن سلام . روى البخارى فى صحيحه من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك ، قال أقبل رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فقالوا جاء نبي الله، فاستشرفوا ينظرون، إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو فى نخل لأهله يخترف لهم منه، فعجل أن يضع الذى يخترف لهم فيها فجاء وهى معه، فسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى أهله، فلما خلا نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام، فقال أشهد أنك نبي الله حقاً وأنت جئت بالحق، ولقد علمت اليهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ما ليس فى .

فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم إليهم فدخلوا عليه، فقال لهم نبي الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر اليهود ويلكم! اتقوا الله، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً، وأنى جئتكم بحق، أسلموا»، قالوا ما نعلمه فأعادها عليهم ثلاثاً وهم يجيبونه كذلك، قال: «أى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «أفرأيتم إن أسلم؟»، قالوا حاش لله ما كان ليسلم، فقال: «يا ابن سلام أخرج عليهم» فخرج عليهم فقال: يا معشر اليهود ويلكم، اتقوا الله! فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقاً، وأنه جاء بالحق، فقالوا كذبت، فأخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم.

وفى صحيح البخارى أيضاً من حديث حميد عن أنس، قال سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أرض له، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول اشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟، قال: «أخبرنى بهن جبريل آنفاً»، قال: جبريل؟، قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال ثم قرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ

قَلِيلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٢٢﴾ أما أول اشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه « فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، إن اليهود قوم بهت ، وإنهم إن تعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني ، فجاءت اليهود إليه ، فقال : «أى رجل فيكم عبد الله بن سلام» ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، قال : أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام » قالوا أعاده الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، قالوا : شرنا وابن شرنا ، وانتقصوه ، قال : هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله .

وقال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبى بكر، عن يحيى بن عبد الله ، عن رجل من آل عبد الله بن سلام ، قال كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم وكان حبراً عالماً قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت صفته واسمه وهيئته والذى كنا نتوكف له ، فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما قدم نزل معنا فى بنى عمرو بن عوف ، فأقبل رجل حتى أخبر بقدمومه وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة بنت الحارث تجتنى جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كبرت ، فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت .

قال ، قلت لها : أى عمة هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به ، فقالت يا ابن أخى أهو النبى الذى كنا نبشر به أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال قلت لها نعم ، قالت فذاك إذن ، قال ثم

(٢٢) سورة البقرة الآية السابعة والتسعون .

خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا ، وكتمت إسلامي من اليهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن اليهود قوم بهت وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك تغيبنى عنهم ثم تسألهم عنى كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي ؟ فإنهم إن علموا بذلك بهتونى وعابونى .

قال فأدخلنى بعض بيوته ، فدخلوا عليه فكلموه وسألوه ، فقال لهم : «أى رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟» ، قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا ، فقال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم يا معشر اليهود ! اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة اسمه وصفته ، فإنى أشهد أنه رسول الله ، وأؤمن به وأصدق به وأعرفه ، قالوا كذبت ، ثم وقعوا فى ، فقلت يا رسول الله ألم أخبرك أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور ؟ ! قال فإظهرت إسلامي وأسلم أهل بيتي ، وأسلمت عمتى ابنة الحارث فحسن إسلامها .

وفى مسند الإمام أحمد وغيره عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانجفل الناس قبله ، فقالوا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فجئت فى الناس لأنظر إلى وجهه ، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء سمعته منه أن قال : «يا أيها الناس أطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام» .

فعلماء القوم وأحباهم كلهم كانوا كما قال الله عز وجل : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ إِلَى اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ الْمَتَّعُونَ بِالْحَسَنَاتِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَجَنِّبُونَ﴾ (٢٣) ، فمنهم من آثر الله ورسوله والدار الآخرة ، ومنهم من آثر الدنيا وأطاع داعى الحسد والكبر .

(٢٣) الآية السادسة والأربعون بعد المائة من سورة البقرة .

وفى مغازى موسى بن عقبة عن الزهرى ، قال كان بالمدينة مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أوثان تعبدوها رجال من أهل المدينة لا يتركونها ، فأقبل عليهم قومهم وعلى تلك الأوثان فهدموها ، وعمد أبو ياسر بن أخطب أخو حبي بن أخطب وهو أبو صفية زوج النبی صلى الله عليه وسلم فجلس إلى النبی صلى الله عليه وسلم . فسمع منه وحادثه ، ثم رجع إلى قومه وذلك قبل أن تصرف القبلة نحو المسجد الحرام فقال أبو ياسر: يناقوم أطيعونى فإن الله عز وجل قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون ، فاتبعوه ولا تخالفوه .

فانطلق أخوه حبي حين سمع ذلك — وهو سيد اليهود يومئذ وهما من بنى النضير — فأتى النبی صلى الله عليه وسلم فجلس إليه وسمع منه ، فرجع إلى قومه وكان فيهم مطاعا ، فقال أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدواً أبداً ، فقال له أخوه أبو ياسر: يا ابن أُمى أطعنى فى هذا الأمر ثم اعصنى فيما شئت بعده لئلا تهلك ، قال لا والله لا أطيعك واستحوذ عليه الشيطان فاتبعه قومه على رأيه !

وذكر ابن اسحاق عن عبد الله ابن أبى بكر عن حدثه عن صفية بنت حبي أنها قالت : لم يكن من ولد أبى وعمى أحد أحب إليهما منى لم ألقهما فى ولد قط إلا أخذانى دونه ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبا نزل فى بنى عمرو بن عوف ، فغدا إليه أبى وعمى أبو ياسر بن أخطب مغلسين ، فوالله ما جاء إلا مع مغيب الشمس ، فجاءا فاترين كسلين ساقطين يمحيان الهوينا ، فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلى واحد منها ، فسمعت عمى أبا ياسر يقول لأبى أهو هو؟ قال نعم والله ، قال تعرفه بنعته وصفته ؟ قال نعم والله ، قال فماذا فى نفسك منه ، قال عداوته والله ما بقيت .

قال ابن اسحاق وحدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبیر وعكرمة عن ابن عباس ، قال لما أسلم عبد الله بن

سلام وثعلبة بن شعية وأسد بن شعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من
اليهود وآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام، قال من كفر من اليهود: ما
آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين
آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله عز وجل في ذلك ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ
الصَّالِحِينَ﴾ (٢٤).

(٢٤) الآية الثالثة عشرة بعد المائة وما بعدها من سورة آل عمران.

السؤال الثالث

وأما السؤال الثالث وهو: قال السائل: «مشهور عندكم في الكتاب والسنة أن نبيكم كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل لكنهم محوه عنها لسبب الرياسة والمأكلة، والعقل يستشكل ذلك، أفكلهم اتفقوا على محو اسمه من الكتب المنزلة من ربهم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً؟! هذا أمر يستشكله العقل أعظم من نفهم بالسنتهم لأنه يمكن الرجوع عما قالوا بالسنتهم والرجوع عما محوا أبعد».

والجواب:

إن هذا السؤال مبنى على فهم فاسد، وهو أن المسلمين يعتقدون أن اسم النبي صلى الله عليه وسلم الصريح وهو محمد بالعربية مذكور في التوراة والإنجيل (١) — وهما الكتابان المتضمنان لشريعتين — وأن

(١) (محمد) مذكور في انجيل برنابا ومذكور في الأسفار الخمسة في برنابا ورد الاسم صريحاً وفي توراة موسى الاسفار الخمسة . بحساب الجمل . في كلمة «بباد ماد» كما سيذكر المؤلف فيما بعد..

ومذكور في كلمة أخرى لم يذكرها المؤلف وهي «لجوى جدول» التي تعني «أمة عظيمة» وذلك في قول التوراة «وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره كثيراً جداً «بباد ماد» اثني عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة (لجوى جدول) (تكوين ١٧: ٢٠) وحساب الجمل هو حساب: أبجد — هوز — حطى — كلمن — سعفص — قرشت وينتهي عند التاء فقط . والألف واحد والباء أثنان والجيم ثلاثة والدا ل أربعة والهاء خمسة والواو ستة والزاي سبعة والحاء ثمانية والطاء تسعة والياء عشرة والكاف =

المسلمين يعتقدون: أن اليهود والنصارى فى جميع أقطار الأرض محوا ذلك الاسم وأسقطوه جملة من الكتابين وتواصوا بذلك بعداً وقرباً وشرقاً وغرباً.

وهذا لم يقله عالم من علماء المسلمين ولا أخبر الله سبحانه به فى كتابه عنهم، ولا رسوله ولا بكتهم به يوماً من الدهر ولا قاله أحد من الصحابة ولا الأئمة بعدهم ولا علماء التفسير، ولا المعتنون بأخبار الأمم وتواريخهم.

وإن قدر أنه قاله بعض عوام المسلمين يقصد به نصر الرسول فقد قيل: يضر الصديق الجاهل أكثر مما يضر العدو العاقل.

وإنما أتى هؤلاء من قلة فهم القرآن، وظنوا أن قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٢)، دل على الاسم الخاص بالعربية فى التوراة والإنجيل المخصوصين وأن ذلك لم يوجد البتة (٣).

= عشرون واللام ثلاثون والميم أربعون والنون خمسون والسين ستون والعين سبعون والفاء ثمانون والصاد تسعون والقاف مائة والراء مائتان والشين ثلاثمائة والتاء أربعمائة. ويز اليهود فى التوراة بكلمة بماد ماد وكلمة لجوى جدول. ليعرفوا اسم النبى الآتى من سماعيل عليه السلام لتبدأ منه بركة الامم فى آل اسماعيل. ليميزوه عن بقية بنى اسماعيل. (انظر الاعلام: الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والاهام للقرطبى وأظهار الحق لرحمت الله الهندى).

(٢) الآية السابعة والخمسون بعد المئة من سورة الاعراف

(٣) قوله «وأن ذلك لم يوجد» بحسب ظاهر آيات التوراة. وبحسب التعمق فى الفهم يوجد بحسب الجمل — انظر أول تعليق فى السؤال الثالث — إشارة القرآن أنه مكتوب عندهم لا تعنى الاوصاف فقط كما يقول المؤلف بل تعنى: الاسم والاصناف والبلد والقبيلة والزمن. لأن قوله «يجدونه مكتوباً» لا يشير الى نص واحد عنه، وقوله «النبى الأمى» يشير به الى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ففيه عنه «وأجعل كلامى فى فمه» أما عن الاسم فباد ولجوى جدول وأما عن الأوصاف ففى قوله: يقيم =

والحق... أن الرب سبحانه: إنما أخبر عن كون رسوله مكتوباً عندهم أى الإخبار عنه وصفته ومخرجه ونعته، ولم يخبر بأن صريح اسمه العربى المذكور عندهم فى التوراة والإنجيل، وهذا واقع فى الكتابين كما سنذكر ألفاظهما إن شاء الله، وهذا أبلغ من ذكره بمجرد اسمه، فإن الاشتراك قد يقع فى الاسم فلا يحصل التعريف والتميز، ولا يشاء أحد يسمى بهذا الاسم أن يدعى أنه هو إلا فعل، إذ الحوالة إنما وقعت على مجرد الاسم، وهذا لا يحصل به بيان ولا تعريف ولا هدى، بخلاف ذكره بنعته وصفته وعلاماته ودعوته وصفة أمته ووقت مخرجه ونحو ذلك فإن هذا يعينه ويميزه ويحصر نوعه فى شخصه.

وهذا القدر المذكور فى التوراة والإنجيل وغيرها من النبوات التى بأيدى أهل الكتاب كما سنذكرها (٤)، ويدل عليه (٥):

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحرص الناس على تصديقهم له (٦)، واتباعهم إياه وإقامة الحجة على من خالفه وجحد نبوته، ولا سيما أهل العلم والكتاب، فإن الاستدلال عليهم بما يعلمون بطلانه قطعاً لا يفعله عاقل، وهو بمنزلة من يقول لرجل علامة صدقى أنك

لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى... الخ» وأما عن البلد ففى قوله «واستعلن من جبل فاران» لأن اسماعيل لما وعد بالبركة سكن فى بركة فاران. وأما القبيلة ففى قوله «هم أغارونى بما ليس لها... الخ» فى الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية وأما عن الزمن ففى قوله «لا يزول قضيب من يهوذا، وهشترع من بين رجلية حتى يأتى شيلون. وله يكون خضوع شعوب» أى يزول الملك من اليهود بأسرهم وفى حالة ملك اليهود يكون علماء بنى اسرائيل فى ظل ملك اليهود يستنبطون التشريعات من التوراة للناس فإذا جاء شيلون يزول الملك وتبطل التوراة.

(٤) قول المؤلف «كما سنذكرها» كان يجب ان يكتب بدله «كما سنذكر

بعضها» لأنه لم يذكر الا قليلا جدا.

(٥) فى الأصل: ويدل عليه وجوه الوجه الأول. ولم يذكر المؤلف وجوها.

(٦) فى الأصل: على تصديقه واتباعه.

فلان ابن فلان وصنعتك كيت وكيت وتعرف بكيت وكيت ولم يكن الأمر كذلك بل بضده، فهذا لا يصدر ممن له مسكة عقل، ولا يصدقه أحد على ذلك، ولا يتبعه أحد على ذلك، بل ينفر العقلاء كلهم عن تصديقه واتباعه، والعادة تحيل سكوتهم عن الطعن عليه والرد والتهجين لقوله، ومن المعلوم بالضرورة أن محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه نادى معلناً في هاتين الأمتين اللتين هما أعلم الأمم في الأرض قبل مبعثه بأن ذكره ونعته وصفته بعينه عندهم في كتبهم، وهو يتلو ذلك عليهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً في كل مجمع وفي كل ناد يدعوهم بذلك إلى تصديقه والإيمان به.

ومهم (٧) من يصدق ويؤمن به، ويخبر بما في كتبهم من نعته وصفته وذكره كما سيمر بك إن شاء الله، وغاية المكذب الجاحد أن يقول هذا النعت والوصف حق ولكن لست أنت المراد به بل نبي آخر، وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة، ولم تجد عليه هذه الماكبرة إلا كشفه عورته وإبداءه الفضيحة بالكذب والبهتان، فالصفات والنعوت والعلامات المذكورة عندهم منطبقة عليه حذو القذة بالقذة بحيث لا يشك من عرفها ورآه أنه هو كما عرفه قيصر وسلمان بتلك العلامات المذكورات التي كانت عنده من بعض علمائه وكذلك هرقل عرف نبوته بما وصف له من العلامات التي سألت عنها أبا سفيان فطابقت ما عنده، فقال: إن يكن ما تقول حقاً فإنه نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين وكذلك من قدمنا ذكرهم من الأخبار والرهبان الذين عرفوه بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْبَرُّونَ﴾ (٨)، وقال في موضع آخر: ﴿الَّذِينَ

(٨) البقرة ١٤٦.

(٧) في الأصل: فمنهم.

ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ .

ومعلوم أن هذه المعرفة إنما هي بالنعى والصفة المكتوبة عندهم التى هى منطبقة عليه ، كما قال بعض المؤمنين منهم : والله لأحدنا أعرف به من ابنه ، إن أحدنا ليخرج من عند امرأته وما يدرى ما يحدث بعده .

ولهذا أثنى الله سبحانه على من عرف الحق منهم ولم يستكبر عن اتباعه فقال : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ يَأْنٍ مِنْهُمْ قِيسِيْنَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُمْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَنذَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا اجْنَبْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ .

قال ابن عباس لما حضر أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بين يدى النجاشى وقرأوا القرآن سمع ذلك القيسيون والرهبان فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق ، فقال الله تعالى : (ذلك بأن منهم قيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) الآيات .

وقال سعيد بن جبير بعث النجاشى من خيار أصحابه ثمانين رجلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم القرآن فبكوا ورقوا ، وقالوا نعرف والله ، فأسلموا وذهبوا إلى النجاشى فأخبروه فأسلم ، فأنزل الله فيهم (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) الآيات .

(١٠) المائة الآيات ٨٢ إلى ٨٦ .

(٩) الأنعام ٢٠ .

وقال السُّدِّي كانوا اثنى عشر رجلا سبعة من القسيسين وخمسة من الرهبان فلما قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بكوا وقالوا (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) .

قال ابن عباس هم محمد وأمته ، وهم القوم الصالحون الذين طمعوا أن يدخلهم الله فيهم ، والمقصود أن هؤلاء الذين عرفوا أنه رسول الله بالنعمة الذي عندهم لم يملكوا أعينهم من البكاء وقلوبهم من المبادرة إلى الإيمان ، ونظير هذا قوله سبحانه : ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (١١) قال إمام التفسير مجاهد : هم قوم من أهل الكتاب لما سمعوا القرآن خروا سجداً (١٢) وقالوا : (سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً) .

كان الله عز وجل قد وعد على السنة أنبيائه ورسله أن يبعث في آخر الزمان نبياً عظيماً الشأن يظهر دينه على الدين كله ، وتنتشر دعوته في أقطار الأرض ، وعلى رأس أمته تقوم الساعة . وأهل الكتابين مجمعون على أن الله وعدهم بهذا النجى ، فالسعداء منهم عرفوا الحق فآمنوا به واتبعوه ، والأشقياء قالوا نحن ننتظره ولم يبعث بعد رسولا ، فالسعداء لما سمعوا القرآن من الرسول عرفوا أنه النبي الموعود به فخروا سجداً لله إيماناً به وبرسوله وتصديقاً بوعده الذي أنجزه فأروه عياناً فقالوا (سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً) .

وذكر يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده قال يونس وكان نصرانياً فأسلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب

(١١) الاسراء الآيات ١٠٧ إلى ١٠٩

(١٢) الصحيح في المسألة : أن - حوا بمعنى يسمعون . أى الذين يستبشرون الاخرة على الحياة الدنيا اذا ما سمعوا القرآن يعرفون أنه الحق فيؤمنون . وهذا ليس خاصاً بوقت النزول ، بل مستمر الى يوم القيامة . فان خصوص السبب لا يمنع من عموم اللفظ .

إلى أهل نجران : «بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران (سلم أنتم) إني أحمد إليكم إله إبراهيم واسحق ويعقوب ، (أما بعد) .. فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب .. والسلام» .

فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به وذعر ذعراً شديداً فبعث إلى رجل من أهل عمان يقال له شرحبيل بن وداعة وكان من همدان ولم يكن أحد يدعى إلى معضلة قبله فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه ، فقال الأسقف ما رأيك يا أبا مريم ؟ فقال شرحبيل قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية اسماعيل من النبوة (١٣) فما نأمن من أن يكون هذا هو ذاك الرجل ، ليس لى فى النبوة رأى ، لو كان أمر من الدنيا أشرت عليك فيه برأى وجهدت لك . فقال الأسقف تنح فأجلس ، فتنحى فجلس ناحية .

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذى أصبح من حمير فأقرأه الكتاب وسأله عن رأى فيه ، فقال له مثل قول شرحبيل ، فأمره الأسقف فتنحى .

ثم بعث إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بنى الحارث بن كعب فأقرأه الكتاب وسأله عن رأى فيه ، فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله ، فأمره الأسقف فتنحى ناحية .

فلما اجتمع رأى منهم على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ورفعت المسوح بالصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلاً ضرب بالناقوس ورفعت النيران فى الصوامع ، فاجتمع أهل الوادى أعلاه وأسفله وطوله مسيرة يوم للراكب

(١٣) يشير الى قول الله لابراهيم عن اسماعيل «وأما اسماعيل فقد سمعت لك

فيه . ها أنا أباركه ... الخ » .

السريع وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأهم عن الرأى فيه ، فاجتمع رأى أهل الرأى منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل وجبار بن فيض فيأتونه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حيرة وخواتيم الذهب ، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام ، وتصدوا لكلامه نهراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب ، فانطلقوا يبتغون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم كانا يبعثان العير إلى نجران في الجاهلية فيشترون لهما من برها وتمرها فوجدوها في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس ، فقالوا : يا عثمان وياعبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيين له فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا ، فتصدينا لكلامه نهراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا ، فما الرأى منكما أعود ، أم نرجع إليه ؟ فقالا لعلى بن أبى طالب وهو في القوم ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال على لعثمان وعبد الرحمن أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودوا إليه ، ففعل وفد نجران ذلك . ووضعوا حللهم وخواتيمهم ، ثم عادوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم سلامهم ، ثم قال : « والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمهم » ، ثم سأهم وسألوه فلم تزل به وهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول في عيسى فإننا نحب أن نعلم ما تقول فيه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ

أَلَعَلِّمْ قُلٌّ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١٤﴾ فَأَبَوْا أَنْ يُقِرُّوا بِذَلِكَ .

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملا على الحسن والحسين في خميلة له وفاطمة تمشي عند ظهره إلى الملاعنة وله يومئذ عدة نسوة فقال شرحبيل لصاحبيه يا عبد الله بن شرحبيل ويا جبار بن فيض لقد علمتا أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي وإني والله أرى أمراً مقبلاً ، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً مبعوثاً فكنا أول العرب طعن في عينه ورد عليه في أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور قومه حتى يصيبنا بجائحة ، وإنا لأدنى العرب منهم جواراً ، ولئن كان هذا الرجل نبياً ومرسلاً فلاعناه لا يبقى على وجه الأرض منا شعرة ولا ظفر إلا هلك ، فقال له صاحبه فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقد وضعتك الأمور على ذراع فهات رأيك ، فقال رأيي أن أحكّمه ، فإني أرى الرجل لا يحكم شططاً أبداً ، فقالا له أنت وذاك .

فلقى شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك ، فقال : « وما هو ؟ » قال شرحبيل حكمتك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح ففهما حكمت فينا فهو جائر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعل وراءك أحدا يثرب عليك ؟ » ، فقال له شرحبيل سل صاحبي ، فسألها فقالا ما نرد الموارد ولا نصدر المصادر إلا عن رأي شرحبيل .

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلاعنهم ، حتى إذا كان الغد أتوه فكتب لهم كتاب صلح وموادة ، فقبضوا كتابهم وانصرفوا إلى بجران .

(١٤) آل عمران الآيات من ٥٩ إلى ٦١ وخصوص السبب لا يمنع من عموم اللفظ .

فتلقاهم الأسقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة من نجران، ومع الأسقف أخ له من أمه وهو ابن عمه من النسب يقال له أبو علقمة، فدفع الوفد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأسقف، فبينما هو يقرؤه وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كُتبت بأبى علقمة ناقتة فتعس غير أنه لا يكتفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الأسقف عند ذلك قد والله تعست نبياً مرسلًا، فقال له أبو علقمة لا جرم والله لا أحل عنها عقداً حتى آتية، فضرب وجه ناقتة نحو المدينة وثنى الأسقف ناقتة عليه، فقال له افهم عني، إنما قلت هذا مخافة أن يبلغ عني العرب أنا أخذتنا حمقة أو نجعنا لهذا الرجل بما لم تنجع به العرب ونحن أعزهم وأجمعهم داراً. فقال له أبو علقمة والله لا أقبلك ما خرج من رأسك أبداً، ثم ضرب ناقتة يقول:

إليك تعدو قلقاً وضيتها معترضاً في بطنها جنيها
مخالفاً دين النصارى دينها

حتى أتى النبی صلى الله عليه وسلم فلم يزل معه حتى استشهد بعد ذلك.

وإذا عرف هذا فالعلم بأنه صلى الله عليه وسلم مذكور في الكتب المتقدمة يعرف من وجوه متعددة.

«أحدها».. أخبار من قد ثبتت نبوته قطعاً بأنه مذكور عندهم في كتبهم، فقد أخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه فيجب تصديقه فيه إذ تكذيبه والحالة هذه ممتنع لذاته، هذا لو لم يعلم ذلك إلا من مجرد خبره فكيف إذا تطابقت الأدلة على صحة ما أخبر به.

«الوجه الثاني».. أنه جعل الإخبار به من أعظم أدلة صدقه وصحة نبوته، وهذا يستحيل أن يصدر إلا من واثق كل الوثوق بذلك وأنه على يقين جازم به.

«الثالث».. أن المؤمنين به من الأحبار والرهبان الذين آثروا الحق على الباطل صدقوه في ذلك وشهدوا له بما قال .

«الرابع».. أن المكذبين والجاحدين لنبوته لم يمكنهم إنكار البشارة والإخبار بنبوته نبي عظيم الشأن صفته كذا وكذا وصفة أمته ومخرجه وشأنه ، لكن جحدوا أن يكون هو الذي وقعت به البشارة وأنه نبي آخر غيره ، وعلموا هم والمؤمنون به من قومهم أنهم ركبوا متن المكابرة وامتنطوا غارب البهت .

«الخامس».. أن كثيراً منهم صرح لخاصته وبطانته بأنه هو هو بعينه ، وأنه عازم على عداوته ما بقى ، كما تقدم .

«السادس».. أن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مذكور في كتبهم هو فرد من أفراد إخباراته بما عندهم في كتبهم من شأن أنبيائهم وقومهم وما جرى لهم وقصص الأنبياء المتقدمين وأممهم وشأن المبدأ والمعاد وغير ذلك مما أخبرت به الأنبياء ، وكل ذلك مما يعلمون صدقه فيه ومطابقته لما عندهم ، وتلك الإخبارات أكثر من أن تحصى ، ولم يكذبوه يوماً واحداً في شيء منها ، وكانوا أحرص الناس (١٥) على أن يظفروا منه بكذبة واحدة أو غلطة أو سهو فينادون بها عليه ويجدون بها السبيل إلى تنفير الناس عنه ، فلم يقل أحد منهم يوماً من الدهر أنه أخبر بكذا وكذا في كتبنا وهو كاذب فيه بل كانوا يصدقونه في ذلك وهم مصرون على عدم اتباعه ، وهذا من أعظم الأدلة على صدقه فيما أخبر به لو لم يعلم إلا بمجرد خبره .

«السابع».. أنه أخبر بهذا لأعدائه من المشركين الذين لا كتاب عندهم وأخبر به لأعدائه من أهل الكتاب وأخبر به لأتباعه ، فلو كان هذا باطلاً لاصححة له ، لكان ذلك تسليطاً للمشركين أن يسألوا أهل الكتاب فينكروا ذلك وتسليطاً لأهل الكتاب على الإنكار وتسليطاً

(١٥) في الأصل : أحرص شيء .

لأتباعه على الرجوع عنه والتكذيب له بعد تصديقه ، وذلك ينقض الغرض المقصود بإخباره من كل وجه ، وهو بمنزلة رجل يخبر بما يشهد بكذبه ويجعل إخباره دليلاً على صدقه ، وهذا لا يصدر من عاقل ولا مجنون . فهذه الوجوه يعلم بها صدق ما أخبر به وإن لم يعلم وجوده من غير جهة إخباره ، فكيف وقد علم وجود ما أخبر به ؟

« الثامن » .. أنه لو قدر أنهم لم يعلموا بشاراة الأنبياء به وإخبارهم بنعته وصفته لم يلزم الا يكونوا ذكروه وأخبروا به وبشروا بنبوته ؟ إذ ليس كل ما قاله الأنبياء المتقدمون وصل إلى المتأخرين وأحاطوا به علماً وهذا مما يعلم بالاضطرار ، فكم من قول قد قاله موسى وعيسى ولا علم لليهود والنصارى به ، فإذا أخبر به من قام الدليل القطعى على صدقه لم يكن جهلهم به موجباً لرده وتكذيبه .

« التاسع » .. أنه يمكن أن يكون فى نسخ غير هذه النسخ التى بأيديهم فأزيل من بعضها ونسخت هذه مما أزيل منه .

وقولهم « إن نسخ التوراة متفقة فى شرق الأرض وغربها » كذب ظاهر ، فهذه التوراة التى بأيدى النصارى (١٦) تخالف التوراة التى بأيدى اليهود ، والتى بأيدى السامرة (١٧) تخالف هذه وهذه ، وهذه نسخ الإنجيل يخالف بعضها بعضاً ويناقضه . فدعواهم : أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقاً وغرباً من البهت والكذب الذى يروجونه على أشباه الأنعام ، وإن (١٨) هذه التوراة التى بأيدى اليهود فيها من الزيادة

(١٦) التى بأيدى النصارى هى التوراة اليونانية (التسعينية) (انظر تقديمنا لكتاب الفسئ الضليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل — لامام الحرمين الجوينى — نشر مكتبة الكليات الأزهرية بمصر) .

(١٧) انظر التوراة السامرية باللغة العربية نشر دار الانصار مصر .

(١٨) التوراة التى بأيدى اليهود . اسمها التوراة العبرانية . وهى الموجودة الآن بمصر فى ترجمة البروتستانت .

والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين فى العلم، وهم يعلمون قطعاً أن ذلك ليس فى التوراة التى أنزلها الله على موسى، وأن هذه الأناجيل التى بأيدي النصارى فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين فى العلم. وهم يعلمون قطعاً أن ذلك ليس فى الإنجيل الذى أنزله الله على المسيح، وكيف يكون فى التوراة قصة موت موسى ودفنه فى أرض موآب؟ وكيف يكون فى الإنجيل الذى أنزل على المسيح «قصة صلبه» وما جرى له، وأنه أصابه كذا وكذا، وصلب يوم كذا وكذا، وأنه قام من القبر بعد ثلاث، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى، وغايته أن يكون من كلام الحوارين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع إنجيلا، وكذلك كانت «الأناجيل عندهم أربعة» يخالف بعضها بعضاً.

ومن بهتهم وكذبهم قولهم: إن التوراة التى بأيديهم وأيدي اليهود والسامرة سواء والنصارى لا يقرون أن الإنجيل منزل من عند الله على المسيح وأنه كلام الله (١٩) بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة توارىخ ألفها أربعة رجال معروفون فى أزمان مختلفة ولا يعرفون عن الإنجيل غير هذا:

«إنجيل» ألفه (متى) تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح وكتب بالعبرانية فى بلد يهود (٢٠) بالشام، و«إنجيل» ألفه (مرقس الهارونى) تلميذ شمعون (٢١) بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح،

(١٩) النصارى لا يقرون: أن المسيح ترك انجيلا مكتوبا. ويقرون: أن الروح القدس ألهم كتاب الأناجيل وعصمهم من الخطأ. والروح القدس هو الله نفسه عند الأرثوذكس (كنيسة الاسكندرية) وهو اله مستقل بنفسه عند الكاثوليك (كنيسة روما) وسيدكر المؤلف فيما بعد أمثلة من الاناجيل تدل على تناقضها.

(٢٠) بلد يهوذا بالشام أى أورشليم (القدس)

(٢١) شمعون أى بطرس سمعان.

وكتبه باليونانية فى بلاد أنطاكية من بلاد الروم ، ويقولون إن شمعون المذكور هو ثم محى اسمه من أوله ونسب إلى تلميذه مرقس ، « وإنجيل » ألفه (لوقا) الطبيب الأنطاكى تلميذ شمعون بعد تأليف مرقس ، « وإنجيل » ألفه (يوحنا) تلميذ المسيح بعد ما رفع المسيح ببضع وستين سنة ، كتبه باليونانية .

وكل واحد من هذه الأربعة يسمونه الإنجيل ، وبينها من التفاوت والزيادة والنقصان ما يعلمه الواقف عليها ، وبين توراة السامرة واليهود والنصارى من ذلك ما يعلمه من وقف عليها .

فدعوى الكاذب الباهت « أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقاً وغرباً بعداً وقرباً » من أعظم الفرية والكذب ، وقد ذكر غير واحد من علماء الإسلام ما بينها من التفاوت والزيادة والنقصان والتناقض لمن أراد الوقوف عليه (٢٢) ولولا الإطالة وقصد ما هو أهم منه لذكرنا منه طرفاً كبيراً

وقد وبخهم الله سبحانه وبكتهم على لسان رسوله بالتحريف والكتمان والإخفاء ، فقال تعالى : ﴿ يَتَأْمَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلِيْسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣) ؟ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (٢٤) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٥) ، وقال تعالى : ﴿ يَتَأْمَلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَ كُرْسُؤُنَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ لَكُنْ أَعْيُنُكُمْ كُفْرًا تَمَّ كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ

(٢٢) انظر: الجواب الصحيح لن بدل دين المسيح لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمة

الله تعالى عليه وانظر الاعلام للقرطبي وانظر اظهار الحق لرحمت الله الهندي .

(٢٤) البقرة ١٥٩ .

(٢٣) آل عمران ٧١ .

(٢٥) البقرة ١٧٤ .

نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٦﴾ .

وأما «التحريف» فقد أخبر سبحانه عنهم في مواضع متعددة ، وكذلك لى اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه . فهذه خمسة أمور:

«أحدها» لبس الحق بالباطل وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل !

«الثانى» كتمان الحق .

«الثالث» إخفاؤه وهو قريب من كتمانها .

«الرابع» تحريف الكلم عن مواضعه ، وهو نوعان .. تحريف لفظه وتحريف معناه .

«الخامس» لى اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره وهذه الأمور إنما ارتكبوها لأغراض لهم دعته إلى ذلك . فإذا عادوا الرسول وجحدوا نبوته وكذبوه وقتلوه فهم إلى أن يجحدوا نعتة وصفته ويكتموا ذلك ويزيلوه عن مواضعه ويتأولوه على غير تأويله أقرب بكثير، وهكذا فعلوا، لكن لكثرة البشارات وتنوعها غلبوا عن كتمانها وإخفائها فصاروا إلى «تحريف التأويل» وإزالة معناها عمن لا تصلح لغيره، وجعلها لعدوم لم يخلقه الله ولا وجود له البتة (٢٧) .

(٢٦) المائدة ١٥-١٦ .

(٢٧) تقسيم التحريف عند المؤلف غير تقسيمه عندنا . وتقسيمه عندنا هكذا .

١- تحريف لفظى ٢- تأويل التحريف

فالتحريف اللفظى يشمل : ١- لبس الحق بالباطل أى وضع كلمة فى النص الأصلى لتغير المعنى مثل قول الله لابراهيم : (خذ ابنك وحيدك الذى تحبه)

اذ يفهم منه أن الذبيح اسماعيل لأنه الوحيد وكان مولودا قبل اسحاق بأربعة عشر عاما . لكن الكتاب للبس الحق بالباطل زاد كلمة «اسحق»

«العاشر» أنه استشهد على صحة نبوته بعلماء أهل الكتاب ، وقد شهد له عدو لهم فلا يقدر جحد الكفرة الكاذبين المعاندين بعد ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بِبَيْتِي وَيَتَنَكَّرُ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (٢٨) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِءِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ أَلَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٩) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَابَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنْ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٣٠) ، وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ * وَإِذْ أَسْمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٣١) ،

٢- تحريف الكلم من بعد مواضعه . أى وضع كلمة تحمل معنيين . المعنى الالهى الاصلى والمعنى الذى يريدونه مثل «يقيم لك الرب الهك نبيا من اخوتك» فان من اخوتك تعنى اسماعيل وهو المعنى الالهى الاصلى لأن اسماعيل بركة . وتعنى اسحق . وهذان النوعان قد حدثا فى التوراة فى بابل . ولم يحدث تغيير لفظى فى توراة بابل الى اليوم ، أعنى الأسفار الخمسة .
وأما تأويل التحريف : فهو المحادلة بالباطل فى النص المكتوب . مثل قول اليهود الآن : ان النبى المشار اليه بمن اخوتك الى الآن لم يأت . وقول النصارى إنه المسيح عيسى ابن مريم ، مع أن الأوصاف تشير الى نبى الاسلام .
وأما لى اللسان . فهو المد والغن وأصول التجويد ليوهمو السامع أن التوراة لم تحرف وهذه طريقة اليهود الفرنسيين الى اليوم .
وأما معنى «قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا» : فهو اظهارهم بعض عبارات من التوراة لصالحهم وأخفاء بعض يدينهم .
وأما معنى كتمان الحق واخفائه فهو التحريف اللفظى الذى يعرفونه من زمن بابل ولا يظهره الآن .
اليهود جعلوا البشارات لنبى لم يظهر بعد . والنصارى جعلوها للمسيح ، وقالوا : لا نبى من بعد المسيح .

- | | |
|-----------------------|----------------------|
| (٢٨) آخر سورة الرعد . | (٢٩) الأحقاف ١٠ . |
| (٣٠) آل عمران ١٩٩ . | (٣١) المائدة ٨٢-٨٣ . |

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣٢).

وإذا شهد واحد من هؤلاء لم يوزن به ملء الأرض من الكفرة، ولا تعارض شهادته ببحود ملء الأرض من الكفار، كيف والشاهد له من علماء أهل الكتاب أضعاف أضعاف المكذبين له منهم؟ وليس كما قال من أشباه الحمير من عباد الصليب وأمة الغضب: إنه من علمائهم، وإذا كان أكثر عوام المسلمين يظنون أنه من علمائهم — وهو ليس كذلك — فما الظن بغيرهم (٣٣)؟

وعلماء أهل الكتاب إن لم يدخل فيهم من لم يعمل بعلمه فليس علمائهم إلا من آمن به وصدقه، وإن دخل فيهم من علم ولم يعمل كعلماء السوء لم يكن إنكارهم لنبوته قادحاً في شهادة العلماء العاملين بعلمهم.

«الحادى عشر» أنه لو قدر أنه لا ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنعته ولا صفته ولا علامته في الكتب التى بأيدى أهل الكتاب اليوم لم يلزم من ذلك الا يكون مذكوراً فى الكتب التى كانت بأيدى أسلافهم وقت مبعثه ولا تكون اتصلت على وجهها إلى هؤلاء، بل حرقها أولئك وبدلوا وكتبوا، وتواصوا وكتبوا ما أرادوا، وقالوا هذا من عند الله، ثم اشتهرت تلك الكتب وتناقلها خلفهم عن سلفهم، فصارت المغيرة المبدلة هى المشهورة والصحيحة بينهم خفية جداً، ولا سبيل إلى العلم

(٣٢) القصص ٥٢-٥٤.

(٣٣) عبارة الأصل: وليس كل من قال من اشباه الحمير من عباد الصليب أمة الغضب: انه من علمائهم. فهو كذلك. وإذا كان أكثر من يظن عوام المسلمين انه من علمائهم ليس كذلك فما الظن بغيرهم.

بإستحالة ذلك، بل هو فى غاية الإمكان (٣٤) فهؤلاء السامرة غيروا مواضع من التوراة ثم اشتهرت النسخ المغيرة عند جميعهم فلا يعرفون سواها وهجرت بينهم النسخ الصحيحة بالكلية، وكذلك التوراة التى بأيدى النصارى، وهكذا تبدل الأديان والكتب ولولا أن الله سبحانه تولى حفظ القرآن بنفسه وضمن للأمة الاجتماع على ضلالة لأصابه ما أصاب الكتب قبله، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣٥).

«الشانى عشر» أنه من الممتنع أن تخلو الكتب المتقدمة عن الإخبار بهذا الأمر العظيم الذى لم يطرق العالم من حين خلق إلى قيام الساعة أمر أعظم منه ولا شأن أكبر منه، فإنه قلب العالم وطبق مشارق الأرض ومغاربها، واستمر على العالم على تعاقب القرون وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومثل هذا النبأ العظيم لا بد أن تتطابق الرسل على الإخبار به .

وإذا كان الدجال رجل كاذب يخرج فى آخر الزمان وبقاؤه فى الأرض أربعين يوماً قد تطابقت الرسل على الإخبار به وأنذر به كل نبى قومه من نوح إلى خاتم الرسل فكيف تتطابق الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها على السكوت عن الإخبار بهذا الأمر العظيم الذى لم يطرق العالم أمر أعظم منه ولا يطرقه أبداً .

هذا ما لا يسوغه عقل عاقل وتأباه حكمة أحكم الحاكمين، بل الأمر بضد ذلك، وما بعث الله سبحانه نبياً إلا أخذ عليه الميثاق بالإيمان بمحمد وتصديقه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَإِنَّا مَعَكُمْ

(٣٤) انظر اظهر الحق لرحمت الله الهندى .

(٣٥) الحجر ٩ .

الشَّهِيدَ ﴿٣٦﴾، قال ابن عباس ما بعث الله من نبي إلا أخذ عليه
الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ
الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتابعنه .

(٣٦) آل عمران ٨١ .

نبوءات عن محمد فى الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى

فهذه الوجوه على تقدير عدم العلم بوجود نعته وصفته والخبر عنه فى لكتب المتقدمة ونحن نذكر بعض ما ورد فيها من البشارة به ونعته وصفته وصفة أمته ، وذلك يظهر من وجوه :

(الوجه الأول) .. قوله تعالى فى التوراة : «سأقيم لبنى إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك أجعل كلامى فى فيه ويقول لهم ما أمره به والذي لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى انا انتقم منه ومن سبطه» (١) .

(١) قال موسى لنبى اسرائيل : «كن كاملاً لدى الرب الهك . لأن أولئك الامم الذين انت طاردهم يسمعون للمشعبدين والعرافين . وأما انت فلم يجز لك الرب الهك مثل ذلك .

يقيم لك الرب الهك نبيا من اخوتك . مثلى . له تسمعون . جريا على كل ما سأله الرب الهك فى حوريب فى يوم الاجتماع قائلا : لا عدت اسمع موت الرب الهى . ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت .

قال لى. الرب : قد احسنوا فيما قالوا . أقيم لهم نبيا من بين اخوتهم مثلك والقى كلامى فى فيه . فيخاطبهم بجميع ما أمره به . وأى أنسان لم يطع كلامى الذى يتكلم به باسمى فانى احاسبه عليه .

وأى نبى تجبر ، فقال باسمى قولا لم أمره أن يقوله أو تنبأ باسم آلهة آخر فليقتل ذلك النبى فإن قلت قى نفسك : كيف يعرف القول الذى لم يقله الرب ؟

فان تكلم النبى باسم الرب ، ولم يتم كلامه ، ولم يقع . فذلك الكلام لم يتكلم به الرب ، بل لتجبره تكلم به النبى فلا تخافوه» (تثنية ١٨ : ١٣-٢٢) .

=

فهذا النص مما لا يمكن أحدا منهم جحده وإنكاره ؛ ولكن لأهل الكتاب فيه أربعة طرق : «أحدها» حمله على المسيح وهذه طريقة النصارى . وأما اليهود فلهم فيه ثلاثة طرق : «أحدها» أنه على حذف أداة الاستفهام ، والتقدير أقيم لبنى إسرائيل نبياً من إخوانهم أى لا أفعل هذا ، فهو استفهام إنكار حذف منه أداة الاستفهام . «الثانى» أنه خبر ووعد ولكن المراد به شمويل النبى (٢) فانه من بنى إسرائيل ، والبشارة إنما وقعت بنبى من إخوانهم ، وإخوة القوم هم بنو أبيهم ، وهم بنو إسرائيل . «الثالث» أنه نبى يبعثه الله فى آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرونه إلى الآن (٣) .

وقال المسلمون البشارة صريحة فى النبى صلى الله عليه وسلم العربى الأسمى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه لا يحتمل غيره . فإنها إنما وقعت بنبى من إخوة بنى إسرائيل لا من بنى إسرائيل أنفسهم ، والمسيح من بنى إسرائيل ، فلو كان المراد بها هو المسيح لقال أقيم لهم نبياً من أنفسهم ، كما قال تعالى : (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) (٤) ، وإخوة بنى إسرائيل هم بنو إسماعيل ، ولا يعقل

= ومعنى النص : أن موسى لما جمع بنى إسرائيل ناحية جبل الطور لسمعوا صوت الله وهو يتحدث معه فى جبل الطور (حوريب) حدث من هبة الله وجلاله رعد وبرق ونار ودخان ، فخاف بنو إسرائيل . وقالوا لموسى : إذا اراد الله أن يكلمنا فيما بعد فليكن عن طريق نبى ونحن نسمع لهذا النبى ونطيع . فأستحسن الله منهم ووعدهم بنبى له يسمعون ويطيعون . ولاحظ : أن هذا النص هو الذى تشير اليه الآية السابعة والخمسين بعد المائة فى سورة الأعراف .

(٢) شمويل هو فى التراجم الحديثة صموئيل . وهو الذى طلب منه بنو إسرائيل ملكا يقاتلون معه فى سبيل الله كما فى سورة البقرة .

(٣) هذا هو رأى الذى عليه اليهود الآن (انظر: تنقيح الأبحاث لأبن كمنونة) .

(٤) آل عمران ١٦٤ .

فى لغة أمة من الأمم أن بنى إسرائيل هم إخوة بنى إسرائيل ، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه .

وأيضاً فإنه قال « نبياً مثلك » وهذا يدل على أنه صاحب شريعة عامة مثل موسى (٥) ، وهذا يبطل حمله على شمويل من هذا الوجه أيضاً ، ويبطل حمله على يوشع من ثلاثة أوجه : « أحدها » أنه من بنى إسرائيل لا من إخوتهم .. « الثانى » أنه لم يكن مثل موسى ، وفى التوراة : « لا يقوم فى بنى إسرائيل مثل موسى » (٦) .. « الثالث » أن يوشع نبي فى زمن موسى ، وهذا الوعد إنما هو بنى يقيمه الله بعد موسى . وهذه الوجوه الثلاثة يبطل حمله على هرون ، مع أن هرون توفى قبل موسى ، ونبأه الله مع موسى فى حياته ، ويبطل ذلك من وجه « رابع » أيضاً وهو أن فى هذه البشارة أنه ينزل عليه كتاباً يظهر للناس من فيه وهذا لم يكن لأحد بعد موسى غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا من علامات نبوته التى أخبرت بها الأنبياء المتقدمون ، قال تعالى :
وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ *
بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ
عُلَمَاؤُا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٧﴾ ، فالقرآن نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر للأمة من فيه ، ولا يصح حمل هذه البشارة على قلب المسيح باتفاق النصارى لأنها إنما جاءت بواحد من إخوة بنى إسرائيل ، وبنو إسرائيل وإخوتهم كلهم عبيد ليس فيهم إله ، والمسيح عندهم إله معبود ،

(٥) يفهم من عبارة المؤلف ان شريعه موسى عليه السلام كانت عامة قبل أن

تنسخ بالقرآن الكريم . ولكن المؤلف سيذكر فيما بعد انها لم تكن عامة

(٦) النص . « ولم يقم من بعد نبي فى اسرائيل كموسى . الذى عرفه الرب وجهها

الى وجه . فى جميع الآيات والمعجزات التى بعثه الرب ليصنعها فى أرض مصر بفرعون
وجميع عبيده وجميع أرضه . وفى كل يد قديرة ، وكل مخافة عظيمة صنعها موسى على عيون
جميع بنى إسرائيل » (تثنية ٣٤ : ١٠-١٢) .

(٧) الشعراء ١٩٢ وما بعدها .

وهو أجل عندهم من أن يكون من إخوة العبيد، والبشارة وقعت بعبد مخلوق يقيمه الله من جملة عبيده وإخوتهم، وغايته أن يكون نبيا لا غاية له فوقها وهذا ليس هو المسيح عند النصارى .

وأما قول المحرفين لكلام الله : إن ذلك على حذف ألف الاستفهام وهو استفهام إنكار والمعنى لا أقيم لبنى إسرائيل نبياً . فتلك عادة لهم معروفة فى تحريف كلام الله عن مواضعه والكذب على الله ، وقولهم لما يبدلونه ويحرفونه ﴿ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (٨) .

وحمل هذا الكلام على الاستفهام والإنكار غاية ما يكون من التحريف والتبديل ، وهذا التحريف والتبديل من معجزات النبى صلى الله عليه وسلم التى أخبر بها عن الله من تحريفهم وتبديلهم ، فأظهر الله صدقه فى ذلك لكل ذى لب وعقل ، فازداد إيماناً إلى إيمانه ، وازداد الكافرون رجساً إلى رجسهم .

(الوجه الثانى) .. قال فى التوراة فى السفر الخامس : « أقبل الله من سيناء ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران ، ومعه ربوات الأطهار عن يمينه » (٩) وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة : نبوة موسى ،

(٨) البقرة ٧٩ .

(٩) النص بتمامه : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : أقبل الرب من سيناء ، وأشرق لهم من ساعير . وتجلى من جبل فاران . وأتى من ربا القدس ، وعن يمينه قبس شريعة لهم . أنه أحب الشعب . جميع قديسيه فى يدك ، وهم ساجدون عند قدمك ، يقتبسون من كلماتك » (تثنية ٣٣ : ١-٣) وقوله : « وهذه هى البركة » يشير الى بركة اسماعيل ونصها قال الله لابراهيم : « وأما اسماعيل فقد سمعت قولك فيه . وها أنذا أباركه وانميّه ، وأكثره جدا جدا . وولد اثنتى عشر رئيسا . وأجعل له أمة عظيمة » (تكوين ١٧ : ٢٠) وقوله « وتجلى من جبل فاران » يشير إلى موطن سكنى إسماعيل وهو فاران لقول التوراة عنه « وأقام بيرية فاران ، واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر » (تكوين ٢١ : ٢٢) وقوله « وأتى من رب القدس » أى ظهر النبى الآتى من إسماعيل ومعه ربوات كثيرة من الصحابة الصالحين .

=

ونبوة عيسى ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فجئته من «سيناء» وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ونبأه عليه إخبار عن نبوته ، وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس ، و«ساعير» قرية معروفة هناك إلى اليوم ، وهذه بشارة بنبوة المسيح . و«فاران» هى مكة ، وشبهه سبحانه نبوة موسى بمجىء الصباح ، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه ، ونبوة خاتم الأنبياء بعدهما باستعلاء الشمس وظهور ضوئها فى الآفاق ، ووقع الأمر كما أخبر به سواء ، فإن الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته ، وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح ، وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم .

وذكر هذه النبوات الثلاثة التى اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها فى أول سورة (والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين) فذكر أمكنة هؤلاء الأنبياء وأرضهم التى خرجوا منها (والتين والزيتون) والمراد بهما مدينتهما وأرضهما وهى الأرض المقدسة التى هى مظهر المسيح (وطور سينين) الجبل الذى كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته ، و(وهذا البلد الأمين) مكة حرم الله وأمنه التى هى مظهر نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم .

فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء قالت اليهود : «فاران» هى أرض الشام وليست أرض الحجاز أم لم تقل . وليس هذا بيدع من بهتهم وتحريفهم فعندهم فى التوراة : إن إسماعيل لما فارق أباه سكن فى برية فاران . هكذا نطقت التوراة ، ولفظها «وأقام إسماعيل فى برية فاران ، وانكحته أمه امرأة من أرض مصر» (١٠) .

= وقوله «جميع قديسيه فى يدك ... الخ» يشير الى علماء الاسلام الذين يخضعون دائما للقرآن الكريم . وانظر التعليق ١٥٢ .
(١٠) تكوين ٢١ : ٢١ .

ولا يشك علماء أهل الكتاب أن فاران مسكن لآل إسماعيل ، فقد تضمنت التوراة نبوة تنزل بأرض فاران ، وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد إسماعيل ، وتضمنت انتشار أمته وأتباعه حتى يملأوا السهل والجبل كما سنذكره إن شاء الله تعالى ، ولم يبق بعد هذا شبهة أصلاً فى أن هذه هى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التى نزلت بفاران على أشرف ولد إسماعيل حتى ملأت الأرض ضياء ونوراً وملأ أتباعه السهل والجبل ، ولا يكثر على الشعب الذى نطقت التوراة بأنهم عادمو الرأى والفتانة أن ينقسموا إلى جاهل بذلك وجاحد مكابر معاند ، ولفظ التوراة فيهم «إتهم لشعب عادى الرأى ، وليس فيهم فتانة» (١١) ، ويقال لهؤلاء المكابرين : أى نبوة خرجت من الشام فاستعلت استعلاء ضياء الشمس ، وظهرت فوق ظهور النبوتين قبلها ؟ ! وهل هذا إلا بمنزلة مكابرة من يرى الشمس قد طلعت من المشرق فيغالط ويكابر ويقول بل طلعت من المغرب !!

(الوجه الثالث) .. قال فى التوراة فى السفر الأول : «إن الملك ظهر لهاجر أم إسماعيل ، فقال : يا هاجر من أين أقبلت ؟ وإلى أين تريدین ؟» فلما شرحت له الحال قال ارجعى فإنى سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة ، وها أنت تحبلين وتلدین ابناً اسمه إسماعيل لأن الله قد سمع تذللک وخضوعك وولدك يكون وحش الناس وتكون يده على الكل ويد الكل مبسوطة إليه بالخضوع» (١٢) ، وهذه بشارة تضمنت أن يد ابنها على يد كل الخلائق ، وأن كلمته العليا ، وأن أيدى الخلق تحت يده ، فمن هذا الذى ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ؟ ! وكذلك فى السفر الأول من التوراة : «أن الله قال لإبراهيم إننى جاعل ابنك إسماعيل

(١١) تثنية ٣٢ : ٢٨ .

(١٢) تكوين ٦ : ٧-١٢ .

لامة عظيمة إذ هو من زرعك» (١٣) وهذه بشارة بمن جعل من ولده لأمة عظيمة، وليس هو سوى محمد بن عبد الله الذى هو من صميم ولده، فإنه جعل لأمة عظيمة، ومن تدبر هذه البشارة جزم بأن المراد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن إسماعيل لم تكن يده فوق يد اسحق قط، وكانت يد اسحق مبسوطة إليه بالخضوع، وكيف يكون ذلك وقد كانت النبوة والملك فى إسرائيل وعيسو، وهما ابنا اسحق، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقلت النبوة إلى ولد إسماعيل ودانت له الأمم وخضعت له الملوك وجعل خلافة الملك إلى أهل بيته إلى آخر الدهر وصارت أيديهم فوق أيدي الجميع مبسوطة إليهم بالخضوع.

وكذلك فى التوراة فى السفر الأول: «أن الله تعالى قال لإبراهيم إن فى هذا العام يولد لك ولد اسمه اسحق، فقال إبراهيم ليت إسماعيل هذا يحى بين يديك بمجدك، فقال الله تعالى قد استجبت لك فى اسمعيل وإنى أباركه وأنييه وأعظمه جداً بما قد استجبت فيه، وإنى أصيره إلى أمة كثيرة، وأعطيه شعباً جليلاً» (١٤).

والمراد بهذا كله الخارج من نسله، فإنه هو الذى عظمه الله جداً جداً وصيره إلى أمة كثيرة وأعطاه شعباً جليلاً، ولم يأت من صلب اسماعيل من بورك وعظم وانطبقت عليه هذه العلامات غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمتته ملأوا الآفاق وأربوا فى الكثرة على نسل اسحق.

(الوجه الرابع).. قال فى التوراة (١٥) فى السفر الخامس: «قال موسى لبني إسرائيل لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين، فسيقم لكم الرب نبياً من إخوانكم مثلى، فأطيعوا ذلك النبى» ولا يجوز أن يكون هذا

(١٣) تكوين ٢١ : ١٢-١٣ . (١٤) تكوين ١٧ : ١٥-٢٠ .

(١٥) انظر التعليق على أول نبوءة.

النبي الموعود به من أنفس بنى إسرائيل لما تقدم أن إخوة القوم ليسوا أنفسهم، كما يقول بكر وتغلب ابنا وائل ثم يقول تغلب اخوة بكر وبنو بكر اخوة بنى تغلب، فلو قلت اخوة بنى بكر بنو بكر كان محالا، ولو قلت لرجل أتينى برجل من اخوة بنى بكر بن وائل لكان الواجب أن يأتيك برجل من بنى تغلب بن وائل لا بواحد من بنى بكر.

(الوجه الخامس) .. ما فى الأنجيل (١٦): «إن المسيح قال

(١٦) يشير الى الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا وما بعده.

وهذه فقرات من النص:

«ان كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى. وأنا أسأل الآب فيعطىكم معزيا (بركليت) آخر ليقم معكم الى الأبد.

روح الحق الذى العالم لا يستطيع أن يقبله لأنه لم يره ولم يعرفه. أما أنتم فتعرفونه لأنه مقيم عندكم ويكون فيكم. لا أدعكم يتامى.

كلمتكم بهذا وأنا مقيم عندكم. وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم كل ما قلته لكم. السلام أستودعكم سلامى أعطيكم لست كما يعطى العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع. والآن قلت لكم قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون. لا أكلمكم أيضا كلاما كثيرا. لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شىء. لكن ليعلم العالم أنى أحب الآب وأنى كما أوصانى الآب هكذا أفعل.

إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أن قد أبغضنى قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب ماهوله، لكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لاجل هذا يبغضكم العالم. أذكروا الكلام الذى قلبه لكم أن ليس عبد اعظم من سيده.

أن كانوا اضطهدونى فسيضطهدونكم. وان كانوا حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم. وأنا هم سيفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى لأنهم لم يعرفوا الذى أرسلنى. لو لم آت وأكلهم لم تكن لهم خطيئة. وأما الآن فليس لهم حجة فى خطيئتهم.

من يبعضنى فإنه يبغض أبى أيضا. لو لم أعمل بينهم أعمالا لم يعملها آخر لما كانت لهم خطيئة أما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى. لكن ذلك هو لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم: انهم أبغضونى بلا سبب. ومتى جاء المعزى الذى ارسله اليكم من عند الآب روح الحق الذى من الآب ينبثق فهو يشهد لى. وأنتم تشهدون لأنكم معى منذ الانداء.

=

للحواريين إنى ذاهب وسيأتيكم الفار قليط روح الحق، لا يتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له، وهو يشهد علىّ وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس، وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به».

وفى إنجيل يوحنا: «الفار قليط لا يجيئكم ما لم أذهب، وإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه مما يسمع به، ويكلمكم ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب».

وفى موضع آخر «إن الفار قليط روح الحق الذى يرسله أبى باسمى، هو يعلمكم كل شيء»

وفى موضع آخر «انى سائل له أن يبعث إليكم فار قليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد، وهو يعلمكم كل شيء».

وفى موضع آخر «ابن البشر ذاهب والفار قليط من بعده يجيئ لكم بالأسرار ويفسر لكم كل شيء، وهو يشهد لى كما شهدت له، فإنى أجبيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل».

= كلمتكم بهذا لكى لا تشكوا. أنهم سيخرجونكم من الجامع. بل ستأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقرب الله قربانا. وإنما يفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا أبى ولم يعرفونى. لكنى كلمتكم بهذا حتى اذا جاءت الساعة تذكرون أنى قلت لكم. ولم أخبركم بهذا من قبل لأنى كنت معكم. وأما الآن فانى منطلق الى الذى ارسلنى. وليس احد منكم يسألنى الى أين تنطق. ولكن لأنى كلمتكم بهذا ملأت الكآبة قلوبكم الا أنى أقول لكم الحق: ان فى انطلاقى خيرا لكم لأن أن لم أنطلق لم يأتكم المعزى ولكن اذا مضيت أرسلته اليكم. ومتى جاء يبكت العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنون بى. وأما على البر فلأنى منطلق الى الآب ولا ترونى بعد. وأما على الدينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين.

وان عندى كثيرا أقوله لكم. ولكنكم لا تطيقون حمله الآن. ولكن متى جاء روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكم من عنده، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما يأتى. هو يجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم» (يوحنا ١٤ : ١٥ الى ١٦ : ١٤ ترجمة اليسوعيين).

قال أبو محمد بن قتيبة وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة ، وإنما اختلفت لأن من نقلها عن المسيح صلى الله عليه وسلم فى الإنجيل من الحوارين عدة « والفار قليط » بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد ، إما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد أو نحو ذلك ، وهو فى الإنجيل الحبشى « بر نعطيس » .

وفى موضع آخر « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فار قليطاً آخر يثبت معكم إلى الأبد ويتكلم بروح الحق الذى لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه ولست أدعكم أيتاماً إني سأتيكم عن قريب » .

وفى موضع آخر « ومن يحببنى يحفظ كلمتى وأبى يحبه وإليه يأتى وعنده يتحد المنزل ، كلمتكم بهذا لأننى لست عندكم مقبياً ، والفار قليط روح الحق الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شئ ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم ، استودعتكم سلامى ، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع فإنى منطلق وعائد إليكم ، لو كنتم تحبوننى كنتم تفرحون ، فإن ثبت كلامى فيكم كان لكم كل ما تريدون » .

وفى موضع آخر « إذا جاء الفار قليط الذى أبى يرسله روح الحق الذى من أبى يشهد لى ، قلت لكم حتى إذا كان تؤمنون ولا تشكون فيه » .

وفى موضع آخر « إن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون عمله ، لكن إذا جاء روح الحق ذاك يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للأب » .

وقال يوحنا قال المسيح : « إن أركون العالم سيأتى وليس له فى شئ » .

قال متى (١٧) قال المسيح : « ألم تروا أن الحجر الذى أخره
البنائون صار أساً للزاوية من عند الله ، كان هذا وهو عجيب فى
أعيننا ، ومن أجل ذلك أقول لكم إن ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع
إلى أمة أخرى تعطى ثماره ، ومن سقط على هذا الحجر ينشدخ ، وكل
من سقط هو عليه يمحقه » .

وقد اختلف فى « الفار قليط » فى لغتهم فذكروا فيه أقوالا ترجع
إلى ثلاثة :

« أحدها » أنه الحامد والحمد أو الحمد كما تقدم ، ورجحت طائفة
هذا القول ، وقال الذى يقوم عليه البرهان فى لغتهم أنه الحمد . والدليل

(١٧) تحدث دانيال النبى فى الاصحاح الثانى والسابع من سفره عن ممالك أربع
تقوم على الأرمن وفى نهاية الرابع يظهر نبى ويؤسس مملكة وتظل مملكته الى الابد
١- مملكة الكلدان ٢- مملكة الفرس ٣- مملكة اليونان ٤- مملكة الرومان فقال المسيح بن
مريم عليه السلام لبنى إسرائيل « توبوا لانه اقترب ملكوت السموات » الذى تحدث عنه
دانيال . ثم ضرب أمثلة له . ومن هذا المثل مثل « الكرامين الأردباء » الذى يهدف الى
انتقال الملك والشرعية من بنى اسرائيل الى أمة بنى اسماعيل . وهذا نصه : « اسمعوا مثلاً
آخر . انسان سيد بيت عرس كرما وحوطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلمه الى
عملة وسافر . فلما قرب أوان الثمر أرسل عبيده الى العملة ليأخذوا ثمره . فأخذ العملة عبيده
وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجعوا بعضاً . فأرسل عبيدا آخرين أكثر من الأولين فصنعوا بهم
كذلك .

فإذا جاء رب الكرم فاذا يفعل بأولئك العملة ؟ فقالوا له : إنه يميث أولئك الأردباء أردا
ميتة ، ويسلم الكرم الى عملة آخرين يؤدون اليه الثمر فى أوانه .
فقال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب : أن الحجر الذى رذله البنائون هو صار
رأساً للزاوية ؟ من عند الرب كان ذلك وهو عجيب فى أعيننا .

لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تصنع ثمرة . ومن سقط
على هذا الحجر يتهشم . ومن سقط هو عليه يطحنه . فلما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون
أمثاله عملوا أنه انما يتكلم عنهم . فهموا أن يسكوه ولكنهم خافوا من الجمع لأنه كان يعد
عندهم نبياً » (متى ٢١ : ٣٤-٤٦)

عليه قول يوشع «من عمل حسنة يكون له فارقليط جيد» أى حمد جيد.

و«القول الثانى» وعليه أكثر النصارى أنه المخلص والمسيح نفسه يسمونه المخلص، قالوا وهذه كلمة سريانية ومعناها المخلص، قالوا وهو بالسريانية فاروق فجعل (فارق)، قالوا و(ليط) كلمة تزداد، ومعناها كمعنى قول العرب: رجل هو، وحجر هو، وفرس هو. قالوا فكذلك معنى (ليط) فى السريانية.

و(قالت طائفة أخرى من النصارى): معناه بالسريانية «المعزى»^(١٨) قالوا وكذلك هو فى اللسان اليونانى. ويعترض على هذين القولين بأن المسيح لم يكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية، وأجيب عن هذا بأنه يتكلم بالعبرانية، والإنجيل إنما نزل باللغة العبرانية وترجم عنه بلغة السريانية والرومية واليونانية وغيرها، وأكثر النصارى على أنه المخلص، والمسيح نفسه يسمونه المخلص، وفى الإنجيل الذى بأيديهم أنه قال: «إنما أتيت لأخلص العالم» والنصارى يقولون فى صلاتهم: «لقد ولدت لنا مخلصاً».

(١٨) المعزى — بضم الميم وفتح العين وكسر الزاى مشددة معناها: النائب عن المسيح أو الوكيل وهكذا. وهى ترجمة كلمة «فارقليط» «أو بارقليط» بفتح الفاء أو الباء وأصل الكلمة «فيرقليط» أو «بيرقليط» بكسر الفاء أو الباء. ومعناها: أحمد صلى الله عليه وسلم. والكلمة العبرانية التى نطقها المسيح هى «بيرقليط» وترجم فى اللغة اليونانية «بيرقليطوس» ولكن النصارى — للأسف — حذفوا نطقها الى «بارقليط» التى تترجم فى اليونانية «بارقليطوس» ثم حذفوها من التراجم الحديثة ووضعوا بدلها «المعزى» ولو علمت أن المعزى موصوف بصفة «روح الحق» أو «روح القدس» لتأكدت أن المعزى اسم لا صفة. ولو علمت أن بارقليطوس تكتب فى اليونانى بحرف السين لتأكدت أن المعزى اسم لا صفة. لأن حرف السين فى اليونانى لا يضاف الا الى الأسماء. ولو علمت أن حروف المد من ألف أو ياء أو واو لا وجود لها فى اللغة العبرانية قبل القرن الخامس الميلادى لعلمت أن شكل كلمة بيرقليط هو نفسه شكل بارقليط.

ولما لم يمكن النصارى إنكار هذه النصوص حرفوها أنواعاً من التحريف (١٩)، فمنهم من قال: هو روح نزلت على الحواريين، ومنهم من قال: هو ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا بها الآيات والعجائب، ومنهم من يزعم أنه المسيح نفسه لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يوماً وكونه قام من قبره، ومنهم من قال لا يعرف ما المراد بهذا الفارقليط ولا يتحقق لنا معناه.

ومن تأمل الفاظ الأنجيل وسياقها علم أن تفسيره بالروح باطل، وأبطل منه تفسيره بالألسن النارية، وأبطل منها تفسيره بالمسيح، فإن روح القدس مازالت تنزل على الأنبياء والصالحين (٢٠) قبل المسيح وبعده وليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (٢١)، وقال النبى صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين: «اللهم أیده بروح القدس»، وقال: «إن روح القدس معك مازلت تنافح عن نبيه»، وإذا كان كذلك ولم يسم أحد هذه الروح فار قليطاً علم أن الفار قليط أمر غير هذا.

(١٩) فى الأصحاح الثانى من سفر أعمال الرسل هكذا: «ولما حل يوم الخمسين كانوا كلهم معا فى مكان واحد. فحدث بغثة صوت من السماء كصوت ريح شديدة تعصف وملاً كل البيت الذى كانوا جالسين فيه. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، فاستقرت على كل واحد منهم، فامتأوا كلهم بالروح القدس. وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى كما أتاهاهم الروح أن ينطقوا» (أعمال ٢: ١-٤).

والنصارى كلهم — لا كما قال المؤلف — وتففقون على أن المغزى الروح القدس هو الذى نزل فى عيد الخمسين — عيد الحصاد — ولبلى السنة التلاميذ والمغزى الروح القدس هو الله نفسه عند الأرثوذكس الا فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية.

(٢٠) انظر فصل أقنوم الروح القدس. ن كتابنا «أقنيم النصارى» نشر دار الأنصار بمصر.

(٢١) آخر سورة المجادلة.

و«أيضاً» فثل هذه الروح مازالت يؤيد بها الأنبياء والصالحون وما بشر به المسيح ووعده به أمر عظيم يأتى بعده أعظم من هذا .

و«أيضاً» فإنه وصف الفار قليط بصفات لا تناسب هذا الروح وإنما تناسب رجلاً يأتى بعده نظيراً له ، فإنه قال : «إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فار قليطاً آخر يثبت معكم إلى الأبد» ، فقلوه «فار قليطاً آخر» دل على أنه ثان لأول كان قبله ، وأنه لم يكن معهم فى حياة المسيح وإنما يكون بعد ذهابه وتولييه عنهم .

و«أيضاً» فإنه قال : «يثبت معكم إلى الأبد» وهذا إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم إلى آخر الدهر ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته فعلم أنه بقاء شرعه وأمره ، والفار قليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه إلى الأبد ، وهذا يبين أن الثانى صاحب شرع لا ينسخ بل يبقى إلى الأبد بخلاف الأول ، وهذا إنما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم .

و«أيضاً» فإنه أخبر أن هذا الفار قليط الذى أخبر به ويشهد له ويعلمهم كل شيء وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح وأنه يوبخ العالم على خطيئته فقال : «والفار قليط الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلت لكم» ، وقال إذا جاء الفار قليط الذى يرسله هو يشهد أنى قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنون به ، ولا تشكوا فيه ، وقال إن خيراً لكم أن أنطلق إلى أبى ، إن لم أذهب لم يأتكم الفار قليط ، فإذا انطلقت أرسلته إليكم ، فهو يوبخ العالم على الخطيئة ، فإن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقول لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن إذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عند نفسه بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للأب» .

فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح لا تنطبق على أمر معنوى فى قلب بعض الناس لا يراه أحد ولا يسمع كلامه . وإنما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه ، فيشهد للمسيح ، ويعلمهم كل شيء ، ويذكرهم بكل ما قال لهم المسيح ، ويوبخ العالم على الخطيئة ، ويرشد الناس إلى جميع الحق ، ولا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ، ويخبرهم بكل ما يأتى ، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين وهذا لا يكون ملكا لا يراه أحد ولا يكون هدى وعلماً فى قلب بعض الناس . ولا يكون إلا إنساناً عظيم القدر يخاطب بما أخبر به المسيح ، وهذا لا يكون إلا بشراً رسولاً ، بل يكون أعظم من المسيح ، فإن المسيح أخبر أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح ، ويعلم ما لا يعلمه المسيح ، ويخبر بكل ما يأتى وبما يستحقه الرب . حيث قال : «إن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله ، ولكن إذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى ، ويعرفكم جميع ما للأب» .

فلا يستريب عاقل أن هذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن الإخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات وعن ملائكته وعن ملكوته وعمه أعدته فى الجنة لأوليائه وفى النار لأعدائه أمر لا تحتمل عقول أكثر الناس معرفته على التفصيل ، قال على رضى الله عنه : «حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله» ، وقال ابن مسعود : «ما من رجل يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم» ، وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ (٢٢) قال : ما يؤمنك أن لو أخبرتك بها لكفرت . يعنى لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت بها وكفرك بها تكذيب بها .

(٢٢) آخر سورة الطلاق .

فقال لهم المسيح : «إن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله» وهو الصادق المصدوق فى هذا، ولهذا ليس فى الإنجيل من صفات الله تعالى وصفات ملكوته وصفات اليوم الآخر إلا أمور مجملة، وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر إلا أمور مجملة، مع أن موسى صلى الله عليه وسلم كان قد سهل الأمر للمسيح (٢٣)، ومع هذا فقد قال لهم المسيح : «إن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله» .

ثم قال : «ولكن إذا جاء روح الحق فذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق، وإنه يخبركم بكل ما يأتى، وجميع ما للرب»، فدل هذا على أن «الفار قليط» هو الذى يفعل هذا دون المسيح، وكذلك كان، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم أرشد الناس إلى جميع الحق حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء فإنه لم يبق نبي يأتى بعده غيره، وأخبر محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما يأتى من أشرار الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن الأعمال، والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأنواع عذابها، ولهذا كان فى القرآن تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتى أمور كثيرة لا توجد لا فى التوراة ولا فى الإنجيل، وذلك تصديق قول المسيح أنه يخبر بكل ما يأتى، وذلك يتضمن صدق المسيح وصدق محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهِنَا لِشَاعِرٍ تَجْنُونَ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٤﴾ أى مجيئه تصديق للرسل قبله، فإنهم أخبروا بمجيئه فجاء

(٢٣) ليس فى التوراة نبوة واحدة تشير الى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . وكل نبوءات التوراة تشير الى محمد رسول الله عليه السلام . وأول من نادى بتطبيق نبوءات التوراة على المسيح عيسى هو بولس وذلك ليقصر النبوة والكتاب على بنى اسرائيل الى الأبد . ويشكك الناس فى النبي محمد اذا ظهر .

(٢٤) الصفات ٣٥ وما بعدها .

كما أخبروا به ، فتضمن مجيئه تصديقهم ، ثم شهد هو بصدقهم فصدقهم بقوله ومجيئه ، ومحمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله بين يدي الساعة كما قال : «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى» وكان إذا ذكر الساعة علا صوته واحمر وجهه واشتد غضبه ، وقال : «أنا النذير العريان» ، فأخبر من الأمور التي تأتي في المستقبل بما لم يأت به نبي من الأنبياء كما نعت به المسيح حيث قال : إنه يخبركم بكل ما يأتى» ولا يوجد مثل هذا أصلاً عن أحد من الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم فضلاً عن أن يوجد عن شيء نزل على قلب بعض الحواريين .

و«أيضاً» فإنه قال : «ويعرفكم جميع ما للرب» فبين أنه يعرف الناس جميع ما لله ، وذلك يتناول ما لله من الأسماء والصفات وما له من الحقوق وما يجب من الإيمان به وملائكته وكتبه ورسله بحيث يكون يأتى به جامعاً لما يستحقه الرب ، وهذا لم يأت به غير محمد صلى الله عليه وسلم فإنه تضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة .. هذا كله .

و«أيضاً» فإن المسيح قال : «إذا جاء الفار قليط الذى يرسله أبى فهو يشهد لى ، قلت لكم هذا حتى إذا كال تؤمنوا به ، فأخبر أنه شهد له ، وهذه صفة نبي بشر به المسيح ويشهد للمسيح ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ ﴾ (٢٥) .

وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة وهذا يستحيل حمله على معنى يقوم بقلب الحواريين فإنهم آمنوا به وشهدوا له قبل ذهابه فكيف يقول إذا جاء فإنه يشهد لى ويوصيهم بالإيمان به ؟ أفترى الحواريين لم يكونوا مؤمنين بالمسيح فهذا من أعظم جهل النصارى وضلالهم .

و«أيضاً» فإنه لم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة إلا محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه أنذر جميع العالم من أصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ولم يقتصر على مجرد الأمر والنهي بل ووبخهم وفرعهم وتهدهم.. «وأيضاً» فإنه أخبر أنه «ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع». وهذا إخبار بأن كل ما يتكلم به فهو وحى يسمعه ليس هو شيئاً تعلمه من الناس أو عرفه باستنباط، وهذه خاصة محمد صلى الله عليه وسلم، وأما المسيح فكان عنده علم بما جاء به موسى قبله يشاركه به أهل الكتاب تلقاه عن قبله، ثم جاءه وحى خاص من الله فوق ما كان عنده، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٢٦) فأخبر سبحانه أنه يعلمه التوراة التي تعلمها بنو إسرائيل؛ وزاده تعليم الإنجيل الذى اختص به، والكتاب الذى هو الكتابة (٢٧) ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم قبل الوحي شيئاً البتة، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (٢٨)، وقال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ كُتُبٌ قَبْلَهُ لَمَنِ أَنْفَعُ مَا كُنْتَ تَقْرَأُ﴾ (٢٩)، فلم يكن صلى الله عليه وسلم ينطق من تلقاء نفسه بل إنما كان ينطق بالوحى كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٣٠)، أى ما نطقه إلا وحى يوحى، وهذا مطابق لقول المسيح إنه لا يتكلم من تلقاء نفسه بل إنما يتكلم بما يوحى إليه، الله

(٢٦) آل عمران ٤٨ .

(٢٧) الانجيل لفظ يونانى هو البشرى المفرحة بمجىء نبي الاسلام . وفيه تفسير لنبوءات التوراة عن نبي الاسلام ووصايا وارشادات للسلوك الحميد . والتوراة لفظ عبرى المراد به كتاب التعليم والاحكام . والكتاب هو التوراة والحكمة فهم المراد من نصوص الشريعة كما أراد الله من النص . وليس العطف للمخاطبة، بل لزيادة البيان والايضاح .

(٢٨) يوسف ٣ .

(٢٩) الشورى ٥٢ .

(٣٠) النجم الآية ٣ وما بعدها .

تعالى أمره أن يبلغ ما أنزل إليه ، وضمن له العصمة فى تبليغ رسالاته ،
فلهذا أرشد الناس إلى جميع الحق وألقى للناس ما لم يمكن غيره من
الأنبياء القاه خوفاً أن يقتله قومه ، وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم
جميع ما عنده ، وأنهم لا يطيقون حمله وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم
إذا أخبرهم بحقائق الأمور، ومحمد صلى الله عليه وسلم أيدته الله سبحانه
تأييداً لم يؤيده لغيره ؛ فعصمه من الناس حتى لم يخف من شىء يقوله ،
وأعطاه من البيان والعلم ما لم يؤته غيره ، وأيد أمته تأييداً أطاقت به
حمل ما ألقاه إليهم ، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حلوا التوراة ثم لم
يحملوها ، ولا كأهل الإنجيل الذين قال لهم المسيح : « إن لى كلاماً
كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكن لا تستطيعون حمله » .. ولا ريب أن
أمة محمد صلى الله عليه وسلم أكمل عقولا وأعظم إيماناً وأتم تصديقاً
وجهاداً ، ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية وإيمانهم أعظم ، وكانت
العبادات البدنية لغيرهم أعظم .. « وأيضاً » فإنه أخبر عن الفار قليط أنه
سيشهد له ، وأنه يعلمهم كل شىء ، وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح ،
ومعلوم أن هذه الشهادة لا تكون إلا إذا شهد له شهادة يسمعها الناس
لا تكون هذه الشهادة فى قلب طائفة قليلة ، ولم يشهد أحد للمسيح
شهادة سمعها عامة الناس إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه أظهر أمر
المسيح وشهد له بالحق حتى سمع شهادته له عامة أهل الأرض ، وعلموا
أنه صدق المسيح ونزله عما افترته عليه اليهود وما غلت فيه النصارى ،
فهو الذى شهد له بالحق .

ولهذا لما سمع النجاشى من الصحابة ما شهد به محمد صلى الله عليه
وسلم للمسيح قال لهم بمازاد عيسى على ما قلتم هذا العود ، وجعل الله
أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (٣١) شهدوا عليهم

(٣١) البقرة ١٤٣ .

بما علموا من الحق، إذ كانوا وسطاً عدولاً لا يشهدون بباطل، فإن الشاهد لا يكون إلا عدلاً، بخلاف من جار في شهادته فزاد على الحق أو نقص منه كشهادة اليهود للنصارى في المسيح (٣٢).

و«أيضاً» فإن معنى الفار قليط إن كان هو الحامد أو الحماد أو المحمود أو الحمد، فهذا الوصف ظاهر في محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه وأمته الحمّادون الذين يحمدون الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خطبته ومفتاح صلاته، ولما كان حمّاداً سمى بمثل وصفه فهو محمد على وزن: مكرم ومعظم ومقدس، وهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره ويستحق ذلك، فلما كان حماداً لله كان محمداً، وفي شعر حسان:

أغرّ عليه للنبوة خاتم من الله ميمون يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

وأما «أحمد» فهو أفعل التفضيل، أي هو أحمد من غيره أي أحق بأن يكون محموداً أكثر من غيره، يقال: هذا أحمد من هذا، أي هذا أحق بأن يحمده من هذا، فيكون تفضيل على غيره في كونه محموداً.

ومن الناس من يقول: معناه أنه أكثر حمداً لله من غيره، وعلى هذا فيكون بمعنى الحامد والحماد، وعلى الأول بمعنى المحمود.

وإن كان الفار قليط بمعنى الحمد فهو تسمية بالمصدر مبالغة في كثرة الحمد، كما يقال: رجل عدل ورضا ونظائر ذلك، وهذا يظهر سر ما أخبر به القرآن عن المسيح من قوله (ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه

(٣٢) المؤلف يفهم أن عن المسيح عيسى نبوءات في التوراة وقد كتبتها اليهود. وليس كذلك.

أحمد) (٣٣) فإن هذا هو معنى الفار قليط كما تقدم، وفي التوراة ما ترجمته بالعربية: «وأما في إسماعيل فقد قبلت دعاك ها أنا قد باركت فيه وأثمره وأكبره بماد ماد» (٣٤) هكذا هذه اللفظة «بماد ماد»، وقد اختلف فيها علماء أهل الكتاب فطائفة يقولون معناها (جداً جداً) أى (كثيراً كثيراً) فإن كان هذا معناها فهو بشارة بمن عظم من بنيه كثيراً كثيراً، ومعلوم أنه لم يعظم من بنيه أكثر مما عظم من محمد صلى الله عليه وسلم.

وقالت طائفة أخرى: بل هي صريح اسم (محمد)، قالوا ويدل عليه أن الفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية فهي أقرب اللغات إلى العربية، فإنهم يقولون لاسماعيل شماعيل وسمعتك شمعتينى، وإياه أوثو، وقدسك قد شيخا، وأنت أنا، وإسرائيل سيرايل، فتأمل قوله فى التوراة «قدس لى خل بخور خل ريخم بنى سرائيل باذام وييمالى»، معناه: «قدس لى كل بكر كل أول مولود رحم فى بنى إسرائيل من إنسان إلى بهمية لى» (٣٥)، وتأمل قوله: «نابى أقيم لاهيم تقارب أخيهم كانوا أخوا ايلأوه شماعيلون» فإن معناه: «نبياً أقيم لهم من وسط

(٣٣) الآية السادسة من سورة الصف وأحمد هي «بيركليت» أو بيرقليط أو

فيرقليط.

(٣٤) كلمة «بماد ماد» تترجم فى اللغة العربية «جداً جداً» وقال علماء من اليهود الذين أسلموا إن «بماد ماد» وتنطق «بمود مود» أسم (محمد) بحساب الجمل — بضم الجيم وتشديد الميم مفتوحة — فان الباء اثنان والميم أربعون والألف واحد والدال أربعة والميم الثانية أربعون والألف واحد والدال أربعة. فالجميع: اثنان وتسعون. ومحمد. الميم أربعون والحاء ثمانية والميم أربعون والدال أربعة. فالجميع: اثنان وتسعون. (انظر كتابنا: نبوة محمد فى الكتاب المقدس — نشر دار الفكر العربى بمصر وانظر كتاب: الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والاهام واظهار محاسن دين الاسلام وإثبات نبوة نبيتنا محمد عليه الصلاة والسلام تأليف الامام القرطبي. وانظر كتاب: اظهار الحق تأليف رحمت الله الهندى).

(٣٥) أول الاصحاح الثالث عشر من سفر الخروج.

إخوتهم مثلك به يؤمنون» (٣٦) ، وكذلك قوله : «أنتم عابرون في تخم اخوتكم بنى العيص» (٣٧) .

ونظائر ذلك أكثر من أن تذكر، فإذا أخذت لفظة «بماد ماد» وجدت أقرب شيء إلى لفظة محمد، وإذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين ألفاظ العبرانية والعربية، وكذلك يقولون : «اصبوع أو لوهم هوم»، أى أصبع الله كتب له بها التوراة، ويدل على ذلك أداة الباء فى قوله : «بماد ماد»، ولا يقال أعظمه بجداً جداً، بخلاف أعظمه بمحمد. وكذلك هو فإنه عظم به وازداد به شرفاً إلى شرفه؛ بل تعظيمه؛ بمحمد ابنه صلى الله عليه وسلم فوق تعظيم كل والد بولده العظيم القدر، فالله سبحانه كبره بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وعلى التقديرين فالنص من أظهر البشارات به، أما على هذا التفسير فظاهر جداً، وأما على التفسير الأول فإنما كبر اسمعيل وعظم على اسحق جداً جداً بابنه محمد صلى الله عليه وسلم. فإذا طابقت بين معنى «الفار قليط» ومعنى «بمود مود» — التى تكتب بماد ماد— ومعنى «محمد، وأحمد» ونظرت إلى خصال الحمد التى فيه وتسمية أمته بالحمدادين وافتتاح كتابه بالحمد وافتتاح الصلاة بالحمد وختم الركعة بالحمد وكثرة خصال الحمد التى فيه وفى أمته وفى دينه وفى كتابه وعرفت ما خلص به العالم من أنواع الشرك والكفر والخطايا والبدع والقول على الله بلا علم وما أعز الله به الحق وأهله وقع به الباطل وحزبه تيقنت أنه الفار قليط بالاعتبارات كلها.

(٣٦) الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية.

(٣٧) الاصحاح الثانى من سفر التثنية الآية الرابعة «أنتم مارون بتخم اخوتكم

بنى عيسو الساكنين فى سدير» .

فمن هذا الذى هو «روح الحق الذى لا يتكلم إلا بما يوحى إليه»؟! ومن هو العاقب للمسيح والشاهد لما جاء به والمصدق له بمجيئه؟! ومن الذى اخبرنا بالحوادث فى الأزمنة المستقبلية كخروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج ونزول المسيح بن مريم وظهور النار التى تحشر الناس وأضعاف أضعاف ذلك من الغيوب التى قبل يوم القيامة والغيوب الواقعة من الصراط والميزان والحساب وأخذ الكتب بالأيمان والشمايل وتفصيل ما فى الجنة والنار ما لم يذكر فى التوراة والإنجيل غير محمد صلى الله عليه وسلم؟! ومن الذى وبخ العالم على الخطايا سواه؟! ومن الذى عرف الأمة ما ينبغى لله حق التعريف غيره؟! ومن الذى تكلم فى هذا الباب بما لم يطق أكثر العالم أن يقبلوه غيره حتى عجزت عنه عقول كثير ممن صدقه وآمن به فساموه أنواع التحريف والتأويل لعجز عقولهم عن حمله كما قال أخوه المسيح صلوات الله عليها وسلامه؟! ومن الذى أرسل إلى جميع الخلق بالحق قولاً وعملاً واعتقاداً فى معرفة الله وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله وقضائه وقدره وغيره؟! ومن هو «أركون العالم» الذى أتى بعد المسيح غيره؟ «وأركون العالم» (٣٨) هو عظيم العالم وكبير

(٣٨) أركون العالم: هو الشيطان الرجيم. والأركون هو الرئيس — والمؤلف فهم أن أركون العالم هو محمد صلى الله عليه وسلم وليس الامر كما فهم — أن عبارة المسيح هكذا: «والآن قلت لكم قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون. لا أكلمكم أيضاً كلاماً كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شىء» (يوحنا ١٤ : ٢٩-٣٠) يريد المسيح أن يقول: قلت لكم ان محمداً سيأتى وقد نهىكم على مجيئه من قبل مجيئه لتؤمنوا به اذا جاء وتتبعوا رسالته. ولن أتحدث كثيراً. لأن الشيطان سيأتى للاضلال وصد الناس عنه. واذا أتى للاضلال والصد لن تكون على لائمة فى تقصير فى التنبيه. لأنى قد نهيت. وكل انسان سيتحمل مسئولية عمله. وقد فسر النصارى كلهم رئيس هذا العالم بالشيطان الرجيم. ونص عبارة الآباء اليسوعيين: «الشيطان الذى هو رئيس هذا العالم سيخزيه ويدينه» كما قال: «وأما على الدينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين» (يوحنا ١٦ : ١١) انظر حواش على الكتاب المقدس للآباء اليسوعيين — المجلد الثالث.

العالم وتأمل قول المسيح فى هذه البشارة التى لا ينكرونها : « إن اركون العالم سيأتى وليس لى من الأمر شيء » كيف ؟ وهى شاهدة بنبوة المسيح ونبوة محمد معاً فإنه لما جاء صار الأمر له دون المسيح . فوجب على العالم كلهم طاعته والانقياد لأمره وصار الأمر له حقيقة . ولم يبق بأيدي النصارى إلا دين باطله أضعاف أضعاف حقه ، وحقه منسوخ بما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ، فطابق قول المسيح قول أخيه محمد صلى الله عليه وسلم : « ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيحكم بكتاب ربكم » ، وقوله فى اللفظ الآخر : « يأتىكم بكتاب ربكم » ، فطابق قول الرسولين الكريمين وبشر الأول بالثانى وصدق الثانى بالأول .

وتأمل قوله فى البشارة الأخرى ، ألم تر إلى الحجر الذى أخره البناؤون صار أساً للزاوية ؟ كيف تجده مطابقاً لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنة منها ، فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ، ويقولون هلاً وضعت تلك اللبنة ؟ فكنت أنا تلك اللبنة » .

وتأمل قول المسيح فى هذه البشارة : « إن ذلك عجيب فى أعيننا » وتأمل قوله فيها : « إن ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى » كيف تجده مطابقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٣٩) وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤٠) وتأمل قوله فى الفار قليط البشر به : « يفشى لكم الأسرار ، ويفسر لكم كل شيء ، فإنى أجيثكم بالأمثال وهو يتأتىكم بالتأويل » وكيف تجده مطابقاً

للواقع من كل وجه ولقوله تعالى: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٤١)، ولقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٢)؟

وإذا تأملت التوراة والإنجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كالتفصيل لمجملها والتأويل لأمثالها والشرح لرموزها، وهذا حقيقة قول المسيح: «أجيئكم بالأمثال وبمجيئكم بالتأويل، ويفسر لكم كل شيء»، وإذا تأملت قوله: (وكل شيء عده الله لكم به) وتفاصيل ما أخبر به من الجنة والنار والثواب والعقاب تيقنت صدق الرسولين الكريمين، ومطابقة الاخبار المفصلة من محمد صلى الله عليه وسلم للخبر المجمل من أخيه المسيح.

وتأمل قوله في الفار قليط: «وهو يشهد لى كما شهدت له» كيف تجده منطبقاً على محمد بن عبد الله، وكيف تجده شاهداً بصدق الرسولين، وكيف تجده صريحاً فى رجل يأتى بعد المسيح يشهد له بأنه عبد الله ورسوله كما شهد له المسيح؟! فلقد أذن المسيح بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليها أذاناً لم يؤذنه نبي قبله، وأعلن بتكبير ربه أنى تكون له صاحبة أو ولد؟ ثم رفع صوته بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم أعلن بشهادة أن محمداً عبده ورسوله الشاهد له بنبوته المؤيد بروح الحق الذى لا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بما يوحى إليه ويعلمهم كل شيء ويخبرهم ما أعد الله لهم، ثم رفع صوته بحى على الفلاح باتباعه والإيمان به وتصديقه وأنه ليس له من الأمر معه شيء، وختم التأذين بأن ملكوت الله سيؤخذ ممن كذبه ويدفع إلى أتباعه والمؤمنين به، فهلك من هلك عن بينة وعاش من عاش عن بينة فاستجاب أتباع المسيح حقاً لهذا التأذين، وأباه الكافرون والجاحدون،

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّعُكَ دَرَأَفِكَ إِلَى مُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٣).

وهذه بشارة بأن المسلمين لا يزالون فوق النصارى إلى يوم القيامة فإن المسلمين هم أتباع المرسلين فى الحقيقة وأتباع جميع الأنبياء لا أعداؤه، وأعداؤه عباد الصليب الذين رضوا أن يكون إلهاً مصفوعاً مصلوباً مقتولاً ولم يرضوا أن يكون نبياً عبداً لله وجيهاً عنده مقرباً لديه، فهؤلاء أعداؤه حقاً والمسلمون أتباعه حقاً.

والمقصود أن بشارة المسيح بالنبي صلى الله عليه وسلم فوق كل بشارة لما كان أقرب الأنبياء إليه وأولاهم به وليس بينه وبينه نبى .
وتأمل قول المسيح : « إن اركون العالم سيأتى » واركون العالم هو سيد العالم وعظيمه . ومن الذى ساد العالم وأطاعه العالم بعد المسيح غير النبى صلى الله عليه وسلم ؟ ! وتأمل قول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سئل ما أول أمرك قال : « أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى » .
وطابق بين هذا وبين هذه البشارات التى ذكرها المسيح ، فمن الذى ساد العالم باطناً وظاهراً وانقادت له القلوب والأجساد وأطيع فى السر والعلانية فى محياه وبعد مماته فى جميع الأعصار ، وأفضل الأقاليم والأمصار ، وسارت دعوته مسير الشمس ، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار ، ونخرت لمحيئه الأمم على الأذقان ، وبطلت به عبادة الأوثان ، وقامت به دعوة الرحمن ، واضمحلت به دعوة الشيطان ، وأذل الكافرين والجاحدين ، وأعز المؤمنين وجاء بالحق وصدق المرسلين ، حتى أعلن بالتوحيد على رؤوس الأشهاد ، وعبد الله وحده لا شريك له فى كل حاضر وباد ، وامتلاأت به الأرض تحميداً وتكبيراً لله وتهليلاً ، وتسبيحاً ، واكتست به بعد الظلم والظلام عدلاً ونوراً ؟

(٤٣) آل عمران ٥٥ .

وطابق بين قول المسيح : « ان اركون العالم سيأتيكم » وقول أخيه محمد صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائى ، وانا خطيب الأنبياء إذا وفدوا وإمامهم إذا اجتمعوا ومبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدى ، وانا أكرم ولد آدم على ربى » . وفى قول المسيح فى هذه البشارة « وليس لى من الأمر شىء » إشارة إلى التوحيد وأن الأمر كله لله ، فتضمنت هذه البشارة أصلى الدين : إثبات التوحيد ، وإثبات النبوة وهذا الذى قاله المسيح مطابق لما جاء به أخوه محمد بن عبد الله عن ربه من قوله له : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ (٤٤) فن تأمل حال الرسولين الكريمين ودعوتها وجدهما متوافقين متطابقين حذو القذة بالقذة ، وأنه لا يمكن التصديق بأحدهما مع التكذيب بالآخر البتة ، وأن المكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد تكذيباً للمسيح الذى هو المسيح بن مريم عبد الله ورسوله ؛ وإن آمن بمسيح لا حقيقة له ولا وجود وهو أبطل الباطل ، وقد قال يوحنا فى رسالته الأولى : « أحبببى إياكم أن تؤمنوا بكل روح ، لكن ميزوا الأرواح التى من عند الله من غيرها واعلموا أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسداً ففى من عند الله وكل روح لا تؤمن بأن المسيح قد جاء وكان جسداً فليست من عند الله بل من المسيح الكذاب الذى هو الآن فى العالم » (٤٥) .

فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذى جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذى هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ؛ والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعا إلى عبادة نفسه وأمه وأنه ثالث ثلاثة وأنه الله وابن الله ، وهذا هو اخو المسيح الكذاب لو كان له

(٤٤) آل عمران ١٢٨ .

(٤٥) النص فى الاصحاح الرابع من رسالة يوحنا الأولى الآية الأولى وما بعدها . وفى الأصل : يوحنا فى كتاب اخبار الحواريين وهو : يسمونه أفراكيس .

وجود، فإن المسيح الكذاب يزعم أنه الله، والنصارى فى الحقيقة أتباع هذا المسيح، كما أن اليهود إنما ينتظرون خروجه، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبى الذى بشروا به، فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الإيمان به انتظاراً للمسيح الدجال. وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل.

وأصل هذا أن إبليس لما أعرض عن السجود لآدم كبراً أن يخضع له تعوض بذلك ذل القيادة لكل فاسق ويجرم من بنيه، فلا بتلك النخوة ولا بهذه الحرفة، والنصارى لما أنفوا أن يكون المسيح عبداً لله تعوضوا من هذه الأنفة بأن رضوا بجعله مصفعة اليهود ومصلوهم الذى يسخرون منه ويهزأون به، ثم عقدوا له تاجاً من الشوك بدل تاج الملك، وساقوه فى حبل إلى خشبة الصليب يصفقون حوله ويرقصون. فلا بتلك الأنفة له من عبودية الله ولا بهذه النسبة له إلى أعظم الذل والضيق والقهر، وكذلك أنفوا أن يكون للبتريك والراهب زوجة أو ولد وجعلوا لله رب العالمين الولد، وكذلك أنفوا أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ويطيعوا عبده ورسوله ثم رضوا بعبادة الصليب والصور المصنوعة بالأيدى فى الحيطان وطاعة كل من يحرم عليهم ما شاء ويحلل لهم ما شاء ويشرع لهم من الدين ما شاء من تلقاء نفسه.

ونظير هذا التعويض أنفة الجهمية أن يكون الله سبحانه فوق سماواته على عرشه بائناً من خلقه حتى لا يكون محصوراً بزعمهم فى جهة معينة ثم قالوا هو فى كل مكان بذاته. فحصره فى الآبار والسجون والأنجاس والأخبثات، وعوضوه بهذه الأمكنة عن عرشه المجيد. فليتأمل العاقل لعب الشيطان بعقول هذا الخلق، وضحكه عليهم، واستهزائه بهم!!

وقول المسيح: «إذا انطلقت أرسلته إليكم» معناه أنى أرسله بدعاء ربه وطلبى منه أن يرسله، كما يطلب الطالب من ولى الأمر أن يرسل رسولا أو يولى نائباً أو يعطى أحداً، فيقول أنا أرسلت هذا ووليته

وأعطيته . يعنى أنى كنت سبباً فى ذلك فإن الله سبحانه إذا قضى أن يكون الشئ فإنه يقدر له أسباباً يكون بها ، ومن تلك الأسباب دعاء بعض عباده بأن يفعل ذلك فيكون فى ذلك من النعمة إجابة دعائه مضافاً إلى نعمته بإيجاد ما قضى كونه ، ومحمد صلى الله عليه وسلم قد دعا به الخليل أبوه فقال : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤٦) ، مع أن الله سبحانه قد قضى بإرساله وأعلن باسمه قبل ذلك ، كما قيل له : يا رسول الله .. متى كنت نبياً ؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » ، وقال : « إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طيئته » (٤٧) . وهذا كما قضى الله سبحانه نصره يوم بدر ، ومن أسباب ذلك استعانته بربه ودعاؤه وابتهاله بالنصر ، وكذلك ما يقضيه من إنزال الغيث قد يجعله بسبب ابتهال عباده ودعائهم وتضرعهم إليه ، وكذلك ما يقضيه من مغفرة ورحمة وهداية ونصر قد يسبب له أدعية يحصل بها ممن ينال ذلك أو من غيره ، فلا يمتنع أن يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده أن يرسل أخاه محمداً إلى العالم ، ويكون ذلك من أسباب الرسالة المضافة إلى دعوة أبيه إبراهيم ، لكن إبراهيم سأل ربه أن يرسله فى الدنيا فلذلك ذكره الله سبحانه ، وأما المسيح فإنما سأله بعد رفعه وصعوده إلى السماء .

وتأمل قول المسيح : « إني لست أدعكم أيتاماً لأننى سأبقيكم عن قريب » كيف هو مطابق لقول أخيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليها : « ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، واماماً مقسطاً ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية » ، وأوصى أمته بأن :

(٤٦) البقرة ١٢٩ .

(٤٧) فى هذه المعنى وردت آيات كثيرة فى أنجيل برنابا .

«يقرئه السلام منه من لقيه منهم» ، وفي حديث آخر: كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها» ؟ !

وقد تقدم نص التوراة: «تجلى الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران» ، قال علماء الإسلام — وهذا لفظ أبى محمد بن قتيبة — ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض لأن مجيء الله من طور سيناء إنزاله التوراة على موسى من طور سيناء كالذى هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون «إشراقه من ساعير» إنزاله الإنجيل على المسيح ، وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة ، وباسمها تسمى من اتبع نصارى ، وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب أن يكون «استعلامه من جبال فاران» إنزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، وجبال فاران هي جبال مكة .

قال : وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة ، فإن ادَّعوا أنها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم ، قلنا أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران ؟ ! وقلنا دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبي الذى أنزل عليه كتاباً بعد المسيح ؟ ! أو ليس استعلن وعلن بمعنى واحد ، وهما ظهر وانكشف فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور دين الإسلام وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه ؟ ! قال علماء الإسلام «وساعير» جبل بالشام منه ظهور نبوة المسيح ، وإلى جانبه قرية بيت لحم ، القرية التى ولد فيها المسيح تسمى اليوم «ساعير» ولها جبال تسمى ساعير ، وفي التوراة أن نسل العيص كانوا سكاناً بساعير ، وأمر الله موسى الا يؤذيهم .

قال شتيخ الإسلام (٤٨) وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال الثلاثة «حراء» الذى ليس حول مكة أعلى منه ، وفيه ابتدئ رسول الله صلى

(٤٨) ابن تيمية رحمة الله .

الله عليه وسلم بنزول الوحي عليه ، وحوله جبال كثيرة ، وذلك المكان يسمى فاران إلى هذا اليوم ، والبرية التى بين مكة وطور سينا تسمى برية فاران ، ولا يمكن لأحد أن يدعى أنه بعد المسيح نزل كتاب فى شىء من تلك الأرض ولا بعث نبي .

فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو سبحانه ذكر هذا فى التوراة على ترتيب الزمان ، فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن ، وهذه الكتب نور الله وهده ، وقال فى الأول : « جاء وظهر » ، وفى الثانى « أشرق » ، وفى الثالث « استعلن » فكان مجئ التوراة مثل طلوع الفجر ، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس ، ونزول القرآن بمنزلة ظهور الشمس فى السماء ، ولهذا قال « واستعلن من جبال فاران » فإن محمداً صلى الله عليه وسلم ظهر به نور الله وهده فى مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس فى مشارق الأرض ومغاربها إذا استعلنت وتوسطت السماء ؛ ولهذا سماه الله « سراجاً منيراً » وسمى الشمس « سراجاً وهاجاً » والخلق يحتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج ؛ فإن هذا يحتاجون إليه فى وقت دون وقت ، وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت وفى كل مكان ليلاً ونهاراً سرّاً وعلانية .

وقد ذكر الله تعالى هذه الأماكن الثلاثة فى قوله : (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) فالتين والزيتون هو فى الأرض المقدسة التى بعث منها المسيح ، وأنزل عليه فيها الإنجيل (وطور سينين) وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى تكليماً وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة التى فيه ، وأقسم (بالبلد الأمين) وهو مكة التى أسكن إبراهيم واسماعيل وأمه فيه وهو فاران كما تقدم ، ولما كان ما فى التوراة خبراً عن ذلك أخبر به على الترتيب الزمانى ، فقدم

الأسبق، ثم الذى يليه، وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيماً لشأنها وإظهاراً لقدرته وآياته وكتبه ورسله، فأقسم بها على وجه التدرّج درجة بعد درجة، فبدأ بالعالى، ثم انتقل إلى أعلا منه، ثم أعلا منها فإن أشرف الكتب القرآن، ثم التوراة، ثم الإنجيل، وكذلك الأنبياء

وهذا الذى ذكره ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين. من تأمل التوراة وجدها ناطقة به صريحة فيه فإن فيها «وعد إبراهيم بأخذ الغلام وأخذ خبزاً وسقاء من ماء ودفعه إلى هاجر وحمله عليها، وقال لها اذهبي، فانطلقت هاجر، ونفذ الماء الذى كان معها، فطرح الغلام تحت شجرة، وجلست مقابلته على مقدار رمية الحجر لئلا تبصر الغلام حين يموت، ورفعت صوتها بالبكاء، وسمع الله صوت الغلام حيث هو، فقال لها الملك، قومي فاحملى الغلام وشدى يدك به فإنى جاعله لأمة عظيمة، وفتح الله عينها فبصرت ببئر ماء فسقت الغلام وملأت سقاها، وكان الله مع الغلام فتربى وسكن فى بركة فاران» (٤٩)، فهذا نص التوراة أن اسماعيل ربي وسكن فى بركة فاران بعد أن كاد يموت من العطش، وأن الله سقاه من بئر ماء، وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم أن اسماعيل إنما ربي بمكة، وهو أبوه إبراهيم بنى البيت، فعلم قطعاً أن «فاران» هى أرض مكة.

ومثل هذه البشارة من كلام حبقوق (٥٠) فيما قبلوه ورضوا ترجمته «جاء الله من جبال فاران، وامتألت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته» (٥١) ولم يخرج أحد من جبال فاران التى امتألت

(٤٩) سفر التكوين الاصحاح الحادى والعشرون.

(٥٠) فى الاصحاح شمعون. ولاحظ أن النص الذى سيذكره المؤلف هو الذى

سيذكره حين يقول «ونظير هذا ما نقلوه... الخ».

(٥١) نص العبارة: «الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. سلاه.

جلاله غطى السموات والأرض امتألت من تسبيحه... الخ» (حبقوق ٣: ٢-٣) ويشير بالقدوس الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى النبى الطاهر.

السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته سوى محمد صلى الله عليه وسلم، فإن المسيح لم يكن بأرض فاران البتة، وموسى إنما كلم من الطور والطور ليس من أرض فاران، وإن كانت البرية التي بين مكة والطور تسمى برية فاران فلم ينزل الله فيها التوراة، وبشارة التوراة قد تقدمت بجبل الطور، وبشارة الإنجيل بجبل ساعير.

ونظير هذا ما نقلوه ورضوا ترجمته في نبوة حبقوق «جاء الله من التيمن، وظهر القدس على جبال فاران، وامتلأت الأرض من تميميد أحمد، وملك بيمينه رقاب الأمم، وأنارت الأرض لنوره، وحملت خيله في البحر» (٥٢)، قال ابن قتيبة: وزاد فيه بعض أهل الكتاب «وستنزع في قسيك اعراقا وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء» (٥٣) وهذا إفصاح باسمه وصفاته، فإن ادعوا أنه غيره فن أحمد هذا الذي امتلأت الأرض من تميميده، الذي جاء من جبال فاران فلك رقاب الأمم؟

(الوجه السادس).. قوله في الفصل التاسع من السفر الأول من التوراة «أن هاجر لما فارقت سارة وخاطبها الملك فقال يا هاجر من أين أقبلت؟ وإلى أين تريدين؟ فلما شرحت له الحال قال ارجعي فاني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون، وها أنت تحبلين وتلدين ابنا اسمه اسماعيل؛ لأن الله قد سمع ذلك وخضوعك، وولدك يكون وحش الناس، يده فوق يد الجميع، ويد الكل به، ويكون مسكنه على تخوم جميع اخوته» (٥٤).

(٥٢) التعليق السابق.

(٥٣) عبارة ابن قتيبة بالمعنى. أى أن الذى أفهم ابن قتيبة الغرض من كلام حبقوق أفهمه أن النص يشير الى محمد. فكتب ابن قتيبة على ما فهم. لكن ظاهر اللفظ ليس فيه «يا محمد».

(٥٤) الاصحاح السادس عشر من سفر التكوين.

قال المستخرجون لهذه البشارة: معلوم أن يد بنى اسماعيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن فوق أيدي بنى اسحق؛ بل كان في أيدي بنى اسحق النبوة والكتاب، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب فلم يكن لبنى اسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بعث موسى وكانوا مع موسى من أعز أهل الأرض ولم يكن لأحد عليهم يد، ولذلك كانوا مع يشوع^(٥٥) إلى زمن داود وملك سليمان الملك الذى لم يئث أحداً مثله فلم يكن يد بنى اسماعيل عليهم، ثم بعث الله المسيح فكفروا به وكذبوه فدمر عليهم تكذيبهم إياه وزال ملكهم ولم يبق لهم بعده قائمة، وقطعهم الله فى الأرض أمما.

وكانوا تحت حكم الروم والفرس وغيرهم^(٥٦)، ولم يكن يد ولد اسماعيل عليهم فى هذا الحال، ولا كانت فوق يد الجميع إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم برسالاته وأكرمه الله بنبوته فصارت بمبعثه يد بنى اسماعيل فوق الجميع، فلم يبق فى الأرض سلطان أعز من سلطانهم بحيث قهروا سلطان فارس والروم والترك والديلم، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وعباد الأصنام، فظهر بذلك تأويل قوله فى التوراة «ويكون يده فوق يد الجميع، ويد الكل» وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر.

قالت اليهود: نحن لا ننكر هذا؛ ولكن إن هذه بشارة بملكه وظهوره وقهره لا برسالاته ونبوته. قالت المسلمون: الملك ملكان، ملك ليس معه نبوة بل ملك جبار متسلط، وملك نفسه نبوة، والبشارة لم تقع بالملك الأول؛ ولا سيما إن ادعى صاحبه النبوة والرسالة وهو كاذب مفتر على الله فهو من شر الخلق وأفجرهم وأكفرهم، فهذا لا تقع البشارة بملكه وإنما يقع التحذير من فتنته كما وقع التحذير من فتنة الدجال، بل هذا

(٥٥) يشوع يكتب أحيانا: يوشع.

(٥٦) عبارة الاصل وقهرهم. بدل وغيرهم.

شر من سنحاريب وبخت نصر^(٥٧) والملوك الظلمة الفجرة الذين يكذبون على الله ، فالأخيار لا تكون بشارة ، ولا تفرح به هاجر وإبراهيم ، ولا بشر أحد بذلك ، ولا يكون ذلك إثابة لها من خضوعها وذلها وأن الله قد سمع ذلك ويعظم هذا المولود ويجعله لأمة عظيمة ، وهذا عند الجاحدين بمنزلة أن يقال : إنك ستلدين جبارا ظالماً طاغياً يقهر الناس بالباطل ، ويقتل أولياء الله ، ويسبي حريمهم ، ويأخذ أموالهم بالباطل ، ويبدل أديان الأنبياء ، ويكذب على الله ، ونحو ذلك فن حمل هذه البشارة على هذا فهو من أعظم الخلق بهتاناً وقرية على الله ، وليس هذا بمستنكر لأمة الغضب ، وقتلة الأنبياء وقوم البهت .

(الوجه السابع) .. قول داود في الزبور : «سبحوا الله تسبيحا جديداً ، وليفرح إسرائيل بخالقه ، وبنو صهيون من أجل أن الله اصطفي له أمة وأعطاهم النصر ، وسدد الصالحين بالكرامة يسبحون على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين ، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه ، يوثقون ملوكهم بالقيود ، واشرافهم بالأغلال»^(٥٨) .

وهذه الصفات إنما تنطبق على محمد وأمته ، فهم الذين يكبرون الله

(٥٧) في التراجم الحديثة : نبوخذ ناصر أو نبوكد ناصر .

(٥٨) نص المزمور (الزبور) هكذا : هلوليا . رغبوا للرب ترنيا جديدا . أقيموا تسبيحته في مجمع الأصفياء . ليفرح إسرائيل بصانعه . ليبتهج بنو صهيون بملكهم . ليسبحوا اسمه بالرقص . ليشيدوا له بالدف والكنارة فان الرب يرضى من شعبه . يجمل الودعاء بخلاصه . يبتهج الأصفياء في المجد . يرغبون على أسرهم . تعظيم الله في أفواههم وبأيديهم سيف ذو حدين . لاجراء الانتقام على الأمم والتأديب على الشعوب . لا يثاف الملوك بالقيود ، وشرفائهم بكيول من حديد . بمضوا عليهم القضاء المكتوب . هذا فخر يكون لجميع أصفياه . هلوليا » (المزمور المائة والتاسع والأربعون)

ولاحظ : أن في هذا المزمور مثل الأمة الإسلامية الذي أشارت اليه سورة الفتح في القرآن الكريم .

بأصواتهم المرتفعة فى أذانهم للصلوات الخمس وعلى الأماكن العالية ، قال جابر: « كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم إذا علونا كبرنا ، وإذا هبطنا سبحنا ، فوضعت الصلاة على ذلك » وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة فى الأذان ، وفى عيد الفطر ، وعيد النحر ، وفى عشر ذى الحجة ، وعقيب الصلوات فى أيام منى ، وذكر البخارى عن عمر بن الخطاب أنه كان يكبر بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره ، فيسمعونهم أهل الأسواق فيكبرون ، حتى ترتج منى تكبيرا ، وكان أبو هريرة وابن عمر يخرجان إلى السوق أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ، ويكبرون أيضاً على قرابينهم وضحاياهم ، وعند رمى الجمار ، وعلى الصفا والمروة ، وعند محاذاة الحجر الأسود ، وفى أدبار الصلوات الخمس ؛ وليس هذا لأحد من الأمم لا أهل الكتاب ولا غيرهم سواهم ، فإن اليهود يجمعون الناس بالبوق ، والنصارى بالناقوس ، وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة فشعار محمد بن عبد الله وأمته وقوله « بأيديهم سيوف ذات شفرتين » فهى السيوف العربية التى فتح الصحابة بها البلاد ، وهى إلى اليوم معروفة لهم . وقوله (يسبحون على مضاجعهم) هو نعت للمؤمنين ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (٥٩) ومعلوم قطعاً أن هذه البشارة لا تنطبق على النصارى ولا تناسبهم ؛ فإنهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة ، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين ينتقم الله بهم من الأمم ، والنصارى تعيب من يقاتل الكفار بالسيف ، وفيهم من يجعل هذا من أسباب التنفير عن محمد صلى الله عليه وسلم ، ولجهلهم وضلالهم لا يعلمون أن موسى قاتل الكفار ، وبعده يوشع بن نون ، وبعده داود وسليمان وغيرهم من الأنبياء ، وقبلهم إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(٥٩) الآية رقم ١٩١ آل عمران .

(الوجه الثامن).. قول داود: «ومن أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد فتقلد أيها الجبار السيف، لأن البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك، أركب كلمة الحق، وسبحت التأله؛ فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك» (٦٠).
وليس متقلد السيف بعد داود من الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذى خرت الأمم تحته، وقرنت شرائعه بالهبة.. إما القبول وإما الجزية، وإما السيف. وهذا مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» وقد أخبر داود أن له ناموساً وشرائع، وخاطبه بلفظ الجبار إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله؛ بخلاف المستضعف المقهور، وهو صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، ونبي الملحمة، وأتمته أشداء على الكفار رحماء بينهم، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، بخلاف الأذلاء المقهورين المستكبرين، الذين يذلون لأعداء الله ويتكبرون عن قبول الحق.

(٦٠) نص المزمور هكذا: «فاض قلبى بكلام صالح... الخ أقول أعمالي للملك. لسانى قلم كاتب سريع. أنك أبهى جالا من بنى آدم. وقد انسكبت النعمة على شفتيك. فلذلك باركك الله الى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك. وبهائك أنجح وأركب لأمر الحق والدعة والبر فتعلمك يمينك المخاوف. نبالك مسنونة وشعوب تحتك يسقطون. هى فى قلوب أعداء الملك. عرشك يا الله اله الدهر والأبد وصولجان ملكك صولجان أستقامة. أحببت البر وأبغضت النفاق. لذلك مسحك الهك يا الله بدهن البهجة أفضل من شركائك. جميع ثيابك مر وعود وسليخة. من هياكل العاج قد أطربتك الأوتار. بنات الملوك من كرائيك. قامت الملكة عن يمينك بذهب أو فير. أسمعى يا بنت وأنظرى وأميلى أذنك. انسى شعبك وبيت أبيك. فيصير الملك اله حسنك. أنه هو السيد الهك وله تسجدين. وبنت صور أغنياء الشعب تستعطف وجهك بالهدايا. بنت الملك جميع مجدها فى الداخل ولبوسها من نسائج الذهب. تزف اله الملك فى رياش موشاه وفى أثرها عذارى صواحبه يحضرن اليك. يرقصن بفرح وأبتهاج. يحضرن فى هيكلك الملك. يكون بنوك عوضا من آبائك، تقيمهم رؤساء على جميع الأرض. سأذكر أسمك فى كل جيل فجيل. لذلك يعترف لك الشعوب الى الدهر والأبد» (المزمور الرابع — ترجمة الكاثوليك).

(الوجه التاسع) .. قول داود فى زمور آخر: «إن الله سبحانه أظهر من صهيون إكليلا محموداً» (٦١)، وضرب الإكليل مثلاً للرياسة والإمامة، ومحمود (٦٢) وهو (فى معنى اسم) محمد صلى الله عليه وسلم، وقال فى صفته «ويحوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، وإنه لتخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، وتلحس أعداؤه التراب تأتيه ملوك الفرس وتسجد له، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، ويخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ويرأف بالمساكين والضعفاء ويصلى عليه فى كل وقت ويبارك» (٦٣).

ولا يشك عاقل تدبر أمور الممالك والنبوات وعرف سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة أمته من بعده أن هذه الأوصاف لا تنطبق إلا عليه وعلى أمته لا على المسيح ولا على نبي غيره، فإنه حاز من البحر الرومى إلى البحر الفارسى، ومن لدن الأنهار جيحون وسيحون والفرات إلى منقطع الأرض بالغرب، وهذا مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم:

(٦١) النص فى المزمور الخمسين وأوله «اله الالهة الرب يتكلم ودعا الارض من مشرق الشمس الى مغاربها. من صهيون كمال الجمال. الله أشرف... الخ» وفى ترجمة الكاثوليك «... من صهيون ذات الجمال الكامل تجلى الله» ولاحظ أن نبوءات الزبور عن نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم بالوصف لا بالاسم. ودلالة الأوصاف على بنى الاسلام تأتى من أن لاسماعيل بركة كما نص كتاب موسى. فلا بد وأن يكون منه نبي تبدأ البركة به. وقول المؤلف أن ترجمته فيها «محمودا» قول صحيح. ولكنهم لا يعنون به أساء. لأى انسان. وانما يعنون صفة. ولو كان اليهود يعدون العدة للايمان بنبي الاسلام اذا ظهر. لتركوا اسمه الصريح وأوصافه كما بين الله من قبل أن يحرفوا.

(٦٢) عبارة الأصل: ومحمود هو محمد. (أنظر التعليق السابق)

(٦٣) النص فى المزمور الحادى والسبعين ترجمة الكاثوليك والثانى والسبعين ترجمة البروتستانت ولاحظ: أن الترجمة التى ينقل عنها المؤلف شبهه بترجمة الكاثوليك — الآباء اليسوعيين المطبوعة فى بيروت سنة ١٩٦٨م

(زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغارها، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها) وهو الذى يصلى عليه ويبارك فى كل حين وفى كل صلاة من الصلوات الخمس وغيرها، وهو الذى خرت أهل الجزائر بين يديه: أهل جزيرة العرب، وأهل الجزيرة التى بين الفرات ودجلة وأهل جزيرة الأندلس، وأهل جزيرة قبرص، وخضعت له ملوك الفرس فلم يبق فيهم إلا من أسلم أو أدى الجزية عن يد وهم صاغرون؛ بخلاف ملوك الروم فإن فيهم من لم يسلم ولم يؤد الجزية، فلهذا ذكر فى البشارة ملوك الفرس خاصة، ودانت له الأمم التى سمعت به وبأمرته، فهم بين مؤمن به ومسلم له ومنافق معه وخائف منه، وأنقذ الضعفاء من الجبارين؛ وهذا بخلاف المسيح فإنه لم يتمكن فى حياته، ولا من اتبعه بعد رفعه إلى السماء، ولا حازوا ما ذكر، ولا يصلون عليه ويباركون فى اليوم والليلة؛ فإن القوم يدعون إلهيته (٦٤) ويصلون له.

(الوجه العاشر).. قوله فى مزمور آخر «لترتاح البوادي وقراها ولتصير أرض قيذار مروجاً، ولتسبح سكال الكهوف وهتفوا من قلال الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسابيحهم فى الجوى» (٦٥).

فَمَنْ أهل البوادي من الأمم سوى أمة محمد، ومن «قيذار» غير ولد اسماعيل أحد أجداده صلى الله عليه وسلم؟! ومن سكان الكهوف وقلال الجبال سوى العرب؟! ومن هذا الذى دام ذكره إلى الأبد غيره؟!

(الوجه الحادى عشر).. قوله فى مزمور آخر: «إن ربنا عظم محموداً» (٦٦) وفى مكان آخر «إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها

(٦٤) عبارة الأصل: يدعون الإلهية سدس.

(٦٥) العبارة فى الأصحاح الثانى والأربعين من سفر أشعياء. وفى بعض المزامير

بالمعنى.

(٦٦) التعليق الحادى والستون. وانظر أيضاً المزامير ٤٨ و ٦٧ و ١١١ و ١١٨.

فرحاً» (٦٧) فقد نص داود على اسم محمد وبلده وأن كلمته قد عمت الأرض .

(الوجه الثانى عشر) .. قوله فى الزبور لداود: «سيولد لك ولد ادعى له أباً ويدعى لى ابناً اللهم ابعث جاعل السنة كى يعلم الناس أنه بشر» (٦٨) .

وهذه أخبار عن المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهورهما بزمان طويل ، يريد ابعث محمداً حتى يعلم الناس أن المسيح بشر ليس إلهاً ، وأنه ابن البشر لا ابن خالق البشر، فبعث الله هادى الأمة وكاشف الغمة فبين للأمم حقيقة أمر المسيح وأنه عبد كريم ونبى مرسل ؛ لا كما ادعته فيه النصارى ولا كما رمت به اليهود .

(الوجه الثالث عشر) .. قوله فى نبوة أشعيا : « قيل لى أقم نظارا فانظر ما يرى تخبر به ، قلت أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل ، يقول أحدهما لصاحبه : سقطت بابل وأصنامها للأرض » (٦٩) .

(٦٧) التعليق الحادى والستون أيضا .

(٦٨) يشير المؤلف الى المزمور التاسع والثمانين . وقد فهم المؤلف رحمه الله : أن الابن المبشر به لداود عليه السلام فى قول الله له «سيولد لك ولد . ادعى له أباً ، ويدعى له ابناً» هو المسيح عيسى عليه السلام . وقال : ان داود قال لله : ابعث محمدا صلى الله عليه وسلم جاعل السنة ليعلم الناس أن المسيح عيسى بشر . وليس الها أو ابن اله . والصحيح : أن الابن المبشر به لداود هو سليمان ابنه . وليس المسيح عيسى كما جاء فى الأصحاح السابع من سفر صموئيل الثانى . وأما عبارة «اللهم أبعث جاعل السنة» أى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى معناها آيات كثيرة فى المزامير (انظر تعليقاتنا على منظومة الأمام الأبوصيرى فى الرد على النصارى واليهود)

(٦٩) النص فى الإصحاح الحادى والعشرين من سفر أشعيا وهو هكذا : «لانه هكذا قال لى السية : اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى . فرأى ركاباً أزواج فرسان . ركاب حمير ركاب جمال . فأصغى اصغاء شديداً ، ثم صرخ كأسد أيها السيد أنا قائم على المرصد دائماً فى النهار . وأنا واقف على المحرس كل الليالى . وهوذا ركاب من الرجال أزواج من

وصاحب الحمار عندنا وعند النصارى هو المسيح، وراكب الجمل هو محمد صلوات الله وسلامه عليها، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار، وبمحمد صلى الله عليه وسلم سقطت أصنام بابل لا بالمسيح، ولم يزل فى إقليم بابل من يعبد الأوثان من عهد إبراهيم الخليل إلى أن سقطت بمحمد صلى الله عليه وسلم.

(الوجه الرابع عشر) .. قوله فى نبوة أشعيا أنه قال عن مكة : « ارفعى إلى ما حولك بصرك، فستبهجين وتفرحين من أجل أن الله تعالى يصير إليك ذخائر البحر، وتنج إليك عساكر الأمم، حتى تعم بك قطر الإبل المؤبلة، وتضيّق أرضك عن المقطرات التى تجتمع إليك، وتساق إليك كباش مدين، وتأتيك أهل سبأ وتسير إليك أغنام فاران، وتخدمك رجل نبايوت» (٧٠). يريد سدنة الكعبة وهم أولاد نبايوت بن اسماعيل.

قالوا فهذه الصفات كلها حصلت لمكة، فإنها حُمِلَتْ إليها ذخائر البحر، وحج إليها عساكر الأمم، وسبق إليها أغنام فاران هدايا وأصاحى وقرابين، وضاقّت الأرض عن قطرات الإبل المؤبلة الحاملة للناس وأزوادهم، وأتاها أهل سبأ وهم أهل اليمن.

(الوجه الخامس عشر) .. قول أشعيا فى مكة أيضاً: «وقد أقسمت بنفسى كقسمى أيام نوح أنى أغرق الأرض بالطوفان إنى لا أسخط عليك ولا أرفضك، وإن الجبال تزول وإن القلاع تنحط ورحمتى عليك لا تزول».

الفرسان. فأجاب وقال: سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرهما الى الأرض (اشعيا ٢١ : ٦-٩) انظر التعليق الثالث عشر فى السؤال الثانى من هذا الكتاب.

(٧٠) النص فى الإصحاح الستين من سفر أشعيا الى الآية السابعة

ثم قال : « يامسكينة ، يامضطهدة ! هاأنا ذا بان بالحسن حجارتك ، ومزينك بالجواهر ، ومككل بالؤلؤ سقفك ، وبالزبرجد أبوابك ، وتبعدين من الظلم فلا تخافى ، ومن الضعف فلا تضعفى ، وكل سلاح يصنعه صانع فلا يعمل فيك ، وكل لسان ولغة تقوم معك بالخصومة تفلحين معها ، ويسميك الله اسماً جديداً — يريد أنه سماها المسجد الحرام — فقومى فأشرقى فإنه قد دنا نورك ، وقار الله عليك ، انظرى بعينيك حولك ، فإنهم مجتمعون . يأتونك بنوك وبناتك عدواً فحينئذ تسرين وتزهوين ، ويخاف عدوك ، وليتسع قلبك ، وكل غنم قيدار تجتمع إليك ، وسادات نبايوت يخدمونك » .

« ونبايوت » هم أولاً نبايوت بن اسماعيل . « وقيدار » جد النبی صلی الله عليه وسلم ، وهو أخو نبايوت بن اسماعيل .
ثم قال : « وتفتح أبوابك بالليل والنهار لا تغلق ، ويتخذونك قبلة ، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب » (٧١) .

(الوجه السادس عشر) .. قوله أيضاً فى مكة : « سرى واهترى أيتها العاقر التى لم تلد وانطقى بالتسييح ، وافرحى ولم تحبلى ، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلى » (٧٢) .

يعنى بأهله : بيت المقدس ، ويعنى بالعاقر : مكة ، لأنها لم تلد قبل محمد النبى صلی الله عليه وسلم نبياً ، ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحي ، وقد ولد أنبياء كثيرين .
(الوجه السابع عشر) .. قول أشعياء أيضاً لمكة شرفها الله : « إني أعطى البادية كرامة لبنان وبهاء كرمل » ، وهما الشام وبيت المقدس ؛

(٧١) النص فى الاصحاح الرابع والخمسين من أشعياء وهو نص الوجه السادس

عشر نص واحد .

(٧٢) النص فى الاصحاح الرابع والخمسين من أشعياء .

يريد أجعل الكرامة التي كانت هناك بالوحي ، فى ظهور الأنبياء للبادية بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالحج .

ثم قال : « ويشق البادية مياه وسواق فى الأرض الفلاة ، ويكون بالفيافى والأماكن العطاش ينابيع ومياه ، ويصير هناك محجة وطريق الحرام ، لا يمر به أنجاس الأمم ، والجاهل به لا يصل هناك ، ولا يكون بها سباع ولا أسد ، ويكون هناك ممر المخلصين » (٧٣) .

(الوجه الثامن عشر) .. قول أشعيا أيضاً فى كتابه عن الحرم : « إن الذئب والجمل فيه يرتعان معاً » (٧٤) ، إشارة إلى أمنه الذى خصه الله به دون بقاع الأرض ، ولذلك سماه « البلد الأمين » ، وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (٧٥) ، وقال يعدد نعمه على أهله : ﴿ لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ * إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ (٧٦) .

(الوجه التاسع عشر) .. قول أشعيا أيضاً معلناً باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني جعلت أمرك يا محمد بالحمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد » (٧٧) ، فهل بقى بعد ذلك لزايع مقال أو لطاعين مجال ؟ ! وقوله : « يا قدوس الرب » معناه يا من طهره الرب وخلصه واصطفاه ، وقوله : « اسمك موجود من الأبد » مطابق لقول داود فى مزمور له « اسمك موجود قبل الشمس » (٧٨) .

(البوجه العشرون) .. قال أشعيا فى ذكر الحجر الأسود ، قال :

(٧٣) النص فى الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر أشعيا .

(٧٤) النص فى الاصحاح الحادى عشر والخامس والستون من سفر أشعيا .

(٧٥) العنكبوت ٦٧ . (٧٦) سورة قريش .

(٧٧) الاصحاح الثانى عشر من أشعيا .

(٧٨) المزمور الثانى والسبعون « يكون اسمه الى الدهر ، قدام الشمس يمتد اسمه .

ويتباركون به . كل امم الأرض يطوبونه » .

« الرب والسيد ها أنذا مؤسس بصهيون حجراً فى زاوية ركن منه ، فن كان مؤمناً فلا يستعجلنا ، وأجعل العدل مثل الشاقول ، والصدق مثل الميزان ، فيهلك الذين ولعوا بالكذب » (٧٩) .

فصهيون تعادل مكة عند أهل الكتاب ، وهذا الحجر الأسود الذى يقبله الملوك فن دونهم ، وهو مما اختص به محمد وأمه .

(الوجه الحادى والعشرون) .. قول أشعياء فى موضع آخر: « إنه ستملاً البادية والمدن قصوراً إلى قيذار ومن رعوس الجبال ، وينادونهم الذين يجعلون لله الكرامة ويشنون بتسييحه فى البر والبحر » .

وقال : « ارفع علماً لجميع الأب من بعيد ، فيصفر بهم من أقصى الأرض فإذا هم سراع يأتون » (٨٠) .

وبنو قيذار هم العرب ، لأن قيذار هو ابن اسماعيل بإجماع الناس (٨١) والعلم الذى يرفع هو النبوة ، والصفير بهم دعاؤهم من أقاصى الأرض إلى الحج فإذا هم سراع يأتون ، وهذا مطابق لقوله عز وجل : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٨٢) .

(الوجه الثانى والعشرون) .. قول أشعياء فى موضع آخر: « سأبعث من الصبا قوما يأتون من المشرق مجيبين أفواجاً كالصعيد كثرة ، ومثل الطيآن الذى يدوس برجله الطين » (٨٣) . « والصبا » يأتى من نحو

(٧٩) الاصحاح الثامن والعشرون من أشعياء .

(٨٠) الاصحاح الخامس من سفر أشعياء .

(٨١) فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين « وهذه مواليد اسماعيل

ابن ابراهيم الذى ولدته هاجر المصرية جارية سارة لابراهيم . وهذه اساء بنى اسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم : نبايوت بكر اسماعيل وقيدار وادبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيآء ويعور ونافيش وقدمة » أ . ه .

(٨٢) الحج ٢٧ .

(٨٣) الاصحاح الحادى والأربعون من أشعياء .

مطلع الشمس ، بعث الله سبحانه من هناك قوماً من أهل المشرق مجيبين بالتلبية كالتراب كثرة . وقوله : «ومثل الطيان الذى يدوس برجله الطين» إما أن يراد به الهرولة بالطواف السعى ، وإما أن يراد به رجال قد كلت أرجلهم من المشى .

(الوجه الثالث والعشرون) .. فى كتاب أشعيا أيضاً : «عبدى وخيرتى ورضاً نفسى ، أفيض عليه روحى» ، أو قال : «أنزل عليه روحى ، فيظهر فى الأمم عدلى ويوصى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ، ولا يسمع صوته ، يفتح العيون العمى العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطى غيره ، لا يضعف ولا يغلب ، ولا يميل إلى اللهو ، ولا يسمع فى الأسواق صوته ، ركن للمتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفى ولا يخضم ، حتى يثبت على الأرض حجتى ، وينقطع به المعذرة» (٨٤) .

فمن وجد بهذا الوصف غير محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ؟! فلو اجتمع أهل الأرض لم يقدروا أن يذكروا نبياً جمع هذه الأوصاف كلها — وهى باقية فى أمته إلى يوم القيامة — غيره ، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فقلوه «عبدى» موافق لقوله فى القرآن ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا تَزْلَمُنَا عَلَىٰ عِبْدِنَا﴾ (٨٥) ، وقوله : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٨٦) ، وقوله ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ (٨٧) ، وقوله ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (٨٨) ، وقوله : «وخيرتى ورضاً نفسى» مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم «إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم» ، وقوله : «لا

(٨٤) النص فى الاصحاح الثانى والأربعين من أشعيا .

(٨٦) أول الفرقان .

(٨٨) أول الاسراء .

(٨٥) البقرة ٢٣ .

(٨٧) الجن ١٩ .

يضحك» مطابق لوصفه الذى كان عليه صلى الله عليه وسلم، قالت عائشة: «ما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً حتى تبدو لهواته؛ إنما كال يتبسم تبسماً»، وهذا لأن كثرة الضحك من خفة الروح ونقصان العقل؛ بخلاف التبسم فإنه من حسن الخلق وكمال الإدراك، وأما صفته صلى الله عليه وسلم فى بعض الكتب المتقدمة بأنه «الضحك القتال» فالمراد به أنه لا يمنع ضحكه وحسن خلقه إذا كان حداً لله وحقاً له، ولا يمنعه ذلك عن تبسمه فى موضعه، فيعطى كل حال ما يليق بتلك الحال فترك الضحك بالكلية من الكبر والتجبر وسوء الخلق، وكثرته من الخفة والطيش، والاعتدال بين ذلك وقوله: «أنزل عليه روحى» مطابق لقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا) ﴿٨١﴾، وقوله: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَن أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ﴿١٠﴾، وقوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ﴿١١﴾، فسمى الوحي روحاً لأن حياة القلوب والأرواح به، كما أن حياة الأبدان بالأرواح، وقوله: «فيظهر فى الأمم عدلى» مطابق لقوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ ﴿١٢﴾، وقوله عن أهل الكتاب: ﴿فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ ﴿١٣﴾، وقوله: «يوصى الأمم بالوصايا» مطابق لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ﴿١٤﴾ وقوله فى سورة الأنعام

(٩٠) النحل ٢.

(٩٢) الشورى ١٥.

(٩٤) الشورى ١٣.

(٨٩) الشورى ٥٢.

(٩١) غافر ١٥.

(٩٣) المائدة ٤٢.

(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً) إلى قوله (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون)، ثم قال: (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده) إلى قوله: (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون)، ثم قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥). ووصاياه صلى الله عليه وسلم هى عهوده إلى الأمة بتقوى الله وعبادته وحده لا شريك له، والتمسك بما بعثه الله به من الهدى ودين الحق، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه.

وقوله: «ولا تسمع صوته» يعنى ليس بصخاب له فديد كحال من ليس له حلم ولا وقار، وقوله «يفتح العيون العمى والآذان الصم والقلوب الغلف» إشارة إلى تكميل مراتب العلم والهدى الحاصل فى القلوب والأبصار والأسماع، فباينوا بذلك أحوال الصم البكم العمى الذين لهم قلوب لا يعقلون بها، فإن الهدى يصل إلى العبد من هذه الأبواب الثلاثة، وهى مغلقة عن كل أحد لا تفتح إلا على أيدى الرسل، ففتح الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الأعين العمى فأبصرت بالله، والآذان الصم فسمعت عن الله، والقلوب الغلف ففعلت عن الله، فانقادت لطاعته عقلاً وقولاً وعملاً، وسلكت سبل مرضاته ذللاً، وقوله: «وما أعطيه فلا أعطى غيره» مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلى» ولقول الملائكة لما ضربوا له المثل: «لقد أعطى هذا النبى ما لم يعط نبى قبله إن عينيه ينامان وقلبه يقظان» فن ذلك أنه بعث إلى الخلق عامة، وختم به ديوان الأنبياء، وأنزل عليه القرآن الذى لم ينزل من السماء كتاب يشبهه ولا يقاربه، وأنزل على قلبه محفوظاً متلوّاً، وضمن له حفظه إلى أن يأتى الله بأمره،

(١٥) الانعام ١٥١ وما بعدها.

وأوتى جوامع الكلم ، ونصر بالعرب فى قلوب أعدائه وبينها مسيرة شهر، وجعلت صفوف أمته فى الصلاة على مثال صفوف الملائكة فى السماء ، وجعلت الأرض له ولأمته مسجداً وطهوراً ، وأسرى به إلى أن جاوز السموات السبع ورأى ما لم يره بشر قبله ، ورفع على سائر النبيين ، وجعل سيد ولد آدم ، وانتشرب دعوته فى مشارق الأرض ومغاربها ، واتبعه على دينه أتباع أكثر من أتباع سائر النبيين من عهد نوح إلى المسيح ، فأمته ثلثا أهل الجنة ، وخصه بالوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة ، وبالمقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرين ، وبالشفاعاة العظمى التى يتأخر عنها آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأعز الله به الحق وأهله عزاً لم يعزه بأحد قبله ، وأذل به الباطل وحزبه ذلاً لم يحصل بأحد قبله ، وآتاه من العلم والشجاعة والصبر والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الإلهية ما لم يؤته نبي قبله ، وجعلت الحسنه منه ومن أمته بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وتجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان وما استكروها عليه ، وصلى عليه هو وجميع ملائكته عليهم صلوات الله وسلامه ، وأمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه ويسلموا تسليماً ، وقرن اسمه باسمه فإذا ذكر الله ذكر معه كما فى الخطبة والتشهد والأذان ، فلا يصح لأحد أذان ولا خطبة ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله ، ولم يجعل لأحد معه أمراً يطاع لا بمن قبله ولا بمن هو كائن بعده إلى أن تطوى الدنيا ومن عليها ، وأغلق أبواب الجنة إلا عمن سلك خلفه واقتدى به ، وجعل لواء الحمد بيده فآدم وجميع الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة ، وجعله أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع وأول مشفع ، وأول من يقرع باب الجنة ، وأول من يدخلها فلا يدخلها أحد من الأولين والآخرين إلا بشفاعته ، وأعطى من اليقين والإيمان والصبر والثبات والقوة فى أمر الله والعزيمة على تنفيذ أوامره والرضا عنه والشكر له والفتنوع فى مرضاته

وطاعته ظاهراً وباطناً سرا وعلانية فى نفسه وفى الخلق ما لم يعطه نبى قبله . ومن عرف أحوال العالم وسير الأنبياء وأممهم تبين له أن الأمر فوق ذلك ، فاءذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أنه يكون أبداً بقوله : « ولا يضعف ولا يغلب » هكذا كان حاله صلوات الله وسلامه عليه ما ضعف فى ذات الله قط ، ولا فى حال انفراده وقلة أتباعه وكثرة أعدائه واجتماع أهل الأرض على حربه ؛ بل هو أقوى الخلق وأثبتهم جأشاً وأشجعهم قلباً ، حتى أنه يوم أحد قتل أصحابه وجرحوا وما ضعف ولا استكان ؛ بل خرج من الغد فى طلب عدوه على شدة القرح حتى أربع منه العدو وكر خاسئاً على كثرة عددهم وعددهم وضعف أصحابه ، وكذلك يوم حنين أفرد عن الناس فى نفر يسير دون العشرة والعدو قد أحاطوا به وهم ألوف مؤلفة فجعل يثب فى العدو ويقول :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ويتقدم إليهم ، ثم أخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فولوا منهزمين ومن تأمل سيرته وحروبه علم أنه لم يطرق العالم أشجع منه ولا أثبت ولا أصبر ، وكان أصحابه مع أنهم أشجع الأمم إذا همى البأس واشتد الحرب اتقوا به وتترسوا به فكان أقربهم إلى العدو ، وأشجعهم هو الذى يكون قريباً منه ، وقوله : « ولا يميل إلى اللهو » هكذا كانت سيرته كان أبعد الناس من اللهو واللعب ؛ بل أمره كله جد وحزم وعزم ، مجلسه مجلس حياء وكرم وعلم وإيمان ووقار وسكينة . وقوله : « ولا يسمع فى الأسواق صوته » أى ليس من الصاخبين فى الأسواق فى طلب الدنيا والحرص عليها كحال أهلها الطالبين لها . وقوله : « ركن للمتواضعين » فإن من تأمل سيرته وجده أعظم الناس تواضعاً للصغير والكبير والمسكين والأرملة والحر والعبد .. يجلس معهم على التراب ،

ويجيب دعوتهم، ويسمع كلامهم، وينطلق مع أحدهم في حاجته، ويأخذ له حقه ممن لا يستطيع أن يطالبه به، ويخفف نعله، ويخيط ثوبه، وقوله: «وهو نور الله الذي لا يطفىء ولا يخضم حتى يثبت في الأرض حجته وينقطع به العذر» وهذا مطابق لحاله وأمره، ولما شهد به القرآن في غير موضع كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَبْلُغُوا إِلَهًا أَنْ يُنِيمَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٦). وقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿ (١٧). وقوله: قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴿ (١٨)، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ بَرْهَنٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكَ نُورًا مُبِينًا﴾ (١٩). وقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٠)، ونظائره في القرآن كثيرة. وقوله: «حتى ينقطع به العذر وتثبت به الحجة» مطابق لقوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٢١). وقوله: (وَأَلْمَسْتَ عُرْفًا - إلى قوله - فَأَلْمَقَيْتَ ذِكْرًا * عُدْرًا أَوْ نَذْرًا) (٢٢)، وقوله: (وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (٢٣). وقوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ (٢٤) فالحجة إنما قامت على الخلق بالرسول، وبهم انقطعت المَعذرة، فلا يمكن

(٩٧) الأحزاب ٤٥ وما بعدها.

(٩٦) التوبة ٣٢.

(٩٩) النساء ١٧٤.

(٩٨) المائدة ١٥ و ١٦.

(١٠١) النساء ١٦٥.

(١٠٠) الاعراف ١٥٧.

(١٠٣) الفصص ٤٧.

(١٠٢) أول سورة المرسلات.

(١٠٤) الأنعام ١٥٦ و ١٥٧.

من بلغته دعوتهم وخالفها أن يعتذر إلى الله يوم القيامة إذ ليس له عذر يقبل منه .

وهذه البشارة مطابقة لما فى صحيح البخارى أنه قيل لعبد الله بن عمرو أخبرنا ببعض صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، فقال : « إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : ﴿ يَكْفُرُ النَّبِيُّ إِنْ أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١٠٥) وحرزا للأمين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء ، فأفتح به أعينا عميا ، وأذانا صما ، وقلوباً غلفاً : بأن يقولوا لا إله إلا الله » ، وقوله : « إن هذا فى التوراة لا يريد به التوراة المعينة التى هى كتاب موسى ؛ فإن لفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور يراد به الكتب المعينة تارة ، ويراد به الجنس تارة . فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور ، ولفظ التوراة عن القرآن ، ولفظ الإنجيل عن القرآن أيضاً وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم : « خفف على داود القرآن فكان ما بين أن تسرج دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن » فالمراد به قرآنه وهو الزبور ، وكذلك قوله فى البشارة التى فى التوراة : « نبياً أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم ، أنزل عليه توراة مثل توراة موسى » ، وكذلك فى صفة أمته صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة « أناجيلهم فى صدورهم » فقوله « أخبرنى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة » إما أن يريد التوراة المعينة أو جنس الكتب المتقدمة ، وعلى التقديرين فإجابة عبد الله بن عمرو بما هو فى التوراة أى التى هى أعم من الكتاب المعين ، فإن هذا الذى ذكره ليس فى التوراة المعينة بل هو فى كتاب أشعياء كما حكيناه عنه ، وقد ترجموه أيضاً بترجمة أخرى فيها بعض الزيادة : « عبدى ورسولى الذى

(١٠٥) الاحزاب ٤٥ .

سرت به نفسى ، أنزل عليه وحى فيظهر فى الأمم عدلى ويوصيهم
بالوصايا ، لا يضحك ، ولا يسمع صوته فى الأسواق ، يفتح للعيون العور ،
والآذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطيه أحد ! ، يحمد
الله حمداً جديداً يأتى به من أقطار الأرض ، وتفرح البرية وسكانها ،
يهللون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية ، لا يضعف ، ولا
يغلب ، ولا يميل إلى الهوى ، مشفح ، ولا يذل الصالحين الذين هم
كالقصبه الضعيفة ، بل يقوى الصديقين ، وهو ركن المتواضعين ، وهو نور
الله الذى لا يطفىء ، أثر سلطانه على كتفيه . وقوله : « مشفح »
بالشين المعجمة والفاء المشددة بوزن مكرم ، وهى لفظة عبرانية مطابقة
لاسم محمد معنًى ولفظاً مقارباً كمطابقة موز موز بل أشد مطابقة .
ولا يمكن العرب أن يتلفظوا بها بلفظ العبرانية فإنها بين الحاء والهاء ،
وفتحة الفاء بين الضمة والفتحة ، ولا يستريب عالم من علمائهم منصف
أنها مطابقة لاسم محمد ، قال أبو محمد بن قتيبة « مشفح » محمد بغير
شك ، واعتباره أنهم يقولون : شفا حالها . إذا أرادوا أن يقولوا الحمد لله ،
وإذا كان الحمد شفا فشفح محمد بغير شك ، وقد قال لى ولغيرى
بعض من أسلم من علمائهم « إن مثذ مثذ » هو محمد ، وهو بكسر الميم
والهمزة . وبعضهم يفتح الميم ويدنيه من الضمة قال : ولا يشك العلماء
منهم بأنه محمد وإن سكتنا عن إيراد ذلك ، وإذا ضربنا عن هذا صفحاً
فن هذا الذى انطبقت عليه وعلى أمته هذه الصفات سواء ؟ ! ومن هذا
الذى أثر سلطانه وهو خاتم النبوة على كتفيه رآه الناس عياناً مثل زر
الحجلة ؟ !! فإذا بعد الحق إلا الضلال ، وبعد البصيرة إلا العمى ﴿ وَمَنْ
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴾ (١٠٦) فصفت هذا النبى وخرجه ومبعثه
وعلاماته وصفات أمته فى كتبهم يقرأونها فى كنائسهم ويدرسونها فى

مجالسهم لا ينكرها منهم عالم ولا يأبأها جاهل ؛ ولكنهم يقولون لم يظهر بعد ، وسيظهر واتبعه . قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه ، فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة : يا معشر يهود : اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك ، وتخبرونا بأنه نبي مبعوث ، وتصفونه بصفته ، فقال سلام بن مسلم أخو بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١٠٧) ، وقال أبو العالية : كان اليهود إذا استنصروا بمحمد على مشركي العرب يقولون : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجاه مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) ، وقال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن رجال من قومه ، قالوا : ومما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه ما كنا نسمع من رجال اليهود ، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أحببناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به ،

(١٠٧) البقرة ٨٩ .

فبادرناهم إليه فآمنوا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات التي
فى البقرة ﴿ولا جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على
الكافرين﴾ .

(الوجه الرابع والعشرون) .. فى كتاب أشعياء : «أشكر حبيبي
وابنى أحمد» ، فلهذا جاء ذكره فى نبوة أشعياء أكثر من غيرها من
النبوات ، وأعلن أشعياء بذكره ووصفه ووصف أمته ، ونادى بها فى
نبوته سرا وجهراً لمعرفته بقدره ومنزلته عند الله .

وقال أشعياء أيضاً : إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد» .
وهذا إفصاح باسمه صلى الله عليه وسلم ، فليرنا أهل الكتاب نبيا
نصت الأنبياء على اسمه وصفته ونعته وسيرته وصفة أمته وأحوالهم سوى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ (١٠٨) .

(الوجه الخامس والعشرون) .. قول حبقوق فى كتابه : «إن الله
جاء من اليمن ، والقدوس من جبال فاران ، لقد أضاءت السماء من بهاء
محمد ، وامتألت الأرض من حمده ، وشاع منظره مثل النور ، يحوط بلاده
بعزة ، تسير المنايا أمامه ، وتصحب سباع الطير أجناده ، قام يمسح الأرض
فتضعضت له الجبال القديمة وانخفضت الروابي ، فترعزت أسوار مدين ،
ولقد حاز المساعى القديمة» .

ثم قال : «زجرك فى الأنهار واحتدام صوتك فى البحار ، ركبت
الخيول ، وعلوت مراكب الأتقياء ، وستنزع فى قسيك أعراقا ، وترتوى
السهام بأمرك يا محمد ارتواء ، ولقد رأيتك الجبال فارتاعت ، وانحرف عنك
شؤبوب السيل ، وتغيرت المهارى تغييرا رفعت أيديها وجلا وخوفاً ،

(١٠٨) انظر التعليق الحادى والستين .

وسارت العساكر فى بريق سهامك ولعان نيازكك تدوخ الأرض وتدوس الأمم، لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ تراث آبائك» (١٠٩).
فن رام صرف هذه البشارة عن محمد فقد رام ستر الشمس بالنهار وتغطية البحار، وأنى يقدر على ذلك وقد وصفه بصفات عينت شخصه وأزالت عن الحيران لبسه؟!، بل قد صرح باسمه مرتين، حتى انكشف الصبح لمن كان ذا عينين، وأخبر بقوة أمته وسير المنايا أمامهم واتباع جوارح الطير آثارهم.

(١٠٩) نص كلام حبقوق هكذا من ترجمة اليسوعيين وليس فيه كلمة «محمد» والمرادف لها فى النص «مسيحك». أى المسيح المنتظر.

النص: «الله يأتى من الجنوب. والقدوس من جبل فاران. سلاه. غطى جلاله السموات. وامتلات الأرض من تسبحته. ضياؤه يكون كالنور. وله من يده قرنان. وهناك استتار عزته. قدام وجهه يسير الوباء. وأمام قدميه تبرز حى ملهبة. وقف ومسح الأرض. نظر وأذاب الأمم وتبددت جبال الدهر. وخسفت أكام القدم. مسالك الازل له. رأيت أخبية كوش تحت البلاء. وشقق أرض مدين رجفت. أغضب الرب على الانهار؟ أعلى الانهار سخطك؟ أعلى البحر حنقك؟ فأنك تركب خيلك. أن عجلاتك خلاصى تحرد قوسك تجريدا على حسب أيمانك للاسباط وكلمتك. سلاه.

تشق الأرض أنهارا. رأيتك الجبال فارتعدت. واجتاز طمو المياه. وأطلق الغمر صوته ورفح يديه الى العلاء. الشمس والقمر وقفا فى منازلها لنور سهامك المتطائرة ولضياء بريق رمحك. انك بسخط تظأ الأرض. وبغضب تدوس الأمم.

لقد خرجت لخلاص شعبك للخلاص مع مسيحك فهشمت الرأس من بيت المنافق معريا الاساس الى العنق. سلاه.

طعنت برماحه رؤوس قوادة المهاجرين كالزوبعة ليشثتونا، الشامتين كمن يأكل المسكين فى السر. لقد سلكت البحر بخيلك وركام المياه الغزيرة. انى سمعت فخفقت أحشائى ورجفت شفتائى من الصوت ودخل النخر عظامى ورجفت فى مكانى لكنى سأسترىح فى يوم الضيق عند الصعود الى الشعب لاستئصاله. فان التين لا يزهر والكروم ليس فيها أثناء وعمل الزيتون يكذب. والحقول لا تخرج طعاما. تنقطع الغنم من الحظيرة ولا يكون بقر فى المزاود.

اما أنا فأتهلل بالرب وأبتهج بآله خلاصى. الرب الاله قوتى. وهو يجعل قدمى كالايائل ويمشبنى على مشارفى» (حبقوق ٣).

وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تصلح إلا
له. ولا تنزل إلا عليه، فمن حاول صرفها عنه فقد حاول صرف الأنهار
العظيمة عن مجراها، وحبسها عن غايتها ومنتهاها، وهيات ما يروم
المبطلون والجاحدون، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فمن
الذى امتلأت الأرض من حمده وحمد أمته الله فى صلواتهم وخطبهم وأدبار
صلواتهم وعلى السراء والضراء وجميع الأحوال سواء؟! حتى سماهم الله
قبل ظهورهم الحمادين! ومن الذى كان وجهه كأن الشمس والقمر
يجريان فيه فى ضيائه ونوره؟!

قد عود الطير عادات وثقن بها شاهده فى وجهه ينطق
لو لم يقل إنى رسول أما فهن يتبعنه فى كل مرتحل
ومن الذى سارت المنايا أمامه وصحبت سباع الطير جنوده لعلمها بما
يقرب من ذبح الكفار لله الواحد القهار؟!

يتطايرول بقربه قربانهم بدماء من علقوا من الكفار
ومن الذى تضععت له الجبال وانخفضت له الروابي وداس الأمم
ودوخ العالم، انتقضت بنبوته الممالك وخلص الأمة من الشرك والكفر
والجهل والظلم سواه؟!

(الوجه السادس والعشرون) .. قوله فى كتاب حزقيال يهدد اليهو
ويصف لهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم «وإن الله مظهرهم عليكم،
وباغث فيهم نبياً، وينزل عليه كتاباً، ويملكهم رقابكم فيقهرونكم
ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بنى قيدر فى جماعات الشعوب معهم
ملائكة على خيل بيض متسلحين يوقعون بكم، وتكون عاقبتكم إلى
النار» (١١٠).

(١١٠) أنظر ٧ و ٢١ حزقيال.

فمن الذى أظهره الله على اليهود حتى قهرهم وأذلهم وأوقع بهم وأنزل عليه كتاباً؟ ومن هم بنو قيذار غير بنى اسماعيل الذين خرجوا معه ومعهم جماعات الشعوب؟ ومن الذى نزلت عليه وعطى أمته الملائكة على خيل بيض يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم حنين حتى عاينوها عياناً تقاتل بين يديه وعن يمينه وعن شماله، حتى غلب ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ليس معهم غير فرسين ألف رجل مقنعين فى الحديد معدودين من فرسان العرب فأصبحوا بين قتيل وأسير ومنهزم؟

(الوجه السابع والعشرون).. قال دانيال النبی حين سأله بخت نصر عن تأويل رؤيا رآها ثم أنسبها: «رأيت أيها الملك صنماً عظيماً قائماً بين يديك، رأسه من ذهب، وساعده من فضة، وبطنه وفخذه من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من الخزف، فبينما أنت متعجب منه إذ أقبلت صخرة فدقت ذلك الصنم فتفتت وتلاشى وعاد رفاتاً ثم نسفته الرياح وذهب، وتحول ذلك الحجر إنساناً عظيماً ملأ الأرض، فهذا ما رأيت أيها الملك»، فقال بخت نصر: صدقت فما تأويلها؟ قال: «أنت الرأس الذى رأيت من الذهب، ويقوم بعدك ولدك وهو الذى رأيت من الفضة وهو دونك، وتقوم بعده مملكة أخرى هى دونه وهى تشبه النحاس، وبعدها مملكة قوية مثل الحديد، وأما الرجلان اللذان رأيت من خزف فمملكة ضعيفة، وأما الحجر العظيم الذى رأيت دق الصنم فتفتت فهو نبي يقيمه إله الأرض والسماء بشريعة قوية فيدق جميع ملوك الأرض وأممها حتى تمتلئ الأرض منه ومن أمته، ويدوم سلطان ذلك النبي إلى انقضاء الدنيا فهذا تعبير رؤياك أيها الملك» (١١١).

ومعلوم أن هذا منطبق على محمد بن عبد الله حذو القذة بالقذة، لا على المسيح ولا على نبي سواه، فهو الذى بعث بشريعة قوية ودق جميع

(١١١) الاصحاح الثانى من سفر دانيال.

ملوك الأرض وأممها حتى امتلأت الأرض من أمته ، وسلطانه دائم إلى آخر الدهر، لا يقدر أحد أن يزيله كما أزال سلطان اليهود من الأرض ، وأزال سلطان النصارى عن خيار الأرض ووسطها فصار فى بعض أطرافها ، أزال سلطان المجوس وعباد الأصنام وسلطان الصابئين .

(الوجه الثامن والعشرون) .. قول دانيال أيضاً (١١٢) : « سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لى ما يكون من بنى اسرائيل ، وهل يتوب عليهم ويرد إليهم ملكهم ويبعث فيهم الأنبياء أو يجعل ذلك فى غيرهم ، فظهر لى الملك فى صورة شاب حسن الوجه فقال : السلام عليك يا دانيال ، إن الله يقول إن بنى إسرائيل اغضبونى وتمردوا علىّ وعبدوا من دونى آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل ، ومن بعد الصدق إلى الكذب ، فسلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى ذرارهم وهدم مسجدهم ، وحرق كتبهم ، وكذلك يفعل من بعده بهم ، وأنا غير راض عنهم ، ولا مقيلهم عثراتهم ، فلا يزالون فى سخطى حتى أبعث مسيحى ابن العذراء البتول فأختم عليهم عند ذلك باللعن والسخط ، فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بنى اسماعيل الذى بشرت به هاجر ، وأرسلت إليها ملاكى فبشرها ، فأوحى إلى ذلك النبي ، وأعلمه الأسماء ، وأزينه بالتقوى ، وأجعل البر شعاره ، والتقوى ضميره ، والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب ، وناسخ لبعض ما فيها ، أسرى به إلى ، وأرقه من سماء إلى سماء حتى يعلو فأدنيه وأسلم عليه ، وأوحى إليه وأرقه ثم أرده إلى عبادى بالسرور والغبطة ، حافظاً لما استودع ، صادقاً بما أمر ، يدعو إلى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، رءوف بمن والاه ، رحيم بمن آمن

(١١٢) المؤلف لم ينقل من سفر دانيال .

به ، خشن على من عاداه ، فيدعو قومه إلى توحيدى وعبادتى ، ويخبرهم بما رأى من آياتى ، فيكذبونه ويؤذونه » .

ثم سرد دانيال قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أملاه عليه الملك حتى وصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا . وهذه البشارة أيضاً عند اليهود والنصارى يقرأونها ويقولون بها ، ويقولون لم يظهر صاحبها بعد .

قال أبو العالية لما فتح المسلمون تستر وجدوا دانيال ميتاً ووجدوا عنده مصحفاً قال أبو العالية أنا قرأت ذلك المصحف وفيه صفتكم وأخباركم وسيرتكم ولحون كلامكم ، وكان أهل الناحية إذا أجذبوا كشفوا عن قبره فيسقون ، فكتب أبو موسى الأشعري فى ذلك إلى عمر ابن الخطاب ، فكتب عمر أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه بالليل فى واحد منها لئلا يفتن الناس به .

(الوجه التاسع والعشرون) .. قال كعب وذكر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ويريد بها التوراة التى هى أعم من التوراة المعينة «أحمد عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، يعفو ويغفر ، مولده بكاء ، وهجرته طابا ، وملكه بالشام ، وأمتة الحمادون يحمدون الله على كل نجد ، ويسبحونه فى كل منزلة ، ويوضئون أطرافهم ، ويأترزون على أنصافهم ، وهم رعاة الشمس ، ومؤذنه فى جو السماء ، وصفهم فى القتال وصفهم فى الصلاة سواء ، رهبان بالليل ، أشد بالنهار ، وهم دوى كدوى النحل ، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم ولو على كناسة» (١١٣) .

(الوجه الثلاثون) .. قال ابن أبى الزناد حدثنى عبد الرحمن بن الحارث ، عن عمر بن حفص وكان من خيار الناس ، قال كان عند أبى وجدى ورقة يتوارثونها قبل الإسلام فيها « اسم الله وقوله الحق ،

(١١٣) انظر الاصحاح الثانى والاربعين من أشعياء .

وقول الظالمين فى تبار، هذا الذكر لأمة تأتى فى آخر الزمان يتزرون على أوساطهم، ويغسلون أطرافهم، ويخوضون البحور إلى أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت فى قوم نوح ما هلكوا بالطوفان، وفى ثمود ما هلكوا بالصيحة» .

(الوجه الحادى والثلاثون) .. قال أشعياء وذكر قصة العرب فقال : «ويدوسون الأمم دياس البيادر، وينزل البلاء بمشركى العرب، وينهزمون بين يدى سيوف مسلولة وقسى مؤثرة من شدة الملحمة» (١١٤) .

وهذا إخبار عما حل بعبدة الأوثان من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر ويوم حنين وفى غيرهما من الوقائع .
(الوجه الثانى والثلاثون) .. قوله فى الإنجيل الذى بأيدي النصارى عن يوحنا : «أن المسيح قال للحواريين من أبغضنى فقد أبغض الرب، ولولا إنى صنعت لهم صنائع لم يصنعها أحد لم يكن لهم ذنب، ولكن من الآن بطروا فلا بد أن تتم الكلمة التى فى الناموس لأنهم أبغضونى مجاناً، فلو قد جاء المنحمن هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب روح الحق فهو شهيد على وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معى، هذا قولى لكم لكيلا تشكوا إذا جاء» (١١٥) .

«والمنحمن» بالسريانية، وتفسيره بالرومية اليارقليط، وهو بالعبرانية الحماد والمحمود والحمد كما تقدم .

(الوجه الثالث والثلاثون) .. قوله فى الإنجيل أيضاً — إنجيل متى — : إن المسيح قال لليهود «وتقولون : لو كنا فى أيام آبائنا لم

(١١٤) الاصحاح الحادى والعشرون من سفر أشعياء .

(١١٥) انظر التعليق رقم ستة عشر . ويبدو أن المؤلف ينقل من الكتب . فهذا

النص الذى ذكره موجود فى سيرة ابن هشام . ويشير بكلمة الناموس الى المزمور ٦٩ : ٤ و١٠٩ : ٣ .

نساعدهم على قتل الأنبياء ، فأتوا كيل آبائكم ياثعابين بنى الأفاعى
كيف لكم النجاة من عذاب النار» .

وسأبعث إليكم أنبياء وعلماء تقتلون منهم وتصلبون وتجلدون ،
وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى ، لتتكامل عليكم دماء المؤمنين المهركة على
الأرض من دم هابيل الصالح إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه
عند المذبح ، إنه سيأتى جميع ما وصفت على هذه الأمة ، يا أورشليم التى
تقتل الأنبياء وترجم من بعث إليك ، قد أردت أن أجمع بنيك كجمع
الدجاجة فراريجها تحت جناحها وكرهت أنت ذلك ، سأقفر عليكم
بيتكم ، وأنا أقول لا ترونى الآن حتى يأتى من يقولون له مبارك ، يأتى
على اسم الله» (١١٦) .

فأخبرهم المسيح أنهم لا بد أن يستوفوا الصاع الذى قدر لهم ، وأنه
سيقفر عليهم بيتهم أى يخليه منهم ، وأنه يذهب عنهم فلا يرونه حتى
يأتى المبارك الذى يأتى على اسم الله . فهو — أى محمد — الذى انتقم
بعده لدماء المؤمنين .

وهذا نظير قوله فى الموضع الآخر: «إن خيراً لكم أن أذهب عنكم
حتى يأتىكم الفارقليط فإنه لا يجىء ما لم أذهب» .
وقوله أيضاً: «ابن البشر ذاهب ، والفارقليط من بعده» ، وفى
موضع آخر: «أنا أذهب وسيأتىكم الفارقليط» .

والفارقليط والمبارك الذى جاء بعد المسيح هو محمد صلى الله عليه
وسلم كما تقدم تقريره .

(الوجه الرابع والثلاثون) .. قوله فى إنجيل متى : إنه لما حبس يحيى
ابن زكريا بعث تلاميذه إلى المسيح وقال لهم : «قولوا له أنت إيلياء أم
نتوقع غيرك ؟» ، فقال المسيح : «الحق اليقين أقول لكم : إنه لم تقم

(١١٦) النص فى الاصحاح الثالث والعشرين من أنجيل متى ويشير بقوله «مبارك
الآتى باسم الرب» الى المزمور المائة والثامن عشر .

النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا، وإن التوراة وكتب الأنبياء تتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحى حتى جاء يحيى، وأما الآن فإن شتم فاقبلوا فإن إيلياء مزمع أن يأتى، فن كانت له أذنان سامعتان فليستمع» (١١٧).

وهذه بشارة بمجىء الله سبحانه الذى هو «إيلياء» بالعبرانية، ومجيئه هو مجىء رسوله وكتابه ودينه، كما فى التوراة: «جاء الله من طور سيناء» قال بعض عباد الصليب: إنما بشر بإلياس النبى، وهذا لا ينكر من جهل أمة الضلال وعباد خشبة الصليب التى نحتها أيدي اليهود، فإن إلياس قد تقدم إرساله على المسيح بدهور متطاولة.

(الوجه الخامس والثلاثون) .. فى نبوة أرمياء: «قيل أن أخلقك قد عظمتك من قبل أن أصورك فى البطن، وأرسلتك وجعلتك نبياً للأجناس كلهم» (١١٨).

فهذه بشارة على لسان إرمياء لمن بعده، وهو إما المسيح وإما محمد صلوات الله وسلامه عليهما لا يعدوها إلى غيرهما، ومحمد أولى بها لأن المسيح إنما كان نبياً لبنى إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي

(١١٧) النص فى الاصحاح الحادى عشر من أنجيل متى. وقال المؤلف أن المراد بإيلياء: الله عز وجل أى يأتى أمره بعد المسيح. ويقول النصارى فى «إيلياء» أن ملاخى قال: ان الله تعالى وعد بإيلياء (الياس) قبل مجىء يوم الرب العظيم والخوف (ملاخى ٤: ٦) وقال النصارى: أن يوحنا المعمدان ظهر للناس بقوة إيلياء وعظمته وغيرته على الشريعة. ويوم الرب هو ظهور عيسى. والصحيح فى هذا الموضوع: أن المسيح لما بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم. وبين ان اسمه احد (بيركلييت) وخاطب تلاميذه بحساب الجمل أيضا فرمز بإيلياء الى أسم أحد فان الالف بواحد والياء بعشرة واللام بثلاثين والياء بعشرة والألف بواحد والهمزة بواحد فالمجموع ثلاث وخسون. لجأ اليهود فى مجمع يمينه سنة تسعين من الميلاد الى سفر ملاخى وهو آخر اسفار التوراة العبرانية وزادوا فيه «هأنذا أرسل اليكم إيلياء النبى قبل مجىء يوم الرب العظيم والخوف» ليعرفوا هم أيضا أسم النبى المنتظر بحساب الجمل.

(١١٨) أول سفر ارمياء.

إِسْرَءِيلَ ﴿١١٩﴾ ، والنصارى تقر بهذا ؛ ولم يدع المسيح أنه رسول إلى جميع أجناس أهل الأرض ؛ فإن الأنبياء من عهد موسى إلى المسيح إنما كانوا يبعثون إلى قومهم ؛ بل عندهم فى الإنجيل أن المسيح قال للحواريين : « لا تسلكوا إلى سبيل الأجناس ، ولكن اختصروا على الغنم الرابضة من نسل اسرائيل » (١٢٠) ، وأما محمد بن عبد الله فهو الذى بعثه الله إلى جميع أجناس الأرض وطوائف بنى آدم ، وهذه البشارة مطابقة لقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (١٢١) ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : « بعثت إلى الأسود والأحمر » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « وكان النبی يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » .

وقد اعترف النصارى بهذه البشارة ولم ينكروها ؛ لكن قال بعض زعمائهم إنها بشارة بموسى بن عمران وإلياس واليسع ، وإنهم سيأتون فى آخر الزمان وهذا من أعظم البهت والجرأة على الله والافتراء عليه ، فإنه لا يأتى من قد مات إلى يوم الميقات المعلوم .

(١١٩) آل عمران ٤٩ .

(١٢٠) النص فى الأصحاح العاشر من متى ونصه : « الى طريق اثم لا تمضوا . والى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالخرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين : انه قد اقترب ملكوت السموات » .

ولاحظ المؤلف صرح بخصوص دعوة عيسى عليه السلام على بنى اسرائيل . والنصوص التى ذكرها ليست معه فان قوله « اذهبوا بالخرى الى خراف بيت اسرائيل » يدل على دعوة بنى اسرائيل أولا . ثم دعوة غيرهم ثانيا . هذا هو المفهوم من « بالخرى » أى بالضرورة . ويؤيد هذا انه فى نهاية الإنجيل قال « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » وفى القرآن أن المسيح رسول الى بنى اسرائيل . وفيه انه بعدما دعاهم وجه رسالته الى الامم فقال تعالى « وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس » قال العلماء الذين يقولون ان شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد فى شرعنا ما ينسخه : ان لفظ الناس على العموم (انظر الكشف أول آل عمران) .

(١٢١) الاعراف ١٥٨ .

(الوجه السادس والثلاثون) .. قول المسيح فى الإنجيل الذى بأيديهم وقد ضرب مثل الدنيا فقال : « كرجل اغترس كرمًا وسيج حوله ، وجعل فيه معصرة ، وشيد فيه قصرًا ، ووكل به أعوانًا ، وتغرب عنه ، فلما دنا أوان قطافه بعث عبده إلى أعوانه الموكلين بالكرم » .

ثم ضرب مثلاً للأنبياء ولنفسه ، ثم للنبي الموكل آخرًا بالكرم ، ثم أفصح عن أمته فقال : « وأقول لكم سيزاح عنكم ملك الله ، وتعطاه الأمة المطيعة العاملة » ، ثم ضرب لنبي هذه الأمة مثلاً بصخرة وقال : « من سقط على هذه الصخرة سينكسر ، ومن سقطت عليه ينشم » (١٢٢) .

وهذه صفة محمد ومن ناوأه وحاربه من الناس . لا تنطبق على أحد بعد المسيح سواه .

(الوجه السابع والثلاثون) .. قول أشعياء فى صحفه : « لتفرح أرض البادية العطشى ولتبتهج البرارى والفلوات لأنها ستعطى بأحد محاسن لبنان ومثل حسن الدسكير » (١٢٣) . وتالله ما بعد هذا إلا المكابرة وجحد الحق بعد ما تبين .

(الوجه الثامن والثلاثون) .. قول حزقيال فى صحفه التى بأيديهم يقول عز وجل — بعد ما ذكر معاصى بنى إسرائيل وشبههم بكرمة غذاها — : « لم تليث الكرمة أن قلعت بالسخطة ورمى بها على الأرض وأحرقت السمائم ثمارها ، فعند ذلك غرس فى البدو وفى الأرض المهملة العطشى وخرجت من أغصانها الفاضلة نار أكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولا قضيب » (١٢٤) .

(١٢٢) سبق الحديث فى هذه النبوءة . وهذا يدل على أن المؤلف ينقل .

(١٢٣) التعليق السابق .

(١٢٤) التعليق السابق .

وهذا تصريح لا تلويح به صلى الله عليه وسلم ، وبيلده وهى مكة العطش المهمة من النبوة قبله من عهد إسماعيل .

(الوجه التاسع والثلاثون) .. ما فى صحف دانيال وقد نعت الكلدانيين الكذابين فقال : « لا تمتد دعوتهم ولا يتم قربانهم ، وأقسم الرب بساعده أن لا يظهر الباطل ولا يقوم لدع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة » (١٢٥) .

وفى التوراة ما يشبه هذا ، وهذا تصريح بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن الذين اتبعوه بعد موته أضعاف أضعاف الذين اتبعوه فى حياته ، وهذه دعوته قد مرت عليها القرون من السنين وهى باقية مستمرة وكذلك إلى آخر الدهر ، ولم يقع هذا لملك قط فضلا عن كذاب مفتر على الله وأنبيائه مفسد للعالم مغير لدعوة الرسل ، ومن ظن هذا بالله فقد ظن به أسوأ الظن وقدح فى علمه وقدرته وحكمته .

وقد جرت لى «مناظرة» بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة ، فقلت له فى أثناء الكلام : أنتم بتكذيبكم محمداً صلى الله عليه وسلم قد شتمتم الله أعظم شتيمة . فعجب من ذلك ، وقال : مثلك يقول هذا الكلام ! فقلت له : اسمع الآن تقريره ، إذا قلت : إن محمداً ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس برسول من عند الله ، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدعى أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة ، ويقول : أمرنى الله بكذا ونهانى عن كذا وأوحى إلى كذا ، ولم يكن من ذلك شىء ، ويقول : انه أباح لى سبى ذرارى من كذبنى وخالفنى ونساءهم وغنيمة أموالهم وقتل رجالهم ، ولم يكن من ذلك شىء ، وهو يدأب فى تغيير دين الأنبياء ومعاداة أمهم ونسخ شرائعهم ، فلا يخلو إما أن تقولوا إن الله سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه . أوتقولوا إنه خفى عنه ولم يعلم به ، فإن قلت لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل وكان من

(١٢٥) ليس النص كما ذكر المؤلف . وليس للهدف الذى أشار اليه .

علم ذلك أعلم منه ، وإن قلتم بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته وإطلاعه عليه فلا يخلو إما أن يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أو لا ، فإن لم يكن قادراً فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافى للربوبية ، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعليه ويعلى كلمته ، ويجيب دعاءه ويمكنه من أعدائه ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له فهذا من أعظم الظلم والسفه الذى لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء فضلاً عن رب الأرض والسماء ، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه وهذه عندكم شهادة زور وكذب .

فلما سمع ذلك قال معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد . قلت : فما لك لا تدخل فى دينه ؟ ، قال : إنما بعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم ، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه ، قلت له : غلبت كل الغلب ، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق ، وإن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم ، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب ، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه فى كل ما أخبر به ؛ فأمسك ولم يجر جواباً .

وقريب من هذه المناظرة ما جرى لبعض علماء المسلمين مع بعض اليهود ببلاد المغرب قال له المسلم : فى التوراة التى بأيديكم إلى اليوم أن الله قال لموسى : «إنى أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم نبياً مثلك أجعل كلامى على فيه ، فن عصاه انتقمت منه» . قال له اليهودى : ذلك يوشع بن نون . فقال المسلم : هذا محال من وجوه : (أحدها) أنه قال عندك فى آخر التوراة «أنه لا يقوم فى بنى إسرائيل نبي مثل موسى» .. (الثانى) أنه قال «من إخوتهم» وإخوة بنى إسرائيل إما العرب وإما الروم ، فإن العرب بنو اسماعيل والروم بنو العيص ، وهؤلاء

إخوة بنى إسرائيل ، فأما الروم فلم يقيم منهم نبى سوى أيوب وكان قبل موسى فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة ، فلم يبق إلا العرب وهم بنو اسماعيل وهم إخوة بنى اسرائيل ، وقد قال الله فى التوراة حين ذكر اسماعيل جد العرب «إنه يضع فسطاطه فى وسط بلاد اخوته» وهم بنو اسرائيل ، وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد الذى نصب فسطاطه وملك أمته فى وسط بلاد بنى اسرائيل وهى الشام التى هى مظهر ملكه كما تقدم من قوله «وملكه بالشام» .

فقال له اليهودى : فعندكم فى القرآن (وإلى مدين أخاهم شعيباً) ، (وإلى عاد أخاهم هودا) ، (وإلى ثمود أخاهم صالحاً) ، والعرب تقول : يا أخا بنى تميم للواحد منهم ، فهكذا قوله «أقيم لبنى اسرائيل من إخوتهم» قال المسلم الفرق بين الموضعين ظاهر، فإنه من المحال أن يقال : إن بنى اسرائيل إخوة بنى اسرائيل ، وبنى تميم إخوة بنى تميم ، وبنى هاشم إخوة بنى هاشم ، هذا ما لا يعقل فى لغة أمة من الأمم ، بخلاف قولك : زيد أخو بنى تميم ، وهو أخو عاد ، وصالح أخو ثمود أى واحد منهم ، فهو أخوهم فى النسب ولو قيل عاد أخو عاد وثمرود أخو ثمود ومدين أخو مدين لكان نقصاً ، وكان نظير قولك بنو اسرائيل إخوة بنى اسرائيل ، فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ صريح .

قال اليهودى : فقد أخبر أنه سيقم هذا النبى لبنى اسرائيل ، ومحمد إنما أقيم للعرب ولم يقيم لبنى اسرائيل ، فهذا الاختصاص يشعر بأنه مبعوث إليهم لا إلى غيرهم . قال المسلم : هذا من دلائل صدقه ، فإنه ادعى أنه رسول الله إلى أهل الأرض كتابهم وأمهم ، ونص الله فى التوراة على أنه يقيمه لهم لئلا يظنوا أنه مرسل إلى العرب والأميين خاصة ، والشىء يُخص بالذكر لحاجة المخاطب إلى ذكره لئلا يتوهم السامع أنه غير مراد باللفظ العام ولا داخل فيه ، وللتنبية على أن ما عداه أولى بحكمه ولغير ذلك من المقاصد ، فكان فى تعيين بنى اسرائيل

بالذكر إزالة لوجه من توهم أنه مبعوث إلى العرب خاصة ، وقد قال تعالى : ﴿لَتَنْذِرُنَّ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهؤلاء قومه ولم ينف ذلك أن يكون نذيراً لغيرهم ، فلو أمكنك أن تذكر عنه أنه ادعى أنه رسول إلى العرب خاصة لكان ذلك حجة ، فأما وقد نطق كتابه وعرف الخاص والعام بأنه ادعى أنه مرسل إلى بني اسرائيل وغيرهم فلا حجة لك .

قال اليهودى : إن أسلافنا من اليهود كلهم على أنه ادعى ذلك ، ولكن العيسوية منا تزعم أنه نبي العرب خاصة ولسنا نقول بقولهم ، ثم التفت إلى يهودى معه فقال نحن قد جرى شأننا على اليهودية ، وتالله ما أدري كيف التخلص من هذا العربى ، إلا أنه أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهى عن ذكره بسوء .

وقال محمد بن سعد فى «الطبقات» حدثنا معن بن عيسى حدثنا معاوية بن صالح ، عن أبى فروة عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار : كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ؟ قال : نجده «محمد بن عبد الله ، مولده بمكة ، ومهاجره إلى طابة ، ويكون ملكه بالشام ، ليس بفحاش ولا صخاب بالأسواق ، ولا يكافىء السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح» ، وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى : حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا أبو الأحوص ، عن الأعمش ، عن أبى صالح قال : قال كعب : نجد مكتوباً «محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، وأمتة الحمادون يكبرون الله على كل نجد ويحمدونه فى كل منزلة ، يأتزون على أنصافهم ، ويتوضئون على أطرافهم ، متذاهم فى جو السماء ، صفهم فى القتال وصفهم فى الصلاة سواء ، لهم دوى كدوى النحل ، مولده بمكة ، ومهاجره بطابة ، وملكه بالشام» .

قال الدرامي وأخبرنا زيد بن عوف ، حدثنا أبو عوانه ، عن عبد الملك ابن عثير ، عن ذكوان أبي صالح ، عن كعب قال : فى السطر الأول « محمد رسول الله ، غبدى المختار ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة ، وهجرته بطيبة ، وملكه بالشام » .

وفى السطر الثانى « محمد رسول الله ، أمتة الحمادون يحمدون الله فى كل حال ومنزلة ، ويكبرونه على كل شرف ، رعاة الشمس ، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة ، يأتزون على أوساطهم ، ويوضئون أطرافهم ، وأصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل » .

قال عاصم بن عمر بن قتادة ، عن ثمة بن أبى ثمة ، عن أبيه قال : كانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ، ويعلمون الولدان صفته واسمه ومهاجره ، فلما ظهر حسدوا وبغوا وأنكروا .

وذكر أبو نعيم فى « دلائل النبوة » من حديث سليمان بن سحيم ورميح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه ، قال : سمعت أبى مالك بن سنان يقول : جئت نبي عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم ونحن يومئذ فى هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أظن خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم . فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهل كالمستهزىء به : ما صفته ؟ فقال : رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، فى عينيه حمرة ، يلبس الشملة ، ويركب الحمار ، وهذا البلد مهاجره قال فرجعت إلى قومي بنى خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع ، فأسمع رجلاً منها يقول : هذا وحده يقوله ؟ ! كل يهود يشرب تقول هذا ، قال أبى : فخرجت حتى جئت يهود بنى قريظة فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الزبير بن باطا : قد طلع

الكوكب الأحمر الذى لم يطلع إلا بخروج نبي وظهوره ، ولم يبق أحد إلا أحمد ، هذه مهاجرة ، قال أبو سعيد : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخبره أبى هذا الخبر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلمت يهود كلها إنما هم لهم تبع .

وقال النضر بن سلمة حدثنا يحيى بن إبراهيم ، عن صالح بن محمد ، عن أبيه ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن محمد ابن مسلمة قال : لم يكن فى بنى عبد الأشهل إلا يهودى واحد يقال له يوشع ، فسمعتة يقول وإنى لغلाम : قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت ، ثم أشار بيده إلى نحو بيت الله الحرام ، فن أدركه فليصدق ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا ولم يسلم حسداً وبغياً .

قال النضر : وحدثنا عبد الجبار بن سعيد ، عن أبى بكر بن عبد الله العامرى ، عن سليم بن يسار ، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت ، قال : ما كان فى الأوس والخزرج رجل أوصف لمحمد من أبى عامر الراهب ، كان يألف اليهود ويسألهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن هذه دار هجرته ، ثم خرج إلى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك ، ثم خرج إلى الشام فسأل النصارى فأخبروه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن مهاجرة يثرب ، فرجع أبو عامر وهو يقول : أنا على دين الحنيفية ، وأقام مترهباً ولبس المسوح ، وزعم أنه على دين إبراهيم وأنه ينتظر خروج النبي ، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة لم يخرج إليه وأقام على ما كان عليه .

فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حسده وبغى وناق ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «يا محمد .. بم بعثت ؟ قال «بالحنيفية» قال أنت تخلطها بغيرها ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم

وسلم : « أتيت بها بيضاء ، أين ما كان يخبرك الأخبار من اليهود والنصارى من صفتي ؟ » فقال : لست الذى وصفوا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « كذبت » . فقال : ما كذبت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الكاذب أماته الله وحيداً طريداً » ، قال : آمين ، ثم رجع إلى مكة وكان مع قريش يتبع دينهم وترك ما كان عليه ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فات بها طريداً غريباً وحيداً .

وقال الواقدي : حدثني محمد بن سعد الثقفى وعبد الرحمن بن عبد العزيز فى جماعة كل حدثني بطائفة من الحديث ، عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على المقوقس وأنه قال له : إن محمداً نبى مرسل ، ولو أصاب القبط والروم اتبعوه قال المغيرة فأقت بالاسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها وسألت أساقفتها من قبطها ورومها عما يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم .

وكان أسقف من القبط وهو رأس كنيسة أبى محنس كانوا يأتونه بمرضاهم فيداوهم ويدعو لهم ، لم أر أحداً قط لا يصلى الخمس أشد اجتهاداً منه ، فقلت : أخبرنى هلى بقى أحد من الأنبياء ؟ قال : نعم وهو آخرهم ليس بينه وبين عيسى أحد وهو نبى قد أمرنا عيسى باتباعه ، وهو النبى الأمى العربى ، اسمه أحمد ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، فى عينيه حمرة ، وليس بالأبيض ولا بالأدم يعفى شعره ، ويلبس ما غلظ من الثياب ، ويجترى بما لقى من الطعام ، سيفه على عاتقه ولا يبالى من لاقى يباشر القتال بنفسه ، ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم هم له أشد حبا من أولادهم وآبائهم ، يخرج من أرض القرظ ، ومن حرم يأتى وإلى حرم يهاجر إلى أرض مسبخة ونخل ، يدين بدين إبراهيم ، يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، ويخص بما لم يخص به الأنبياء قبله ، وكان النبى يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس كافة ،

وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً أينما أدركته الصلاة تيمم ، وصلى ومن كان قبلهم مشدد عليهم لا يصلون إلا فى الكنائس والبيع .

وقال الطبرانى حدثنا على بن عبد العزيز، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا المسعودى عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد، عن أبيه، عن جده سعيد بن زيد، أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال لزيد: من أين أقبلت؟ قال من بيت إبراهيم، قال: وما تلتمس؟ قال ألتمس الدين، قال ارجع فإنه يوشك أن يظهر الذى تطلب فى أرضك، فرجع وهو يقول: « لبيك حقاً حقاً . تعبداً ورقاً » .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الأعلام: حدثنى يزيد بن عمرو، حدثنا العلاء بن الفضل، حدثنى أبى، عن أبيه عبد الملك بن أبى سوية، عن أبى سوية، عن أبيه خليفة بن عتبة المنقرى، قال: سألت محمد ابن عدى: كيف سماك أبوك عدى محمداً؟ قال: أما إني قد سألت أبى عما سألتني عنه، فقال خرجت رابع أربعة من بنى تميم أنا أحدهم ومجاشع بن دارم ويزيد بن عمرو بن ربيعة وأسامة بن مالك بن جندب نريد ابن جفنة الغسانى، فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجرات وقربه ديرانى فأبشرف علينا، وقال: إن هذه اللغة ما هى لأهل هذه البلدة، قلنا نعم نحن قوم من مضر، قال: من أى المضريين؟ قلنا من خندف، قال: أما إنه سيبعث فيكم وشيكا نبي فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا، فإنه خاتم النبيين، واسمه محمد، فلما انصرفنا من عند ابن جفنة الغسانى وصرنا إلى أهلنا ولد لكل رجل منا غلام فسماه محمداً .

وقال الإمام أحمد: حدثنا روح، حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء ابن السائب، عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه،

قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنيسة فإذا هو يهود، وإذا يهودى يقرأ عليهم التوراة، فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا، وفي ناحيتها رجل مريض، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما لكم أمسكن؟ قال المريض إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال هذه صفتك وصفة أمتك: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ثم مات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: خذوا أحاكم.

وقال محمد بن سعد: حدثنا محمد بن عمر، قال حدثني سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه، عن عكرمة عن ابن عباس، عن أبي بن كعب قال: لما قدم «تبع» المدينة ونزل بقباء بعث إلى أحبار اليهود فقال: إني مخرب هذا البلد حتى لا تقوم بها يهودية ويرجع الأمر إلى العرب، فقال له شموان اليهودى وهو يومئذ أعلمهم أيها الملك! إن هذا بلد يكون إليه مهاجر نبي من بنى إسماعيل، مولده بمكة، اسمه أحمد، وهذه دار هجرته. وإن منزلك هذا الذى أنت به يكون به من القتل والجراح كثير فى أصحابه وفى عدوهم، قال تبع: ومن يقاتله يومئذ وهو نبي كما تزعمون، قال: يسير إليه قومه فيقتلون ها هنا، قال: فأين قبره، قال بهذا البلد، قال: فإذا قوتل لمن تكون الدائرة؟ قال: تكون له مرة وعليه مرة، وهذا المكان الذى أنت به تكون عليه ويقتل أصحابه قتلا لم تقتلوه فى موطن ثم تكون له العاقبة ويظهر فلا ينازعه هذا الأمر أحد، قال: وما صفته؟ قال رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، فى عينيه حمرة، يركب البعير، ويلبس الشملة، سيفه على عاتقه لا يبالى من لاقى من أخ أو ابن عم أو عم حتى يظهر أمره، قال تبع: ما إلى هذه البلدة من سبيل، وما يكون خرابها على يدى، فخرج تبع منصرفاً إلى اليمن، قال يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه لم يمت تبع حتى

صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يهود يثرب يخبرونه ، وإن تبع مات مسلماً .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر ، حدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، قال : كان الزبير بن باطا وكان أعلم اليهود يقول : إني وجدت سفيراً كان أبى يكتمه على فيه ذكر أحمد نبي يخرج بأرض القرظ ، صفته كذا وكذا ، فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث بعد فما هو إلا أن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة فعمد إلى ذلك السفر فحاه وكنم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفته ، وقال ليس به .

قال محمد بن عمر وحدثني الضحاك بن عثمان ، عن محمرة بن سليمان ، عن كريب عن ابن عباس ، قال : كان يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم عندهم قبل أن يبعث ، وإن دار هجرته المدينة ، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أجبار يهود : ولد أحمد الليلة ، هذا الكوكب قد طلع ، فلما تنبأ أحمد قد طلع الكوكب كانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه فما منعهم إلا الحسد والبغى .

وقال محمد بن سعد : أخبرنا علي بن محمد عن أبي عبيدة بن عبد الله وعبد الله بن محمد بن عمار بن ياسر وغيره ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات ، فلما كانت ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش : هل كان فيكم من مولود هذه الليلة ؟ قالوا : لا نعلمه ، قال انظروا يامعشر قريش وأحصوا ما أقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة أحمد ، وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات ، فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه ، فلما صاروا في منازلهم ذكروه لأهلهم فقليل لبعضهم ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه

محمدًا ، فأتوا اليهودى فى منزله فقالوا : علمت أنه ولد فينا غلام ، فقال :
أبعد خبرى أم قبله ؟ فقالوا قبله ، واسمه أحمد ، قال ، فاذهبوا بنا إليه ،
فخرجوا حتى أتوا أمه فأخرجته إليهم فرأى الشامة فى ظهره فغشى على
اليهودى ثم أفاق ، فقالوا ما لك ؟ ويلك ! فقال : ذهبت النبوة من بنى
إسرائيل ، وخرج الكتاب من أيديهم ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم
يامعشر قريش ؟ ! أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق
إلى المغرب .

قال ابن سعد : وأخبرنا على بن محمد عن على بن مجاهد ، عن
محمد بن اسحق ، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبى هريرة ،
قال : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس ، فقال
أخرجوا إلى أعلمكم ، فقالوا عبد الله بن سوريا ، فخلا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن
والسلوى وظللهم من الغمام أتعلم أنى رسول الله ؟ قال اللهم نعم وأن
القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك ونعتك لمبين فى التوراة ولكن
حسدوك ، قال : فما يمنعك أنت ؟ أكره خلاف قومى عسى أن يتبعوك
ويسلموا فأسلم .

وقال أبو الشيخ الأصبهاني : حدثنا أبو يحيى الرازى ، حدثنا سهل
ابن عثمان ، حدثنا على بن مسهر ، عن داود عن الشعبي ، قال قال عمر بن
الخطاب : كنت أتى اليهود عند دراستهم التوراة فأعجب من موافقة
التوراة للقرآن وموافقة القرآن للتوراة (١٢٦) ، فقالوا : ياعمر ما أحد أحب
إلينا منك لأنك تغشانا ، قلت : إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب
الله بعضه بعضاً ، فبينما أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا : هذا صاحبك ، فقلت : أنشدكم الله وما أنزل عليكم
من الكتاب أتعلمون أنه رسول الله ؟ فقال سيدهم : قد نشدكم الله
(١٢٦) فى بعض الامور .

فأخبروه ، فقالوا : أنت سيدنا فأخبره ، فقال : إنا نعلم أنه رسول الله ، قلت : فإنى أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله لِمَ لَمْ تتبعوه ؟ قالوا : إن لنا عدواً من الملائكة وسلاماً من الملائكة ، عدونا جبريل وهو ملك الفظاظة والغلظة ، وسلمنا ميكائيل وهو ملك الرأفة واللين . قلت : فإنى أشهد ما يحل لجبريل أن يعادى سلم ميكائيل ولا لميكائيل أن يعادى سلم جبريل ولا أن يسالم عدوه ، ثم قت فاستقبلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا أقرئك آيات نزلت من قبل ، فتلا (من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) الآية ، فقلت : والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود » . قال عمر : فلقد رأيتنى أشد فى دين الله من حجر .

وذكر أبو نعيم من حديث عمرو بن عبسه قال : رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية ، وعرفت أنها على الباطل يعبدون الحجارة وهى لا تضر ولا تنفع فلقيت رجلاً من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين ؟ فقال يخرج رجل من مكة ويرغب عن آلهة قومه يأتى بأفضل الدين ، فإذا سمعت به فاتبعه ، فلم يكن لى همٌ إلا مكة آتيها فأسأل : هل حدث فيها خبر ؟ فيقولون : لا فأنصرف إلى أهلى وأعترض الركبان فأسألهم فيقولون : لا ، فإنى لقاعد إذ مر بى راكب فقلت : من أين جئت ؟ قال من مكة ، قلت : هل حدث حدث فيها ، قال : نعم ، رجل رغب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها ، قلت صاحبى الذى أريد فشددت راحلتى وجئت فأسلمت .

وقال عبد الغنى بن سعيد : حدثنا موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس : أن ثمانية من أساقفة نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم « العاقب » و « السيد » فأنزل الله تعالى : ﴿ فقل تعالوا ندع

أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴿الآية﴾ فقالوا أخرنا ثلاثة أيام ، فذهبوا إلى بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فاستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه ، وهو النبي الذي نجده فى التوراة والإنجيل ، فصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألف حلة ، فى صفر وألف حلة فى رجب ودراهم .

وقال يونس بن بكير عن قيس بن الربيع ، عن يونس بن أبى سالم ، عن عكرمة : أن ناساً من أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وأما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ .

وقال ابن سعد : حدثنا محمد بن سعد بن إسماعيل بن أبى فديك عن موسى ابن يعقوب الزمعى عن سهل مولى عثمة أنه كان نصرانياً وكان يتيماً فى حجر عمه وكان يقرأ الإنجيل ، قال فأخذت مصحفاً لعمى فقرأته حتى مرت بى ورقة أنكرت كثافتها ، فإذا هى ملصقة ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم « أنه لا قصير ولا طويل ، أبيض بين كتفيه خاتم النبوة ، يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاه ويلبس قيصاً مرقعاً وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد » ، قال فجاء عمى فرأى الورقة فضربنى ، وقال : مالك وفتح هذه الورقة ؟ فقلت : فيها نعت النبي أحمد ، فقال إنه لم يأت بعد .

وقال وهب : أوحى الله إلى أشعياء : « أنى مبتعث نبياً أفتح به أذاناً صماً وقلوباً غلفاً ، أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والوفاء والصدق طبيعته ، والعفو والمغفرة والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى أمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأكثر به بعد القلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب

مختلفة وأهواء متشتتة وأمم مختلفة ، وأجعل أمته خير أمة ، وهم رعاة الشمس ، طوبى لتلك القلوب» .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عثمان بن عبد الرحمن : أن رجلاً من أهل الشام من النصارى قدم مكة ، فأتى على نسوة قد اجتمعن فى يوم عيد من أعيادهن وقد غاب أزواجهن فى بعض أمورهن ، فقال : يانساء تيماء إنه سيكون فيكم نبي يقال له أحمد ، أيتها امرأة منكن استطاعت أن تكون له فراشاً فلتفعل ، فحفظت خديجة حديثه .

وقال عبد المنعم بن إدريس ، عن أبيه ، عن وهب ، قال فى قصة داود ، ومما أوحى الله إليه فى الزبور : « يا داود إنه سيأتى من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمد ، صادقاً سيدياً ، لا أغضب عليه أبداً ولا يغضبني أبداً ، قد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأمته مرحومة ، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الأنبياء والرسل ، حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أنى افترضت عليهم أن يتطهروا لكل صلاة ، كما افترضت على الأنبياء قبلهم وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل من قبلهم . يا داود إنى فضلت محمداً وأمته على الأمم كلها : أعطيتهم ست خصال لم أعطاها غيرهم من الأمم ، لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان ، وكل ذنب ركبوه على غير عمد إذا استغفرونى منه غفرته لهم ، وما قدموا لآخرتهم من شئ طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافاً مضاعفة أفضل من ذلك ، وهم فى المدخور عندى أضعافاً مضاعفة أفضل من ذلك ، وأعطيتهم على المصائب إذا صبروا واسترجعوا الصلاة والرحمة والهدى فإن دعونى استجبت لهم ، يا داود من لقينى من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى صادقاً بها فهو معى فى جنتى وكرامتى ، ومن لقينى وقد كذب محمداً أو كذب

بما جاء به واستهزأ بكتابي صبيت عليه فى قبره العذاب صباً وضربت
الملائكة وجهه ودبره عند منشره فى قبره ثم أدخله فى الدرك الأسفل من
النار) .

وقال عفان : حدثنا همام عن قتادة ، عن زرارة بن أبى أوفى ، عن
مطرف بن مالك : أنه قال شهدت فتح تستر مع الأشعرى فأصبنا قبر
دانيال بالسوين ، وكانوا إذا أجذبوا خرجوا فاستسقوا به فوجدوا معه رقعة
فطلبها نصرانى من الحيرة يسمى نعيماً فقرأها وفى أسفلها (ومن يبتغ غير
الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) فأسلم منهم
يومئذ اثنان وأربعون حبراً ، وذلك فى خلافة معاوية فأتحفهم معاوية
وأعطاهم . قال همام فأخبرنى بسطام بن مسلم أن معاوية بن قرة قال :
تذاكرنا الكتاب إلى ما صار فرعلينا شهر بن حوشب فدعونه فقال
على الخير سقطتم . إن الكتاب كان عند كعب فلما احتضر قال ألا
رجل أئتمنه على أمانة يؤديها ؟ قال شهر : فقال ابن عم لى يكنى أبا
لبيد : أنا ، فدفع إليه الكتاب ، فقال : إذا بلغت موضع كذا فاركب
قرقوراً ثم اقف به فى البحر ففعل ، فانفجر الماء فقفذه فيه ورجع إلى
كعب فأخبره فقال صدقت إنه من التوراة التى أنزلها الله عز وجل .

ومن ذلك «أخبار أمية بن أبى الصلت الثقفى» ونحن نذكر
بعضها . قال الزبير بن بكار : حدثنى عمى مصعب ، عن مصعب بن
عثمان ، قال : كان أمية قد نظر فى الكتب وقرأها وليس المسوح تعبداً ،
وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية وحرم الخمر والأوثان والتمس
الدين ، وطمع فى النبوة لأنه قرأ فى الكتب أن نبياً يبعث من العرب
فكان يرجو أن يكون هو فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم قيل
له : هذا الذى كنت تبشر به وتقول فيه ، فحسده عدو الله وقال أنا
كنت أرجو أن أكون هو ، فأنزل الله عز وجل فيه : ﴿واتل عليهم نبأ الذى

آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ﴿١٠٠﴾ وهو الذى يقول :
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زرو .

قال الزبير وحدثنى عمر بن أبى بكر المؤملى ، قال : كان أمية بن
أبى الصلت يلتمس الدين ويطمع فى النبوة فخرج إلى الشام فر
بكنيسة ، وكان معه جماعة من العرب من قريش وغيرهم فقال أمية :
إن لى حاجة فى هذه الكنيسة فانتظرونى ، فدخل الكنيسة ثم خرج
إليهم كاسفاً متغيراً فرمى بنفسه ، فأقاموا عليه حتى سرى عنه ثم مضوا
فقضوا حوائجهم .

ثم رجعوا فلما صاروا إلى الكنيسة قال لهم انتظرونى ودخل الكنيسة
فأبطأ ثم خرج أسوأ من حاله الأول ، فقال له أبو سفيان بن حرب : قد
شقت على رفقتك ، فقال : خلونى فانى أرتاد لنفسى وأطلب لمعادى ،
وإن ههنا راهباً عالماً أخبرنى أنه سيكون بعد عيسى ست رجفات وقد
مضت منها خمس وبقيت واحدة ، فخرجت وأنا أطمع أن أكون نبياً
وأخاف أن يخطئنى فأصابنى ما رأيت ، فلما رجعت أتيته فقال قد كانت
الرجفة وقد بعث نبي من العرب فأيست من النبوة فأصابنى ما رأيت إذ
فاتنى ما كنت أطمع فيه .

قال وقال الزهرى خرج أمية فى سفر فنزلوا منزلاً قام أمية وجها
وصعد فى كثيب فرفعت له كنيسة فأنهى إليها فاذا شيخ جالس ، فقال
لأمية جين رآه إنك لمتبوع فمن أين يأتيك رثيك ؟ قال من شقى الأيسر ،
قال : فأى الثياب أحب إليه أن تلقاه فيها ؟ قال السواد ، قال : كدت
تكون نبي العرب ولست به ، هذا خاطر من الجن وليس بملك وإن نبي
العرب صاحب هذا الأمر يأتيه الملك من شقه الأيمن ، وأحب الثياب
إليه أن يلقاه فيها البياض ، قال الزهرى وأتى أمية أبا بكر فقال له :
يا أبا بكر عمى الخبر ، فهل أحسست شيئاً ؟ قال : لا والله ، قال قد
وجدته يخرج فى هذا العام . وقال عمر بن شبة : سمعت خالد بن يزيد

يقول: إن أمية وأبا سفيان بن حرب صحبانى فى تجارة إلى الشام، فذكر نحو الحديث الأول، وزاد فيه فخرج من عند الراهب وهو ثقیل، فقال له أبو سفيان: إن بك لشرأفا قضيتك؟ قال خير، أخبرنى عن عتبة بن ربيعة كم سنة؟ فذكر سنا، قال: أخبرنى عن ماله، فذكر مالا، فقال له: وضعته، قال أبو سفيان بل رفعته، فقال إن صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذى مال، قال وكان الراهب أياسه وأخبره أن الأمر لرجل من قريش.

قال الزبير: وحدثنى عمر بن أبى بكر المؤملى، قال حدثنى رجل من أهل الكوفة، قال: كان أمية نائماً فجاءه طائران فوق أحدهما على باب البيت ودخل الآخر فشق عن قلبه ثم رده الطائرة، فقال له الطائر الآخر أوعى؟ قال: نعم، قال: أزكى؟ قال: أبى.

وقال الزهرى: دخل يوماً أمية بن أبى الصلت على أخته وهى تنهأ أدماها فأدركه النوم فنام على سرير فى ناحية البيت، قالت فانشق جانب من السقف فى البيت وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه، فشق الواقع صدره فأخرج قلبه فشقه، فقال الطائر الآخر للذى على صدره: أوعى؟، قال: وعى، قال: أقبل؟، قال: أبى، قال فرد قلبه فى موضعه ثم مضى فأتبعها أمية طرفه وقال: لبيكما لبيكما ها أنا لديكما. لا برىء فأعترز ولا ذو عشيرة فأنتصر، فرجع الطائر فوق على صدره فشقه حتى أخرج قلبه فشقه، فقال الطائر الأعلى للواقع: أوعى؟ قال: وعى، قال: أقبل؟ قال: أبى، ونهض فأتبعها أمية بصره فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما، لا مال لى يغينى ولا عشيرة تحمينى، فرجع الطائر فوق على صدره فشقه ثم أخرج قلبه فشقه فقال الطائر الأعلى: أوعى؟ قال: وعى، قال: أقبل؟ قال: أبى، ونهض فأتبعه أمية بصره، فقال لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما، محفوف بالنعيم محوط بالذنب، قال فرجع الطائر فوق على صدره فشقه فأخرج

قلبه فشقه ، فقال الأعلى : أوعى ؟ قال : وعى ، قال : أقبل ؟ قال :
أبى ، قال ونهض فأتبعها طرفه فقال : لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما .

إن تغفر اللهم تغفر جماً وأى عبد لك لا ألماً

ثم انطبق السقف وجلس أمية يمسح صدره ، فقلت يا أخى ! هل تجد شيئاً ؟
قال : لا ولكنى أجد حراً فى صدرى ، ثم أنشد يقول :

ليتنى كنت قبل ما قد بدالى فى قلال الجبال ارعى الوعولا

أجعل الموت نصب عينيك واحنو غولة الدهر إن للدهر غولا

وقال مروان بن الحكم ، عن معاوية بن أبى سفيان عن أبى سفيان
ابن حرب ، قال : خرجت أنا وأمّية بن أبى الصلت تجاراً إلى الشام ،
فكان كلما نزلنا منزلاً أخرج منه سفراً يقرؤه ، فكنا كذلك حتى نزلنا
بقرية من قرى النصارى فرأوه فغرفوه وأهدوا له ، وذهب معهم إلى
بيعتهم ، ثم رجع فى وسط النهار فطرح نفسه واستخرج ثوبين أسودين
فلبسهما ، ثم قال : يا أبا سفيان .. هل لك فى عالم من علماء النصارى
إليه تناهى علم الكتب تسأله عما بدالك ؟ قلت : لا ، فضى هو وحده
وجاءنا بغد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فوالله ما
نام ولا قام حتى أصبح وأصبح كئيباً حزينا ما يكلمنا ولا نكلمه .

فسرينا ليلتين على ما به من الهم .. فقلت له : ما رأيت مثل الذى
رجعت به من عند صاحبك ، قال : لمنقلبي ، قلت : وهل لك من
منقلب ؟ قال : إى والله لأموتن ولأحاسبن ، قلت : فهل أنت قابل
أمانى ؟ قال : على ماذا ؟ قلت : على أنك لا تبعث ولا تحاسب ،
فضحك وقال : بلى والله لتبعثن ولتحاسبن ، ولتدخلن فريق فى الجنة
وفريق فى السعير ، قلت : ففى أيهما أنت أخبرك صاحبك ؟ قال : لا
علم لصاحبى بذلك فى ولا فى نفسه ، فكنا فى ذلك ليلتنا يعجب منا
ونضحك منه حتى قدمنا غوطة دمشق ، فبعنا متاعنا وأقنا شهرين ثم

ارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فلما رأوه جاعوه وأهدوا له
وذهب معهم إلى بيعتهم، حتى جاءنا مع نصف النهار فلبس ثوبيه
الأسودين وذهب حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم رمى
بنفسه على فراشه، فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح مبعوثاً حزيناً لا
يكلمنا ولا نكلمه .

فرحلنا فسرنا ليالى، ثم قال : يا صخر حدثني عن عتبة بن ربيعة
أيجتنب المحارم والمظالم ؟ قلت : إى والله ، قال : أو يصل الرحم ويأمر
بصلتها ؟ قلت : نعم ، قال : فكرم الطرفين وسيط فى العشيرة ؟ قلت :
نعم ، قال : فهل تعلم قريشاً أشرف منه ؟ قلت : لا والله ، قال : أحوج
هو ؟ قلت : لا بل هو ذو مال كثير ، قال : كم أتى له من السنين ؟
قلت : هو ابن سبعين أو قد قاربها ، قال : فالسن والشرف أزريا به ،
قلت : والله بل زاده خيراً ، قال : هو ذاك ، ثم إن الذى رأيت بى إنى
جئت هذا العالم فسألته عن هذا الذى ينتظر ، فقال : رجل من العرب
من أهل بيت تحجه العرب ، فقلت : فينا بيت تحجه العرب ، قال هو
من إخوانكم وجيرانكم من قريش ، فأصابنى شىء ما أصابنى مثله إذ
خرج من يدى فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو أن أكون أنا هو ، فقلت :
فصفه لى ؟ فقال : رجل شاب حين دخل فى الكهولة ، بدء أمره أنه
يجتنب المحارم والمظالم ، ويصل الرحم ويأمر بصلتها ، وهو كرم الطرفين ،
متوسط فى العشيرة ، أكثر جنده من الملائكة ، قلت : وما آية ذلك ؟
قال : رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم عدة رجفات كلها فيها
مصيبة ، وبقيت رجفة عامة فيها مصيبة ، يخرج على أثرها ، فقلت هذا
هو الباطل ، لأن بعث الله رسولا لا يأخذه إلا مسنا شريفاً ، قال أمية :
والذى يحلف به إنه هكذا .

فخرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكبا من
خلفنا فإذا هو يقول أصابت الشام من بعدكم رجفة دثر أهلها فيها

فأصابته مصائب عظيمة ، فقال أمية كيف ترى يا أبا سفيان ؟ فقلت :
والله ما أظن صاحبك إلا صادقاً ، وقدمنا مكة ثم انطلقت حتى أتيت
أرض الحبشة تاجراً وكنت فيها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فجاءني الناس
يسلمون عليّ وفي آخرهم محمد وهند تلاعب صبيانها ، فسلم عليّ ورحب
بى ، وسألنى عن سفرى ومقدمى ، ثم انطلق فقلت والله إن هذا الفتى
لعجب ما جاءنى من قريش أحد له معى بضاعة إلا سألنى عنها وما
بلغت ، والله إن له معى لبضاعة ما هو بأغناهم عنها ثم ما سألنى عنها
فقلت : أو ما علمت بشأنه ؟ فقلت وفزعته — وما شأنه ؟ قالت : يزعم
أنه رسول الله فذكرت قول النصرانية فوجمت ، ثم قدمت الطائف فنزلت
على أمية فقلت : هل تذكر حديث النصراني ؟ قال : نعم ، فقلت : قد
كان ، قال : ومن ؟ قلت : محمد بن عبد الله ، فتصبب عرقاً .. فقلت :
قد كان من أمر الرجل ما كان فأين أنت منه ؟ فقال : والله لا أومن
بنبى من غير ثقيف أبداً .

فهذا حديث أبى سفيان عن أمية ، وذلك حديثه عن هرقل وهو فى
صحيح البخارى ، وكلاهما من أعلام النبوة المأخوذة عن علماء أهل
الكتاب .

وذكر الترمذى وغيره من حديث عبد الرحمن بن غزوان وهو ثقة :
أنخبرنا يونس بن أبى اسحاق ، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن أبيه ،
قال : خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم
فى أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب حطوا عن رحالهم ،
فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يرون به فلا يخرج إليهم ولا
يلتفت .

قال : فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى إذا جاء فأخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين ، هذا رسول
رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ من قريش : ما

علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدون إلا لنبى، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفيه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به وكان هو فى رعية الإبل قال أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فىء الشجرة، فلما جلس مال فىء الشجرة عليه، فقال انظروا إلى فىء الشجرة مال عليه.

قال فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه وإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، وقال ما جاء بكم؟ قالوا: بلغنا أن هذا النبى خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس، وإننا قد خبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذا، فقال: لعل خلفكم أحد هو خير منكم، قالوا: إنا قد أخبرنا خبره بطريقك هذا، قال: أفأرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه فهل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا، قال: فبايعوه وأقاموا معه، قال: أنشدكم الله أيكم وليه؟ قالوا أبو طالب، فلم يزل يناشدهم حتى رده، وقد روى محمد بن سعد هذه القصة مطولة.

قال ابن سعد حدثنا محمد بن عمر بن واقد، حدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر الزبيرى، قال محمد بن عمر وحدثنا ابن أبى حبيبة عن داود بن الحصين، قال لما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المرة الأولى وهو ابن ثنتى عشرة سنة، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له ببحيرا فى صومعة له وكان علماء النصارى يكونون فى تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه، فلما نزلوا على ببحيرا وكانوا كثيراً ما يرون به ولا يكلمهم حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم، وإنما حمه على دعائهم أنه رآهم حين طلوعوا وغمامة تظل رسول الله صلى الله

عليه وسلم من دونهم حتى نزلوا تحت الشجرة ، ثم نظر إلى تلك الغمامة
أظلت تلك الشجرة فأخضلت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى استظل تحتها .

فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتى به
وأرسل إليهم ، وقال إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وأنا
أحب أن تحضروه كلكم ، ولا تخلقوا أحداً منكم كبيراً ولا صغيراً حراً
ولا عبداً فإن هذا شيء تكرموني به ، فقال رجل إن لك لشأناً يا بحيرا
ما كنت تصنع هذا فما شأنك اليوم ؟ قال إني أحب أن أكرمكم ولكم
حق ، فاجتمع القوم إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين
القوم لحداثة سنه في رحالهم تحت الشجرة .

فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرفها ويجدها عنده
وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم ويراه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال بحيرا يا معشر قريش لا يتخلفن منكم أحد
عن طعامي ؟ قالوا ما تخلف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سناً في
رحالهم ، فقال ادعوه ليحضر طعامي فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل
واحد مع إني أراه من أنفسكم ، فقال القوم هو والله اوسطنا نسباً وهو
ابن أخي هذا الرجل يعنون أبا طالب ، وهو من ولد عبد المطلب ، فقال
الحبارث بن عبد المطلب : والله إن كان بنا للوم أن يتخلف ابن عبد
المطلب من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على
الطعام والغمامة تسير على رأسه ، وجعل بحيراً يلحظه لحظاً شديداً وينظر
إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده في صفته .

فلما تفرقوا عن الطعام قام إليه الراهب فقال : يا غلام أسألك بحق
اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك ؟ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما ،
فيا لله ألا أخبرتنى عما أسألك عنه ، قال : سلني عما بدالك ، فجعل رسول

الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم .

وقالت قریش : إن لمحمد عند هذا الراهب لقدر ، وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه ، فقال الراهب لأبى طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : هو ابني ، قال : ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ، قال : فابن أخى ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : هلك وأمّه حبلى به قال : فما فعلت أمه ؟ قال : توفيت قريباً ، قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن عرفوا منه ما أعرف ليبغته عنناً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده فى كتابنا ، واعلم أنى قد أدبت إليك النصيحة .

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً ، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا صفته فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا إلى بحيرا فذكروا له أمره فنهاهم أشد النهى ، وقال لهم : أتجدون صفته ؟ قالوا : نعم ، قال فما لكم إليه سبيل ، فصدقوه وتركوه ، ورجع أبو طالب فما خرج به سفيراً بعد ذلك خوفاً عليه .

وذكر الحاكم والبيهقي وغيرهما من حديث عبد الله بن إدريس ، عن شرحبيل بن مسلم ، عن أبى أمامة ، عن هشام بن العاص ، قال : ذهبت أنا ورجل آخر من قریش إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام ، فخرجنا حتى قدمنا غوطة دمشق ، فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغسانى ، فدخلنا عليه فإذا هو على سرير له ، فأرسل إلينا برسول نكلمه ، فقلنا لا والله لا نكلم رسولا ، إنا بعثنا إلى الملك فإن أذن لنا كلمناه وإلا لم نكلم الرسول ، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك ، قال فأذن لنا ، فقال : تكلموا .

فكلمه هشام بن العاص ودعاه إلى الإسلام وإذا عليه ثياب سوداء فقال له هشام: وما هذه التي عليك؟ فقال لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام، قلنا ومجلسك هذا، فوالله لناخذنه منك، ولناخذن ملك الملك الأعظم، أخبرنا بذلك نبينا، فقال لستم بهم، بل هم قوم يصومون بالنهار ويفطرون بالليل، فكيف صومكم؟ فأخبرناه فلأ وجهه سواداً، فقال قوموا، وبعث معنا رسولا إلى الملك فخرجنا حتى إذا كنا قريبا من المدينة قال لنا الذي معنا: إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال، قلنا والله لا ندخل إلا عليها، فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون، فدخلنا على رواحنا متقلدين سيوفنا حتى انتهينا إلى غرفة له فأتحننا في أصلها وهو ينظر إلينا، فقلنا لا إله إلا الله والله أكبر. والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح.

فأرسل إلينا ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم، وأرسل إلينا أن ادخلوا، فدخلنا عليه وهو على فراش له وعنده بطارقه من الروم وكل شيء في مجلسه أحمر وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحمرة، فدنونا منه فضحك، وقال: ما كان عليكم لو حيثمونى بتحيتكم فيما بينكم؟ وإذا رجل فصيح بالعربية كثير الكلام، فقلنا إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك التي تحيا بها لا يحل لنا أن نحيك بها، قال: كيف تحيتكم فيما بينكم؟ فقلنا السلام عليكم.

قال: كيف تحيون ملككم، قلنا بها، قال: كيف يرد عليكم؟ قلنا بها، قال فما أعظم كلامكم؟ قلنا لا إله إلا الله والله أكبر. فلما تكلمنا بها — والله يعلم — لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها، قال: فهذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت الغرفة، كلما قلتموها في بيوتكم تنتفض عليكم بيوتكم، قلنا: لا، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك، قال: وددت أنكم كلما قلتموها ينتفض كل شيء عليكم وإنى خرجت

من نصف ملكي، قلنا لم؟ قال: لأنه يكون أيسر لشأنها وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة وأن تكون من حيل الناس، ثم سألنا عما أراد فأخبرناه.

ثم قال: كيف صلاتكم وصومكم؟ فأخبرناه، فقال: قوموا، فقمنا، فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثير، فأقننا ثلاثاً، فأرسل إلينا ليلاً فدخلنا عليه، فاستعاد قولنا فأعدناه، ثم دعا بشيء كهية الربة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح بيتاً وقفلاً واستخرج منه حريرة سوداء فنشرها، فإذا فيها صورة حمراء، وإذا فيها رجل ضخيم العينين، عظيم الإلتين لم أر مثل طول عنقه وإذا ليست له لحية وإذا له ضفيران أحسن ما خلق الله، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال: هذا آدم عليه السلام، وإذا هو أكثر الناس شعراً، ثم فتح باباً آخر واستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة بيضاء، وإذا له شعر قطط أحر العينين ضخيم الهامة حسن اللحية، قال تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال: هذا نوح عليه السلام. ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء وإذا فيها صورة رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين طريل الخد أبيض اللحية كأنه يتبسم، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال: هذا إبراهيم عليه السلام، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة فإذا صورة بيضاء وإذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أتعرفون هذا؟ قلنا نعم محمد رسول الله وبكينا.

قال والله يعلم إنه قام قائماً ثم جلس فقال: والله إنه هو؟ قلنا نعم إنه هو كأنما ننظر إليه، فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال أما إنه كان آخر البيوت ولكن عجلته لكم لأنظر ما عندكم، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة آدماء سمحاء وإذا رجل جعد قطط غائر العينين حديد النظر عابس متراكب الأسنان مقلص الشفة كأنه غضبان، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال هذا موسى

بن عمران ، وإلى جانبه صورة تشبهه إلا أنه مدهان الرأس عريض
الجبين فى عينيه قبل ، فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا ، قال : هذا
هارون ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل
آدم سبط ربعة كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا قلنا لا ، قال هذا
لوط .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل
أبيض مشرب حرة أقنى خفيف العارضين حسن الوجه ، فقال : هل
تعرفون هذا؟ قلنا لا قال هذا اسحاق ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج
حريرة بيضاء فيها صورة رجل تشبه اسحاق إلا إنه على شفته السفلى
خال ، فقال : هل تعرفون هذا؟ قلنا لا ، قال هذا يعقوب ، ثم فتح باباً
آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض حسن الوجه أقنى
الأنف حسن القامة يعلو وجهه نوره ، يعرف فى وجهه الخشوع يضرب
إلى الحمرة ، فقال : هل تعرفون هذا؟ قلنا لا ، قال هذا اسماعيل جد
نبيكم ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة كأنها صورة
آدم كأن وجهه الشمس ، فقال : هل تعرفون هذا؟ قلنا لا ، قال : هذا
يوسف .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل أحر خشن
الساقين أخفش العينين ضخم البطن ربعة متقلد سيفاً ، فقال : هل
تعرفون هذا؟ قلنا لا ، قال : هذا داود ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج
حريرة بيضاء فيها صورة رجل ضخم الأليتين ، طويل الرجلين ، راكب
فرسا ، فقال : هل تعرفون هذا؟ قلنا لا ، قال : هذا سليمان بن داود .
ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء وإذا رجل
شاب شديد سواد اللحية لين الشعر حسن الوجه حسن العينين ، فقال :
هل تعرفون هذا؟ قلنا لا ، قال هذا عيسى .

قلنا من أين لك هذه الصور لإنا نعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء ، لإنا رأينا صورة نبينا مثله ؟ قال إن آدم سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده فأنزل عليه صورهم ، وكانوا فى خزانة آدم عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين فصارت إلى دانيال ، ثم قال أما والله إن نفسى طابت بالخروج من ملكى وإنى كنت عبدا لاشدكم ملكه حتى أموت .

ثم أجازنا وأحسن جائزتنا وسرحنا ، فلما أتينا أبا بكر الصديق فأخبرناه بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا فبكى أبو بكر، وقال لو أراد الله به خيراً لفعل .

فهذا فى الإخبار بنبوته مما تلقاه المسلمون من أفواه علماء أهل الكتاب والمؤمنين منهم ، والأول فيما نقلوه من كتبهم ، وعلمائهم يقرون أنه فى كتبهم ، فالدليل بالوجه الأول يقام عليهم من كتبهم ، وبهذا الوجه يقام بشهادة من لا يتهم عليهم لأنه إما من عظمائهم ، وإما ممن رغب عن رياسته وماله ووجاهته فيهم وآثر الإيمان على الكفر والهدى على الضلال ، وهو فى هذا مدع أن علماءهم يعرفون ذلك ويقرون به ولكن لا يطلعون جهاهم عليه .

فالأخبار والبشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة عرفت من عدة طرق .

(أحدها) ما ذكرناه ، وهو قليل من كثير وغيض من فيض .

(الثانى) إخباره صلى الله عليه وسلم لهم أنه مذكور عندهم وأنهم وعدوا به وأن الأنبياء بشرت به ، واحتجاجه عليهم بذلك ، ولو كان هذا الأمر لا وجود له البتة لكان مغريا لهم بتكذيبه منفرا لاتباعه محتجا على دعواه بما يشهد بطلانها .

(الثالث) أن هاتين الأمتين معترفون بأن الكتب القديمة بشرت بنبى عظيم الشأن يخرج فى آخر الزمان نعتة كيت وكيت ، وهذا مما اتفق

عليه المسلمون واليهود والنصارى . فأما «المسلمون» فلما جاءهم آمنوا به وصدقوه وعرفوا أنه الحق من ربهم . وأما «اليهود» فعلموا أنهم عرفوه وتيقنوا أنه محمد بن عبد الله فمنهم من آمن به ومنهم من جحد نبوته وقالوا لأتباعه إنه لم يخرج بعد . وأما «النصارى» فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التي بعدها على المسيح ، ولا ريب أن بعضها صريح فيها وبعضها ممتنع حمله عليه وبعضها محتمل ، وأما بشارات المسيح فحملوها كلها على الحواريين ، وإذا جاءهم ما يستحيل انطباقه عليهم حرفوه أو سكتوا عنه وقالوا لا ندري من المراد به .

(الرابع) اعتراف من أسلم منهم بذلك وأنه صريح في كتبهم ، وعن المسلمين الصادقين منهم تلقى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقتها وصحتها بشهادة المسلمين منهم بها مع تباين أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم واتفاقهم على لفظها ، وهذا يفيد القطع بصحتها ولو لم يقر بها أهل الكتاب ، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها وإنما يغالطون في تأويلها والمراد بها ؟ ! وكل واحد من هذه «الطرق الأربعة» كاف في العلم بصحة هذه البشارات ، وقد قدمنا أن إقدامه صلى الله عليه وسلم على إخبار أصحابه وأعدائه بأنه مذكور في كتبهم بنعته وصفته وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وتكراره ذلك عليهم مرة بعد مرة في كل جمع وتعريفهم بذلك وتوبيخهم والنداء عليهم به من أقوى الأدلة القطعية على وجوده من وجهين «أحدهما» قيام الدليل القطعي على صدقه ، «الثاني» دعوته لهم بذلك إلى تصديقه ، ولو لم يكن له وجود لكان ذلك من أعظم دواعي تكذيبه والتنفير عنه .

وهذه الطرق يسلكها من يساعدهم على أنهم لم يحرفوا ألفاظ التوراة والإنجيل ولم يبدلوا شيئاً منها فيسلكها بعض نظار المسلمين معهم من غير تعرض إلى التبديل والتحريف . وطائفة أخرى تزعم أنهم بدلوا وحرفوا كثيراً من ألفاظ الكتابين ، مع أن الغرض الحامل لهم على ذلك دون

الغرض الحامل لهم على تبديل البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم بكثير، وإن البشارات لكثرتها لم يمكنهم إخفاؤها كلها وتبديلها، ففضحهم ما عجزوا عن كتمانها أو تبديله .

وكيف ينكر من الأمة الغضبية قتلة الأنبياء الذين رموهم بالعظائم أن يكتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وقد جحدوا نبوة المسيح ورموه وأمه بالعظائم ونعته والبشارة به موجود في كتبهم ؟ ومع هذا أطبقوا على جحد نبوته وإنكار بشارة الأنبياء به ، ولم يفعل بهم ما فعله بهم محمد صلى الله عليه وسلم من القتل والسبي وغنيمة الأموال وتخريب الديار وإجلائهم منها ، فكيف لا تتواصى هذه الأمة بكتمان نعته وصفته وتبدله من كتبها ؟

وقد عاب الله سبحانه عليهم ذلك في غير موضع من كتابه ولعنهم عليه . ومن العجب أنهم والنصارى يقولون أن التوراة كانت طول مملكة بنى إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهارونى وحده ، واليهود تقرر أن السبعين كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة ، وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم ، ومن رضى بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف غيره (١٢٧) ، واليهود تقرر أيضاً أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلاً ظاهراً وزادوا ونقصوا ، والسامرة تدعى ذلك عليهم (١٢٨) .

(١٢٧) اجتمع سبعون عالماً من علماء اليهود في « الاسكندرية » سنة ٢٨٢ ق . م وترجموا أسفار موسى الخمسة من العبرانية الى اليونانية . واليهود العبرانيون لما رجعوا من بابل زادوا في الحروف العبرانية الأبجدية وغيروا ، فلذلك كانت العبرانية الحديثة غير العبرانية القديمة . التى يتمسك بها السامريون إلى اليوم . (انظر كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء لأبى الفتح ابن ابى الحسن السامرى) .

(١٢٨) كلام المؤلف المذكور في كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء .

وأما « الإنجيل » فقد تقدم أن الذى بأيدي النصارى منه أربعة كتب مختلفة من تأليف أربعة رجال : متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا . فكيف ينكر تطرق التبديل والتحريف إليها ؟ وعلى ما فيها من ذلك فقد صرفهم الله عن تبديل ما ذكرنا من البشارات بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وإزالته وإن قدروا على كتمانهم عن أنبأهم وجهالهم . وفى « التوراة » التى بأيديهم من التحريف والتبديل وما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء ما لا يشك فيه ذوو بصيرة ، والتوراة التى أنزلها الله على موسى بريئة من ذلك ، ففيها عن لوط رسول الله « أنه خرج من المدينة وسكن فى كهف الجبل ، ومعه ابنتاه ، فقالت الصغرى للكبرى : قد شاخ أبونا فارقدى بنا معه لنأخذ منه نسلا ، فرقدت معه الكبرى ثم الصغرى ، ثم فعلنا ذلك فى الليلة الثانية وحملتا منه بولدين موآب وعمون » (١٢٩) . فهل يحسن أن يكون نبي رسول كريم على الله يوقعه الله سبحانه فى مثل هذه الفاحشة العظيمة فى آخر عمره ، ثم يذيعها عنه ويحكمها للأمم ؟ .

وفى « أن الله تجلى لموسى فى طور سيناء وقال له بعد كلام كثير أدخل يدك فى حبرك وأخرجها مبرومة كالثلج » (١٣٠) ، وهذا من النمط الأول . والله سبحانه لم يتجل لموسى وإنما أمره أن يدخل يده فى جيبه وأخبره أنها تخرج بيضاء من غير سوء أى من غير برص . وفى « أن هارون هو الذى صاغ لهم العجل ، وهذا إن لم يكن من زيناداتهم وافترائهم فهرون اسم السامرى الذى صاغه ليس هو بهرون أخى موسى » (١٣١) .

(١٢٩) قصة زنى لوط عليه السلام فى الأصحاح التاسع عشر من سفر التكوين .

(١٣٠) الأصحاح الرابع من سفر الخروج .

(١٣١) الأصحاح الثانى والثلاثون من سفر الخروج — وليس بلازم ان يكون

السامرى سمي بهرون .

وفيها أن الله قال لإبراهيم : « اذبح ابنك بكرك اسحاق » (١٣٢) ، وهذا من بهتهم وزيادتهم في كلام الله ، فقد جمعوا بين التقيضين ، فإن بكره هو اسمعيل فإنه بكر أولاده ، واسحق إنما بشر به على الكبر بعد قصة الذبح .

وفيها : « ورأى الله أن قد كثّر فساد الآدميين في الأرض فندم على خلقهم ، وقال سأذهب الآدمي الذي خلقت على الأرض والحشاش وطيور السماء لإنى نادم على خلقها جداً » (١٣٣) . تعالى الله على إفك المفتريين وعما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وفيها : أن الله سبحانه وتعالى علواً كبيراً تصارع مع يعقوب فضرب به يعقوب الأرض (١٣٤) .

وفيها : « أن يهوذا (١٣٥) بن يعقوب النبي زوّج ولده الأكبر من امرأة يقال لها ثامار ، فكان يأتيها مستدبراً فغضب الله من فعله فأماته ، فزوّج يهوذا ولده الآخر بها فكان إذا دخل بها أمني على الأرض علماً بأنه إن أولدها كان أول الأولاد مدعوا باسم أخيه ومنسوباً إلى أخيه ، فكره الله ذلك من فعله فأماته ، فأمرها يهوذا باللاحاق ببيت أبيها إلى أن يكبر ولده شيلا ويتم عقله ، ثم ماتت زوجة يهوذا وذهب إلى منزله ليجز غنمه ، فلما أخبرت ثامارا لبست زى الزواني وجلست على طريقه ، فلما

(١٣٢) الأصحاح الثاني والعشرون من سفر التكوين .

(١٣٣) الأصحاح السادس من سفر التكوين — ولاحظ أننا وصحننا مراد اليهود في ندم الله وغضبه واستحيائه ومجيئه ومصارعته ليعقوب وما إلى ذلك في كتابنا : الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام — نشر دار النهضة العربية بمصر .

(١٣٤) الأصحاح الثاني والثلاثون من سفر التكوين والأصحاح الثاني عشر من

سفر هوشع .

(١٣٥) قصة يهوذا واثامار في الأصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين — وقول

المؤلف : ومن ولد منها كان داود النبي يشير إلى « فارص » كما في الأصحاح الأول من أنجيل متى .

مر بها خالها زانية فراودها فطالبتة بالأجرة فوعدها بجدي ورمى عندها عصاه وخاتمه فدخل بها فعلقته منه بولدين». ومن ولد منها كان داود النبى، فقد جعلوه ولد زنا كما جعلوا المسيح ولد زنا، ولم يكفهم ذلك حتى نسبوا ذلك إلى التوراة، وكما جعلوا ولدى لوط ولدى زنا، ثم نسبوا داود وغيره من أنبيائهم إلى ذينك الولدين.

وأما فريتهم على الله ورسله وأنبيائه ورميهم لرب العالمين ورسله بالعظائم فكثير جداً، كقولهم: «إن الله استراح فى اليوم السابع من خلق السموات والأرض» (١٣٦)، فأنزل الله عز وجل على رسوله تكذيبهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (١٣٧)، وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (١٣٨)، وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (١٣٩)، وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ (١٤٠)، وقولهم: ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ (١٤١). وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِكِي عَلَى الطُّوفَانِ حَتَّى رَمَدَتْ عَيْنَاهُ وَعَادَتِهِ الْمَلَائِكَةُ﴾ (١٤٢)، وقولهم الذى حكيناه آنفا: «إن الله ندم على خلق بنى آدم» وأدخلوا هذه الفرية فى التوراة. وقولهم عن لوط: «أنه وطىء ابنتيه وأولدهما ولدين نسبوا إليهما جماعة من الأنبياء»، وقولهم فى بعض دعاء صلواتهم: «انتبه كم تنام يارب؟ استيقظ من رقدتك» (١٤٣).

فتجروا على رب العالمين بهذه المناجاة القبيحة، كأنهم ينخونه بذلك

(١٣٦) استراحة الله — تعالى — فى الأصحاح الثانى من سفر التكوين.

(١٣٧) سورة قاف ٣٨. (١٣٨) آل عمران ١٨١.

(١٣٩) المائدة ١٤. (١٤٠) آل عمران ١٨٣.

(١٤١) البقرة ٨٠. (١٤٢) هذا القول فى التلمود.

(١٤٣) المزمور الثامن والسبعون الآية الخامسة والستون. وفى الزبور آيات كثيرة من

هذا النوع.

لينتخى لهم ويحتسى، كأنهم يخبرونه أنه قد اختار الخمول لنفسه وأحبابه فيهنونه بهذا الخطاب للنباة واشتار الصيت .

قال بعض أكابرهم بعد إسلامه : فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات فى الصلاة يقشعر جلده ، ولا يشك أن كلامه يقع عند الله بموقع عظيم ، وإنه يؤثر فى ربه ويحركه وهزه وينخيه .

وعندهم فى توراتهم : « إن موسى صعد الجبل مع مشايخ أمته فأبصروا الله جهرة وتحت رجله كرسى منظره كمنظر البلور » (١٤٤) ، وهذا من كذبهم وافترائهم على الله وعلى التوراة .

وعندهم فى توراتهم « إن الله سبحانه لما رأى فساد قوم نوح وإن شرهم قد عظم ندم على خلق البشر فى الأرض وشق عليه » (١٤٥) .
وعندهم فى توراتهم أيضاً : « إن الله ندم على تمليكه شاول على إسرائيل » (١٤٦) .

وعندهم فيها : « أن نوحاً لما خرج من السفينة بنى بيتاً مذبحاً وقرب عليه قربانين ، واستنشق الله رائحة القثار ، فقال فى ذاته لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس لأن خاطر البشر مطبوع على الرداءة ، ولن أهلك جميع الحيوان كما صنعت » (١٤٧) .

قال بعض علمائهم الراسخين فى العلم ممن هداه الله إلى الإسلام : لسنا نرى أن هذه الكفريات كانت فى التوراة المنزلة على موسى ، ولا نقول أيضاً إن اليهود قصدوا تغييرها وإفسادها ؛ بل الحق أولى ما اتبع ، قال : ونحن نذكر حقيقة سبب تبديل التوراة (١٤٨) .

(١٤٤) الأصحاح الرابع والعشرون من سفر الخروج .

(١٤٥) الأصحاح السادس من سفر التكوين .

(١٤٦) الأصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الاول الآية العاشرة وما بعدها .

(١٤٧) الأصحاح الثامن من سفر التكوين .

(١٤٨) المؤلف سينقل من كتاب « بذل المجهود فى افحام اليهود » لشموئيل بن يهوذا

ابن أيوب — ولاحظ أن المؤلف سيترف أن كاتب التوراة هو « عزيز » فى بابل الذى

فإن علماء القوم وأحبارهم يعلمون أن هذ التوراة التى بأيديهم لا
يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها عين التوراة المنزلة على موسى بن
عمران البتة لأن موسى صان التوراة عن بنى إسرائيل ولم يبشها فيهم
خوفاً من اختلافهم من بعده فى تأويل التوراة المؤدى إلى انقسامهم
أحزاباً، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوى، قال: ودليل ذلك قول
التوراة ما هذه ترجمته: «وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى أئمة بنى
لاوى» (١٤٩).

وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم، لأن الامامة وخدمة
القرايين والبيت المقدس كانت فيهم، ولم يبد موسى لبنى إسرائيل من
التوراة إلا نصف سورة، وقال الله لموسى عن هذه السورة: «تكون لى
هذه السورة شاهدة على بنى إسرائيل ولا تنسى هذه السورة من أفواه
أولادهم» (١٥٠).

يسميه اليهود والنصارى (عزرا) مع أن شموئيل فى بذل المجهود قال أن المحرف هو عزرا.
وعزرا غير «عزير» المذكور فى القرآن. والصحيح أنه هو. ولم يكن نبيا ولا وليا. ولم
تحرف أسفار موسى الخمسة من بعد عزرا الى اليوم.
(١٤٩) الأصحاح الحادى والثلاثون من سفر التثنية.

(١٥٠) فهم شموئيل والمؤلف أيضا أن موسى لم يبد الا نصف سورة من هذا النص
«ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع اسرائيل بكل هذه الكلمات قال لهم: وجهوا قلوبكم الى
جميع الكلمات التى أنا اشهد عليكم بها اليوم لكى توصوا بها أولادكم فيحرصوا أن يعملوا
بجميع كلمات هذه التوراة» (تثنية ٣٢: ٤٥-٤٦) وهذا النص جاء عقب النشيد الذى
يبدأ من أول الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية والنشيد فى نظرها هو نصف
السورة. ولكن المفهوم من النص أن الوصية «بجميع كلمات هذه التوراة» وليس بنصف
السورة. وكيف يوصيهم بالعمل بالكامل وليس الكل معهم؟ والصحيح فى هذا الموضوع:
أن موسى عليه السلام اصطفى عن أمر الله سبط لاوى ليفوموا بتعلم التوراة وتعليمها للناس
ويتفرقوا بين الاسباط لهذا الغرض. وكتب موسى من التوراة ثلاث عشرة نسخة وضع واحدة
فى التابوت وأعطى لكل سبط نسخة تذكارا. وفى بابل اتفق اليهود على التحريف.
وبعدها حرقوا وبدلوا وأضطهدوا العلماء الذين لم يوافقوا على التوراة الجديدة. حتى ضاعت

وأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هرون وجعلها فيهم وصانها عمن سواهم ، فالأئمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها فقتلهم بختنصر على دم واحد ، وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس ، ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم ، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة .

فلما رأى عزيز أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جميعهم ورفع كتابهم ، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم ، ولذلك بالغوا في تعظيم عزيز غاية المبالغة ، وقالوا فيه ما حكاه الله عنهم في كتابه ، وزعموا أن النور على الأرض إلى الآن يظهر على قبره عند بطائح العراق ، لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم .

فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزيز وإن كان فيها أو أكثرها من التوراة التي أنزلها الله على موسى ، قال وهذا يدل على أن الذى جمع هذه الفصول التي بأيديهم رجل جاهل بصفات الرب تعالى وما ينبغى له وما لا يجوز عليه ، فلذلك نسب إلى الرب تعالى ما يتقدس ويتنزه عنه ، وهذا الرجل يعرف عند اليهود والنصارى بعزرا الوراق .

ويظن بعض الناس أنه (الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه) (١٥١) . ويقول إنه نبي ولا دليل على هاتين المقدمتين ، ويجب

القديمة الأصلية ، وأنتشرت المحرفة . (انظر اظهر الحق لرحمت الله الهنـدى بتحقيقنا وتعليقنا — نشر دار التراث العربى بمصر) .

(١٥١) البقرة ٢٥٩ وأنظر فى موضوع الذى مر على قرية كتابنا (اعجاز القرآن — رد على كتاب الفن القصصى فى القرآن الكريم — الطبعة الثانية — نشر الأنجلو المصرية) .

التثبت فى ذلك نفيًا وإثباتًا، فإن كان هذا نبيا واسمه عزيز فقد وافق صاحب التوراة فى الاسم .

« وبالجملة »

فنحن وكل عاقل نقطع ببراءة التوراة التى أنزلها الله على كليمه موسى من هذه الأكاذيب والمستحيلات والترهات ، كما نقطع ببراءة صلاة موسى وبنى إسرائيل معه من هذا الذى يقولونه فى صلاتهم اليوم ، فإنهم فى العشر الأول من المحرم فى كل سنة يقولون فى صلاتهم ما ترجمته : « يا أبانا أملك على جميع أهل الأرض ليقول كل ذى نسمة الله إله إسرائيل قد ملك ، ومملكته فى الكل متسلطة » .

ويقولون فيها أيضاً : « وسيكون لله الملك ، وفى ذلك اليوم يكون الله واحداً واسمه واحد » ، ويعنون بذلك إنه لا يظهر كون الملك له وكونه واحداً إلا إذا صارت الدولة لهم ، فأما مادامت الدولة لغيرهم فإنه تعالى خامل الذكر عند الأمم ، مشكوك فى وحدانيته ، مطعون فى ملكه ومعلوم قطعاً أن موسى ورب موسى برىء من هذه الصلاة براءته من تلك الترهات .

وجحدهم نبوة محمد من الكتب التى بأيديهم نظير « جحدهم نبوة المسيح » وقد صرحت باسمه ، ففى نص التوراة « لا يزول الملك من آل يهوذا ، والراسم من بين ظهرانيهم إلى أن يأتى المسيح » ، وكانوا أصحاب دولة حتى ظهر المسيح فكذبوه ورموه بالعظائم وهتوه وهتوا أمه فدمر الله عليهم وأزال ملكهم ، وكذلك قوله : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » (١٥٢) ، فأى نبوة أشرقت من ساعير غير نبوة المسيح ؟

(١٥٢) يعتقد المسلمون أن توراة موسى الاسفار الخمسة محرفة عمدا لفظا ومعنى فى بابل من بعد سنة ٥٨٦ ق.م وأن الذى رأس لجنة التحريف هو « عزرا » وتوراة عزرا لم تحرف الى اليوم .

وهم لا ينكرون ذلك ، ويزعمون أن قائما يقوم فيهم من ولد داود النبي إذا حرك شفثيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى إلا اليهود ، وهذا «المنتظر» بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به ، قالوا ومن علامة مجيئه أن الذئب والتيس يربضان معاً ، وأن البقرة والذئب يريان معاً ، وأن الأسد يأكل التبن كالبقرة .

فلما بعث الله المسيح كفروا به عند مبعثه ، وأقاموا ينتظرون متى يأكل الأسد التبن حتى تصح لهم علامة مبعث المسيح ، ويعتقدون أن هذا المنتظر متى جاءهم يجمعهم بأسرهم إلى القدس ، وتصير لهم الدولة ، ويخلو العالم من غيرهم ، ويحجم الموت عن جنابهم المنيع مدة طويلة ، وقد عوضوا من الإيمان بالمسيح ابن مريم بانتظار مسيح الضلالة الدجال ، فإنه هو الذي ينتظرونه حقاً ، وهم عسكره وأتبع الناس له ، ويكون لهم فى زمانه شوكة ودولة إلى أن ينزل مسيح الهدى ابن مريم فيقتل منتظرهم ، ويضع هو وأصحابه فيهم السيوف حتى يختبئ اليهودى وراء الحجر والشجر فيقولان يا مسلم هذا يهودى ورائى تعال فاقتله .

فإذا نظف الأرض منهم ومن عباد الصليب فحينئذ يرعى الذئب والكبش معاً ، ويربضان معاً ، وترعى البقرة والذئب معاً ، ويأكل الأسد التبن ، ويلقى الأمن فى الأرض ، هكذا أخبر به أشعياء فى نبوته وطابق خبره ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح فى خروج الدجال وقتل المسيح ابن مريم له ، وخروج يأجوج ومأجوج فى أثره ومحققهم من الأرض ، وإرسال البركة والأمن فى الأرض حتى ترعى الشاة والذئب ، وحتى أن الحيات والسباع لا تضر الناس فصلوات

وأسفار الانبياء كتبت فى العصر المكابى سنة ١٦٥ ق.م وعدلت فيها آيات فى مجمع يمينه سنة ٩٠ بعد الميلاد . والمسلمون يعتقدون أن أسفار الانبياء ليست فى قوة الاسفار الخمسة . لأنها أسفار كتبها اليهود الفريسيون وتعمدوا أثبات التناقض فيها ليلهو الناس بها عن التحريف المتعمد فى الاسفار الخمسة .

الله وسلامه على من جاء بالهدى والنور وتفصيل كل شيء وبيانه ، فأهل الكتاب عندهم عن أنبيائهم حق كثير لا يعرفونه ولا يحسنون أن يضعوه مواضعه ، ولقد أكمل الله سبحانه بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ما أنزله على الأنبياء عليهم السلام من الحق وبينه وأظهره لأمته ، وفصل على لسانه ما أجمله لهم وشرح ما رمزوا إليه ، فجاء بالحق وصدق المرسلين ، وتمت به نعمة الله على عباده المؤمنين .

فالمسلمون واليهود والنصارى تنتظر مسيحاً يجيء فى آخر الزمان ، فمسيح اليهود هو الدجال ، ومسيح النصارى لا حقيقة له ، فإنه عندهم إله وابن إله وخالق ومميت ومحيى ، فمسيحهم الذى ينتظرونه هو المصلوب المسمر المكمل بالشوك بين اللصوص ، المصفوع الذى هو مصفعة اليهود ، وهو عندهم رب العالمين وخالق السموات والأرضين ، ومسيح المسلمين الذى ينتظرونه هو عبد الله ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول عيسى بن مريم ، أخو عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله ، فيظهر دين الله وتوحيده ، ويقتل أعداءه عباد الصليب الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله ، وأعداءه اليهود الذين رموه وأمه بالعظام فهذا هو الذى ينتظره المسلمون .

وهو نازل على المنارة الشرقية بدمشق ، واضعاً يديه على منكبى ملكين ، يراه الناس عياناً بأبصارهم نازلاً من السماء ، فيحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينفذ ما أضاعه الظلمة والفجرة والخونة من دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحيى ما أماتوه ، وتعود الملل كلها فى زمانه ملة واحدة وهى ملته وملة أخيه محمد وملة أبيهما إبراهيم وملة سائر الأنبياء ، وهى الإسلام الذى من يبتغى غيره ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . وقد حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدركه من أمتة السلام ، وأمره أن يقرئه إياه منه ، فأخبر عن موضع نزوله بأى بلد وبأى مكان منه ، وبحاله وقت

نزوله ، وملبسه الذى كان عليه ، وأنه «ممصرتان» أى ثوبان ، وأخبر بما يفعل عند نزولة مفصلاً حتى كأن المسلمين يشاهدونه عياناً قبل أن يروه .

وهذا من جملة الغيوب التى أخبر بها فوقعت مطابقة لحبره حذو القذة بالقذة ، فهذا منتظر المسلمين لا منتظر المغضوب عليهم والضالين . ولا منتظر اخوانهم من الروافض المارقين ، وسوف يعلم المغضوب عليهم إذا جاء منتظر المسلمين انه ليس بابن يوسف النجار ، ولا هو ولد زنية ، ولا كان طبيياً حاذقاً ماهراً فى صناعته استولى على العقول بصناعته ، ولا كان ساحراً ممخرقاً ، ولا مكنوا من صلبه وتسميره وصفعه وقتله ، بل كانوا أهون على الله من ذلك . ويعلم الضالون أنه ابن البشر ، وأنه عبد الله ورسوله ليس بإله ولا ابن إله ، وأنه بشر بنبوة محمد أخيه أولاً وحكم بشريعته ودينه آخرأ ، وأنه عبدو المغضوب عليهم والضالين ، وولى رسول الله واتباعه المؤمنين ، وما كان أولياؤه الأرجاس الأنجاس عبدة الصليبان والصور المدهونة فى الحيطان ، إن أولياؤه إلا الموحدون عباد الرحمن . أهل الإسلام والإيمان ، الذين نزهوه وأمه عما رماها به أعداؤها اليهود ، ونزهوا ربه وخالقه ومالكه وسيده عما رماه به أهل الشرك والسب الواحد المعبود .

فلنرجع إلى الجواب على طريق من يقول : «إنهم غيروا ألفاظ الكتب وزادوا ونقصوا» كما أجبنا على طريق من يقول : «إنما غيروا معانيها وتأولوها على غير تأويلها» ، قال هؤلاء : «نحن لا ندعى ولا طائفة من المسلمين أن الفاظ كل نسخة فى العالم غيرت وبدلت ، بل من المسلمين من يقول إنه غير بعض الفاظها قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغيرت بعض النسخ بعد مبعثه ، ولا يقولون إنه غيرت كل نسخة فى العالم بعد المبعث ؛ بل غير البعض وظهر عند كثير من

الناس تلك النسخ المغيرة المبدلة دون التي لم تبدل ، والنسخ التي لم تبدل موجودة في العالم » .

ومعلوم أن هذا مما لا يمكن نفيه والجزم بعدم وقوعه ، فإنه لا يمكن أحد أن يعلم أن كل نسخة في العالم . على لفظ واحد بسائر الألسنة ، ومن الذي أحاط بذلك علماً وعقلاً ؟
أهل الكتاب يعلمون أن أحداً لا يمكنه ذلك .

وأما من قال من المسلمين : إن التغيير وقع في أول الأمر فإنهم قالوا أنه وقع أولاً من عزرا الوراق ، في « التوراة » في بعض الأمور إما عمداً وإما خطأ ، فإنه لم يقم دليل على عصمته ولا أن تلك الفصول التي جمعها من التوراة بعد احتراقها هي عين التوراة التي أنزلت على موسى ، وقد ذكرنا أن فيها ما لا يجوز نسبته إلى الله وأنه أنزله على رسوله وكليمه ، وتركنا كثيراً لم نذكره .

وأما « الإنجيل » فهي أربعة أناجيل أخذت عن أربعة نفر ، اثنان منهم لم يريا المسيح أصلاً (وهما مرقس ولوقا) ، واثنان رأياه واجتمعا به (وهما متى ويوحنا) ، وكل منهم يزيد وينقص ويخالف إنجيله إنجيل أصحابه في أشياء ، وفيها ذكر القول ونقيضه .

ففيه أنه قال : « إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة ، ولكن غيري يشهد لي » (١٥٣) ، وقال في موضع آخر : « إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين جئت ؟ وإلى أين أذهب ؟ » (١٥٤) .

وفيه أنه لما استشعر بوثوب اليهود عليه قال : « قد جزعت نفسي الآن فإذا أقول ؟ يا أبتاه سلمني من هذا الوقت » (١٥٥) ، وأنه لما رفع على

(١٥٣) يوحنا : ٣١ .

(١٥٤) الأصحاح الثامن من يوحنا الآية الرابعة عشر .

(١٥٥) متى ٢٦ : ٢٨ — ٣٩ .

خشبة الصليب صاح صياحا عظيما وقال : «يا إلهي ! لم أسلمتني ؟» (١٥٦) فكيف يجتمع هذا مع قولكم : إنه هو الذى اختار إسلام نفسه إلى اليهود ليصلبوه ويقتلوه رحمة منه بعباده حتى فداهم بنفسه من الخطايا . وأخرج بذلك آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وجمع الأنبياء من جهنم بالحيلة التى دبرها على إبليس ؟ وكيف يجزع إله العالم من ذلك ؟ وكيف يسأل السلامة منه وهو الذى اختاره ورضيه ؟! وكيف يشتد صياحه ويقول : «يا إلهي لم أسلمتني» وهو الذى أسلم نفسه ؟! وكيف لم يخلصه أبوه مع قدرته على تخليصه وإنزال صاعقة على الصليب وأهله أم كان رباً عاجزاً مقهوراً مع اليهود .

وفيه أيضاً «أن اليهود سألته أن يظهر لهم برهاناً أنه المسيح ، فقال : تهدمون هذا البيت — يعنى بيت المقدس — وأبنيه لكم فى ثلاثة أيام ، فقالوا له بيت مبنى فى ست وأربعين سنة تبنيه أنت فى ثلاثة أيام» (١٥٧) ، ثم ذكرت فى الإنجيل أيضاً «أنه لما ظفرت به اليهود وحمل إلى بلاط عامل قيصر واستدعيت عليه بينة أن شاهدى زور جاءا إليه وقالا سمعناه يقول أنا قادر على بنيان بيت المقدس فى ثلاثة أيام» (١٥٨) فبالله العجب كيف يدعى أن تلك المعجزة والقدرة له ويدعى أن الشاهدين عليه بها شاهدا زور؟ .

وفيه أيضاً للوقا «أن المسيح قال لرجلين من تلامذته : اذهبا إلى الحصن الذى يقابلكما ، فإذا دخلتماه فستجدان فلولاً» (١٥٩) مربوطاً لم يركبه أحد فحلاه وأقبلا به إلى» (١٦٠) ، وقال فى إنجيل متى فى هذه القصة «أنها كانت حمارة متبعة» (١٦١) .

(١٥٧) يوحنا ٢ : ١٤ وما بعدها .

(١٥٦) متى ٢٧ : ٤٦ .

(١٥٨) متى ٢٦ : ٦١ .

(١٥٩) الفلول: الجحش أو المهر يغطم أو يبلغ السنة .

(١٦٠) لوقا ١٩ : ٢٩ وما بعدها . (١٦١) متى ٢١ : ٢ .

وفيه أنه قال: «لا تحسبوا أنى قدمت لأصلح بين أهل الأرض، لم آت لصلاحهم، لكن لألقى المحاربة بينهم، إنما قدمت لأفرق بين المرء وابنه والبنات وأمهاتها حتى يصير أعداء المرء أهل بيته» (١٦٢)، ثم فيه أيضاً: «إنما قدمت لتحيا وتزدادوا خيراً وأصلح بين الناس» (١٦٣)، وأنه قال: «من لطم خدك اليمين فأنصب له الآخر» (١٦٤).

وقيه أيضاً أنه قال: «طوباً لك يا شمعون ابن يونا، وأنا أقول أنك بطرس وعلى هذا الحجر تبنى بيعتى، فكلما أحلته على الأرض يكون محلاً فى السماء، وما عقدته على الأرض يكون معقوداً فى السماء» (١٦٥)، ثم فيه بعينه بعد أسطر يقول له: «اذهب يا شيطان ولا تعارض فإنك جاهل» (١٦٦) فكيف يكون شيطان جاهل مطاع فى السموات.

وفى الإنجيل نص «إنه لم تلد النساء مثل يحيى» (١٦٧)، هذا فى إنجيل متى، وفى إنجيل يوحنا «إن اليهود بعثت إلى يحيى من يكشف عن أمره، فسألوه من هو، أهو المسيح؟ قال: لا، قالوا: نراك الياس؟ قال: لا، قالوا أنت النبى؟ قال: لا، قالوا: أخبرنا من أنت؟ قال: أنا صوت منادى فى البرية» (١٦٨)، ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته فإنه يكون مخبراً بالكذب.

(١٦٢) متى ١٠ : ٣٤ — (١٦٣) يوحنا ٥ : ٣٩
(١٦٤) متى ٥ : ٣٩ (١٦٥) متى ١٦ : ١٧ — ٢٠
(١٦٦) متى ١٦ : ٢٣ (١٦٧) متى ١١ : ١١

(١٦٨) يشير المؤلف الى ما فى الأصحاح الأول من يوحنا ونصه: «وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود عن اورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر. وأقر أنى لست أنا المسيح. فسألوه: أذن ماذا؟ إيلياء أنت؟ فقال: لست أنا. النبى انت؟ فأجاب: لا. فقالوا له: من انت؟ لنعطى جواباً للذين أرسلونا. ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ فى البرية... الخ» وقد فهم المؤلف أن يحيى أنكر نبوته وفهمه لأنه قرأ النص هكذا «نبي أنت؟» وصحتها النبى أنت أى النبى المشهور المعروف الذى أخبر عنه موسى فى سفر التثنية. وهو محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا هو الموضوع الذى تشير إليه آية الأعراف ١٥٧ فأن هذا هو نص الإنجيل.

ومن العجب أن فى إنجيل متى (١٦٦) نسبة المسيح إلى أنه ابن يوسف، فقال: عيسى بن يوسف بن فلان، ثم عد إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أباً. ثم نسب لوقا (١٧٠) أيضاً فى إنجيله إلى يوسف، وعد منه إلى إبراهيم نيفاً وخسين أباً. فبينما هو إله تام إذ صيره ابن الإله ثم جعلوه ابن يوسف النجار.

والمقصود أن هذا الاضطراب فى «الإنجيل» يشهد بأن التغير وقع فيه قطعاً، ولا يمكن أن يكون ذلك من عند الله، بل الاختلاف الكثير الذى فيه يدل على أن ذلك الاختلاف من عند غير الله، وأنت إذا اعتبرت نسخه ونسخ التوراة التى بأيدى اليهود والسامرة والنصارى رأيتها مختلفة اختلافاً يقطع من وقف عليه بأنه من جهة التغير والتبديل. وكذلك نسخ «الزبور» (١٧١) مختلفة جداً ومن المعلوم أن نسخ التوراة

(١٦٦) الأصحاح الأول من متى.

(١٧٠) الأصحاح الثالث من لوقا.

(١٧١) الزبور هو المسمى الآن «سفر المزامير» وتلاحظ فيه مايلى :

١- المزمور رقم ٩ ورقم ١٠ فى النسخة العبرانية هو مزمور واحد فى النسخة اليونانية ويحمل رقم ٩.

٢- المزمور ١٤٧ فى العبرانية مقسم الى اثنين فى اليونانية ويحمل رقم ١٤٦ و ١٤٧.

٣- المزمور عدد ٧٢ مزموراً منسوبة إلى داود عليه السلام فى نهاية ٧٢ «تمت صلوات داود بن يسي».

٤- عدد ١١ مزموراً لبنى قورح.

٥- عدد ٢ مزموراً لسليمان عليه السلام.

٦- عدد ١٢ مزموراً لأساف.

٧- عدد ١ مزمور لائتان الازراض.

٨- عدد ١ مزمور لموسى عليه السلام.

٩- المزمور ١٣٧ يثبت أن سفر الزبور كتب بعد سبى بابل بعد سنة ٥٨٦

ق. م وداود كان سنة ١٠٩٦ ق. م.

والإنجيل إنما هى عند رؤساء اليهود والنصارى وليست عند عامتهم (١٧٢)، ولا يحفظونها فى صدورهم كحفظ المسلمين للقرآن، ولا يمتنع على الجماعة القليلة التواطؤ على تغيير بعض النسخ، ولا سيما إذا كان بقيتهم لا يحفظونها، فإذا قصد طائفة منهم تغيير نسخة أو نسخ عندهم أمكن ذلك، ثم إذا تواطئوا على أن لا يذكروا ذلك لعوامهم وأتباعهم أمكن ذلك، وهذا واقع فى العالم كثيراً.

فهؤلاء اليهود تواطئوا وتواصوا بكتمان نبوة المسيح وجحد البشارة به وتحريفها واشتهر ذلك بين طائفتهم فى الأرض مشارقها ومغاربها (١٧٣)، وكذلك تواطئوا على أنه كان طبيباً ساحراً ممخوقاً ابن زانية، وتواصوا به مع رؤيتهم الآيات الباهرات التى أرسل بها وعلمهم أنه أبعد خلق الله مما رمى به وشاع ما تواطئوا عليه وملأوا به كتبهم شرقاً وغرباً، وكذلك تواطئوا على أن لوطاً نكح ابنتيه وأولدهما أولاداً وشاع ذلك فيهم جميعهم، وتواطئوا على أن الله ندم وبكى على الطوفان وعض أنامله، وصارع يعقوب فصرعه يعقوب، وأنه راقد عنهم وأنهم يسألونه أن ينتبه من رقدته وشاع ذلك فى جميعهم.

وكذلك تواطئوا على فصول لفقوها بعد زوال مملكتهم يصلون بها، لم تعرف عن موسى ولا عن أحد من أتباعه، كقولهم فى صلاتهم: «اللهم أضرب ببوق عظيم لعنقنا، واقبضنا جميعاً من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك، سبحانك، يا جامع تشيت قوم إسرائيل»، وقولهم فيها: «اردد حكامنا منا كالأولين وسيرتنا كالابتداء، وابن أورشليم قرية قدسك فى أيامنا وأعزنا ببنائها، سبحانك، يا بانى أورشليم». ولم يكن موسى وقومه يقولون فى صلاتهم شيئاً من ذلك.

(١٧٢) من القرن الخامس عشر الميلادى انتشرت نسخ الكتاب المقدس فى أيدى

العوام والخواص.

(١٧٣) المؤلف يفهم أن لعيسى نبوءات فى التوراة. وليس له.

وكذلك تواطؤهم على قولهم فى صلاتهم أول العام ما حكيناه عنهم ،
وكذلك تواطؤهم على شرع صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصا وصوم
كدليا وفرضهم ذلك وصوم صلب هامان وقد اعترفوا بأنهم زادوها
لأسباب اقتضتها ، وتواطؤوا بذلك على مخالفة ما نصت عليه التوراة من
قوله : « لا تزيدوا على الأمر الذى أنا موصيكم به شيئا ، ولا تنقصوا
منه شيئا » (١٧٤) .

فتواطؤوا على الزيادة والنقصان وتبديل أحكام الله ، كما تواطؤوا على
تعطيل فريضة الرجم على الزانى وهو فى التوراة نصا (١٧٥) .

وكذلك تواطؤهم على امتناع النسخ على الله فيما شرعه لعباده تمسكا
منهم باليهودية ، وقد أكذبهم التوراة وسائر النبوات (١٧٦) .

ومن العجائب حجرهم على الله أن ينسخ ما شرعه لئلا يلزم البداء
ثم يقولون أنه ندم وبكى على الطوفان وعاد فى رأيه وندم على خلق
الإنسان ، وهذه مضارعة لإخوانهم من عباد الصليب الذين نزحوا رهبانهم
عن الصحابة والولد ثم نسبوها إلى الفرد الصمد .

ومن ذلك تواطؤهم على أن الملك يعود إليهم وترجع الملل كلها إلى
ملة اليهودية ويصيرون قاهرين لجميع أهل الملل ، ومن ذلك تواطؤهم
على تعطيل أحكام التوراة وفرائضها ، وتركها فى جل أمورهم إلا اليسير
منها وهم معترفون بذلك وأنه أكبر أسباب زوال ملكهم وعزهم .

(١٧٤) الأصحاح الرابع من سفر التثنية الآية الثانية .

(١٧٥) الأصحاح الثانى والعشرون من سفر التثنية .

(١٧٦) كذبهم التوراة فى قولهم بعدم النسخ لأن نكاح العبات والحالات
والاخوات محرم فى شريعة موسى وكان من قبل مباحا وتحريم المباح نسخ . وكذبهم النبوات
فان من أوصاف النبى المنتظر عندهم أن يسمعوا له ويطيعوا فى كل ما يكلمهم به وهذا
يعنى أنهم ملتزمون بكل كلامه حتى ولو أمرهم بهجران التوراة .

فكيف ينكر من طائفة تواطأت على تكذيب المسيح وجحد نبوته
وهتته وهت أمه والكذب الصريح على الله وعلى أنبيائه وتعطيل أحكام
الله والاستبدال بها وعلى قتلهم أنبياء الله أن تتواطأ على تحريف بعض
التوراة، وكتمان نعت محمد رسول صلى الله عليه وسلم وصفته فيها .
وأما أمة الضلال وعباد الصليب والصور المزوقة فى الحيطان، وإخوان
الخنازير، وشاتموا خالقهم ورازقهم أقبح شتم، وجاعلوه مصفعة اليهود،
وتواطؤهم على ذلك، وعلى ضروب المستحيلات وأنواع الأباطيل، فلا
إله إلا الله الذى أبرز للوجود مثل هذه الأمة التى هى أضل من الحمير
ومن جميع الأنعام وأوليائه وموالاة الشيطان، والتعوض بعبادة الصور
والصلبان عن عبادة الرحمن الرحيم، وعن قول الله أكبر بالتصليب على
الوجه، وعن قراءة (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم
الدين) بـ«اللهم أعطنا خبزنا الملائم لنا» وعن السجود للواجد القهار
بالسجود للصور المدهونة فى الحائط بالأحمر والأصفر واللازورد. فهذا
بعض شأن هاتين الأمتين اللتين عندهما آثار النبوة والكتاب، فما الظن
بسائر الأمم الذين ليس عندهم من النبوة والكتاب حس ولا خبر، ولا
عين ولا أثر؟

السؤال الرابع

وأما السؤال الرابع وهو قول السائل : «إن قلت إن عبد عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ونحوهما شهدوا لنا بذلك من كتبهم فهلا أتى ابن سلام وأصحابه الذين أسلموا بالنسخ التي لهم كي تكون شاهدة علينا» ا. هـ

والجواب من وجوه :

(الوجه الأول) .. أن شواهد النبوة وآياتها لا تنحصر فيما عند أهل الكتاب من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته ، بل آياتها وشواهدا متنوعة متعددة جداً ، ونعته وصفته في الكتب المتقدمة فرد من أفرادها ، وجهور أهل الأرض لم يكن إسلامهم عن الشواهد والأخبار التي في كتبهم ، وأكثرهم لا يعلمونها ولا سمعوا بها بل أسلموا للشواهد التي عاينوها والآيات التي شاهدوها وجاءت تلك الشواهد التي عند أهل الكتاب مقوية عاضدة من باب تقوية البينة وقد تم النصاب بدونها .

فلهؤلاء العرب من أولهم إلى آخرهم لم يتوقف إسلامهم على معرفة ما عند أهل الكتاب من الشواهد ، وإن كان ذلك قد بلغ بعضهم وسمعه منهم قبل النبوة وبعدها كما كان الأنصار يسمعون من اليهود صفة النبي صلى الله عليه وسلم ونعته ومخرجه ، فلما عاينوه وأبصروه عرفوه بالنعت الذي أخبرهم به اليهود فسبقوهم إليه ، فشرق أعداء الله

بريقهم وغصوا بمائهم ، وقالوا ليس هو الذى كنا نعدهم به ، فالعلم
بنبوة محمد والمسيح وموسى صلوات الله وسلامه عليهم لا يتوقف على
العلم بأن من قبلهم أخبر بهم وبشر بنبوتهم بل طرق العلم بها متعددة
فإذا عرفت نبوة النبی صلى الله عليه وسلم بطريق من الطرق ثبتت
نبوته ووجب اتباعه وإن لم يكن من قبله بشر به .

فإذا علمت نبوته بما قام عليها من البراهين ، فإما أن يكون تبشير من
قبله به لازماً لنبوته ، وإما لا يكون لازماً ، فإن لم يكن لازماً يجب وقوعه
ولا يتوقف تصديق النبی عليه بل يجب تصديقه بدونه ، وإن كان لازماً
علم قطعاً أنه قد وقع ، وعدم نقله إلينا لا يدل على عدم وقوعه إذ لا
يلزم من وجود الشيء نقله العام ، ولا الخاص ، وليس كل ما أخبر به
موسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء المتقدمين وصل إلينا ، وهذا مما يعلم
بالاضطرار .

فلو قدر أن البشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم ليست فى الكتب
الموجودة بأيديكم لم يلزم الا يكون المسيح وغيره بشروا به ، بل قد
يبشرون ولا ينقل ، ويمكن أن يكون فى كتب غير هذه المشهورة المتداولة
بينكم ، فلم يزل عند كل أمة كتب لا يطلع عليها إلا بعض خاصتهم
فضلا عن جميع عامتهم ، ويمكن أنه كان فى بعضها فأزيل منه وبديل
ونسخت النسخ من هذه التى قد غيرت واشتهرت بحيث لا يعرف غيرها
وأخفى أمر تلك النسخ الأولى ، وهذا كله ممكن ، لاسيما من الأمة التى
تواطأت على تبديل دين نبيها وشريعته هذا كله على تقدير عدم البشارة
به فى شيء من كتبهم أصلاً .

ونحن قد ذكرنا من البشارات به التى فى كتبهم ما لا يمكن لمن له
أدنى معرفة منهم جحدده والمكابرة فيه ، وإن أمكنهم المغالطة بالتأويل عند
رعاهم وجهالهم .

(الوجه الثانى) .. أن عبد الله بن سلام قد قابل اليهود وأوقفهم بين

يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ذكره ونعته وصفته فى كتبهم وأنهم يعلمون أنه رسول الله وقد شهدوا بأنه أعلمهم وابن أعلمهم وخيرهم وابن خيرهم ، فلم يضر قولهم بعد ذلك أنه شرهم وابن شرهم وجاهلهم وابن جاهلهم ، كما إذا شهد على رجل شاهد عند الحاكم فسأله عنه فعدله وقال إنه مقبول الشهادة عدل رضى لا يشهد إلا بالحق وشهادته جائزة على فلما أدى الشهادة قال إنه كاذب شاهد زور، ومعلوم أن هذا لا يقدر فى شهادته .

وأما كعب الأخبار فقد ملأ الدنيا من الأخبار بما فى النبوات المتقدمة من البشارة به وصرح بها بين أظهر المسلمين واليهود والنصارى ، وأذن بها على رؤوس الملأ وصدقه مسلمو أهل الكتاب عليها ، وأقروه على ما أخبر به ، وأنه كان أوسعهم علما بما فى كتب الأنبياء ، وقد كان الصحابة يمتحنون ما ينقله ويزنونه بما يعرفون صحته فيعلمون صدقة ، وشهدوا له بأنه أصدق الذين يحكون لهم عن أهل الكتاب أو من أصدقهم ونحن اليوم ننوب عن عبد الله بن سلام وقد أوجدناكم هذه البشارات فى كتبكم فهى شاهدة لنا عليكم والكتب بأيديكم فأتوا بها فاتلوها إن كنتم صادقين ، وعندهنا ممن وفقه الله للإسلام منكم من يوافقكم ويقابلكم ويحققكم عليها ، وإلا فاشهدوا على أنفسكم بما شهد الله وملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنون به عليكم من الكفر والتكذيب والجحد للحق ومعاداة الله ورسوله .

(الوجه الثالث) .. أنه لو أتاكم عبد الله بن سلام بكل نسخة متضمنة لغاية البيان والصرحة لكان فى بهتكم وعنادكم وكذبكم ما يدفع فى وجوهها ويحرفها أنواع التحريف ما وجد إليه سبيلا ، فإذا جاءكم بما لا قبل لكم به قلتم : ليس هو، ولم يأت بعد ، وقلتم : نحن لا نفارق حكم التوراة ، ولا نتبع نبي الأميين ، وقد صرح أسلافكم الذين شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعينوه أنه رسول حقاً ،

وأنه المبشر به الموعود به على ألسنة الأنبياء المتقدمين ، وقال من قال منهم فى وجهه : نشهد أنك نبي ، فقال : « ما يمنعك من اتباعي ؟ » ، قال : إنا نخاف أن يقتلنا اليهود ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (١) وقد جاءكم بآيات هى أعظم من بشارات الأنبياء به وأظهر بحيث أن كل آية منها يصلح أن يؤمن على مثلها البشر ، فما زادكم ذلك إلا نفوراً وتكذيباً وإباء لقبول الحق ، فلو نزل الله إليكم ملائكته وكلمكم الموتى وشهد له بالنبوة كل رطب ويابس لغلبت عليكم الشقوة وصرتم إلى ما سبق لكم فى أم الكتاب .

وقد رأى من كان أعقل منكم وأبعد من الحسد من آيات الأنبياء ما رأوا وما زادهم ذلك إلا تكذيباً وعناداً ، فأسلافكم وقودتكم فى تكذيب الأنبياء من الأمم لا يحصيهم إلا الله حتى كأنكم توأصيتم بذلك أوصى به الأول للآخر واقتدى فيه الآخر بالأول ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ * أَتَوَاصَوْنَ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (٢) ، وهبنا ضربنا عن إخبار الأنبياء المتقدمين به صفحاً ، أفليس فى الآيات والبراهين التى ظهرت على يديه ما يشهد بصحة نبوته ؟ ! وسنذكر منها بعد الفراغ من الأجوبة طرفاً يقطع المذرة و يقيم الحجة ، والله المستعان .

(١) يونس : ٩٦ — ٩٧ .

(٢) الذاريات : ٥٢ — ٥٣ .

السؤال الخامس

وأما السؤال الخامس وهو قول السائل : «إنكم نسبتم الأمتين العظيمنتين المذكورتين إلى اختيار الكفر على الإيمان للغرض المذكور، فابن سلام وأصحابه أولى بذلك الغرض، لأنهم قليلون جداً، وأضداده كثيرون لا يحصيهم عدد» ا.هـ .

والجواب من وجوه :

(أحدها) .. أنا قد بينا أن جمهور هاتين الأمتين المذكورتين آمن به وصدقه وقد كانوا ملء الأرض، وهذه الشام ومصر وما جاورهما واتصل بهما من أعمالهما، والجزيرة والموصل وأعمالهما، وأكثر بلاد المغرب وكثير من بلاد المشرق، كانوا كلهم نصارى فأصبحت هذه البلاد كلها مسلمين، فالتخلف من هاتين الأمتين عن الإيمان به أقل القليل بالإضافة إلى من آمن به وصدقه، وهؤلاء عباد الأوثان كلهم أطبقوا على الإسلام إلا من كان منهم في أطراف الأرض بحيث لم تصل إليه الدعوة، وهذه أمة المجوس توازي هاتين الأمتين كثرة وشوكة وعدداً دخلوا في دينه وبقي من بقي منهم كما بقيتم أنتم تحت الذلة والجزية .

(الثاني) .. أنا قد بينا أن الغرض الحامل لهم على الكفر ليس هو مجرد المأكلة والرياسة فقط وإن كان من جملة الأغراض، بل منهم من حمله ذلك، ومنهم من حمله الحسد، ومنهم من حمله الكبر، ومنهم من حمله الهوى، ومنهم من حمله محبة الآباء والأسلاف وحسن الظن بهم، ومنهم

من حمله ألفه للدين الذى نشأ عليه وجبل بطبعه فصار انتقاله عنه كمفارقة الإنسان ما طبع عليه ، وأنت ترى هذا السبب كيف هو الغالب المستولى على أكثر بنى آدم فى إثارهم ما اعتادوه من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والديانات على ما هو خير منه وأوفق بكثير ، ومنهم من حمله التقليد والجهل وهم الأتباع الذين ليس لهم علم ، ومنهم من حمله الخوف من فوات محبوب أو حصول مرهوب ، فلم ننسب هاتين الأمتين إلى الغرض المذكور وحده .

(الثالث) .. أنا قد بينا أن الأمم الذين كانوا قبلهم كانوا أكثر عدداً وأغزر عقولا منهم وكلهم اختاروا العمى على الهدى والكفر على الإيمان بعد البصيرة ، فلهايتين الأمتين سلف كثير وهم أكثر الخلق .

(الرابع) .. أن عبد الله بن سلام وذويه إنما أسلموا فى وقت شدة من الأمر وقلة من المسلمين وضعف وحاجة وأهل الأرض مطبقون على عداوتهم واليهود والمشركون هم أهل الشوكة والعدة والحلقة والسلاح ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذ ذاك قد أووا إلى المدينة ، وأعداؤهم يتطلبونهم فى كل وجه ، وقد بذلوا الرغائب لمن جاءهم بهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه وخادمهما فاستخفوا ثلاثا فى غار تحت الأرض ، ثم خرجوا بعد ثلاث على غير الطريق إلى أن قدموا المدينة ، والشوكة والعدد والعدة فيها لليهود والمشركين .

فأسلم عبد الله بن سلام حين مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة لما رأى أعلام النبوة التى كان يعرفها وشاهدها فيه ، وترك الأغراض التى منعت المغضوب عليهم من الإسلام من الرياسة والمال والجاه بينهم ، وقد شهدوا له كلهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رئيسهم وخيرهم وسيدهم ، فعلم أنهم إن علموا بإسلامه أخرجوه من تلك الرياسة والسيادة فأحب أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال أدخلنى بعض بيوتك وسلهم عنى ففعل ، وسألهم عنه

فأخبروه أنه سيدهم ورئيسهم وعالمهم ، فخرج عليهم وذكرهم وأوقفهم على أنهم يعلمون أنه رسول الله ، وقابلهم بذلك ، فسبوه وقذحوا فيه وأنكروا رياسته وسيادته وعلمه .

فلو كان عبد الله بن سلام ممن يؤثر عرض الدنيا والرياسة لفعل كما فعله إخوان القردة وأمة الغضب والقوم البهت ، وهكذا شأن من أسلم من اليهود حينئذ ، وأما المتخلفون فكثير منهم صرح بغرضه لخاصته . وعامته ، وقال : إن هؤلاء قد عظمونا ورأسونا ومولونا فلو اتبعناه لنزعوا ذلك كله منا ، وهذا قد رأيناه نحن في زماننا وشاهدناه عياناً .

ولقد ناظرت بعض علماء النصارى معظم يوم فلما تبين له الحق بهت ، فقلت له وأنا وهو خاليان : ما يمنعك الآن من اتباع الحق ؟ فقال لى : إذا قدمت على هؤلاء الحمير — هكذا لفظه — فرشوا لنا الشقاف تحت حوافر دابتي وحكموني فى أموالهم ونسائهم ولم يعصونى فيما أمرهم به ، وأنا لا أعرف صنعة ولا أحفظ قرآنا ولا نحواً ولا فقهاً ، فلو أسلمت لدرت فى الأسواق أتكفف الناس ، فمن الذى يطيب نفساً بهذا ؟ ! فقلت : هذا لا يكون ، وكيف تظن بالله أنك إذا آثرت رضاه على هواك يخزيك ويذللك ويحوجك ؟ ! لو فرضنا أن ذلك أصابك فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه فيه أتم العوض عما فاتك ، فقال حتى يأذن الله ، فقلت القدر لا يحتج به ، ولو كان القدر حجة لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح وحجة للمشركون على تكذيب الرسل ، ولا سيما أنتم تكذبون بالقدر فكيف تحتج به ؟ ! فقال دعنا الآن من هذا وأمسك .

(الخامس) .. إن جوابك فى نفس سؤالك فإنك اعترفت أن عبد الله ابن سلام وذويه كانوا قليلين جداً وأضدادهم لا يحصون كثرة ، ومعلوم أن الغرض الداعى لموافقة الجمهور الذين لا يحصون كثرة وهم أولو القوة والشوكة أقوى من الغرض الداعى لموافقة الأقلين المستضعفين . والله الموفق . .

السؤال السادس

وأما السؤال السادس وهو قول السائل : «تدخل علينا الريبة من جهة عبد الله بن سلام وأصحابه ، وهو أنكم قد بنيتم أكثر أساس شرائعكم فى الحلال والحرام والأمر والنهى على أحاديث عوام من الصحابة الذين ليس لهم بحث فى علم ولا دراسة ولا كتابة قبل مبعث نبيكم ، فابن سلام هو وأصحابه أولى أن يؤخذ بأحاديثهم ورواياتهم ، لأنهم كانوا أهل علم وبحث ودراسة وكتابة قبل مبعث نبيكم وبعده ، ولا نراكم تروون عنهم من الحلال والحرام والأمر والنهى إلا شيئاً يسيراً جداً ، وهو ضعيف عندكم» ا. هـ .

والجواب من جوه :

(أحدها) .. أن هذا بهت من قائله ، فإننا لم نبني أساس شريعتنا فى الحلال والحرام والأمر والنهى إلا على كتاب ربنا المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، الذى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى تحدى به الأمم كلها على اختلاف علومها وأجناسها وطبائعها وهو فى غاية الضعف ، وأعداؤه طبقوا الأرض أن يعارضوه بمثله فيكونوا أولى بالحق منه ويظهر كذبه وصدقهم فعجزوا عن ذلك .

فتحدهم بأن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا ، فتحدهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، هذا وأعداؤه الأدنون إليه أفصح الخلق وهم أهل

البلاغة والفصاحة واللسن والنظم والنثر والخطب وأنواع الكلام ، فما منهم من فاه فى معارضته بينت شفة ، وكانوا أحرص الناس على تكذيبه وأشدّهم أذى له بالقول والفعل والتنفير عنه بكل طريق .

فما نقل عن أحد منهم سورة واحدة عارضه بها ، إلا مسيلمة الكذاب بمثل قوله : « يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقى كم تنقين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين » ، ومثل « والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، فالخابزات خبزاً ، إهالة وسمناً » وأمثال هذه الألفاظ التى هى بالفاظ أهل الجنون والمعتوهين أشبه منها بألفاظ العقلاء .

فالمسلمون إنما بنوا أساس دينهم ومعالم حلالهم وحرامهم على الكتاب الذى لم ينزل من السماء كتاب أعظم منه ، فيه بيان كل شىء وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة وشفاء لما فى الصدور ، به هدى الله رسوله وأتمته فهو أساس دينهم .

(الثانى) .. إن قولكم « إن المسلمين بنوا أساس دينهم على رواية عوام من الصحابة » من أعظم البهت وأفحش الكذب ، فانهم وإن كانوا أميين فذ بعث الله فيهم رسوله زكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة وفضلهم فى العلم والعمل والهدى والمعارف الإلهية والعلوم النافعة المكملة للنفوس على جميع الأمم ، فلم تبق أمة من الأمم تدانيهم فى فضلهم وعلومهم وأعمالهم ومعارفهم .

فلو قيس ما عند جميع الأمم من معرفة وعلم وهدى وبصيرة إلى ما عندهم لم يظهر له نسبة إليه بوجه ما ، وإن كان غيرهم من الأمم أعلم بالحساب والهندسة ، والكم المتصل والكم المنفصل ، والنبض والقارورة والبول والقسطة ، ووزن الأنهار ونقوش الحيطان ، ووضع الآلات العجيبة ، وصناعة الكيمياء ، وعلم الفلاحة ، وعلم الهيئة ، وتسيير الكواكب ، وعلم الموسيقى والألحان ، وغير ذلك من العلوم التى هى بين علم لا ينفع وبين ظنون كاذبة ، وبين علم نفّعه فى العاجلة وليس من

زاد المعاد . فإن أردتم أن الصحابة كانوا عواماً فى أصل العلوم فنعم إذا «وتلك شكاة ظاهر عنك عارها» وإن أردتم أنهم كانوا عواماً فى العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ودينه وشرعه وتفصيله واليوم الآخر وتفصيله وتفصيل ما بعد الموت وعلم سعادة النفوس وشقاوتها وعلم صلاح القول وأمراضها فن بهت نبهم بما بهته به وجحد نبوته ورسالته التى هى للبصائر أظهر من الشمس للأبصار لم ينكر له أن ييهت أصحابه ويوجد فضلهم ومعرفتهم ، وينكر ما خصهم الله به وميزهم على من قبلهم ومن هو كائن من بعدهم إلى يوم القيامة ؟ ! وكيف يكونون عواماً فى ذلك وهم أذكى الناس فطرة وأزكاهم نفوساً ، وهم يتلقونه غصاً طرياً ومحضاً لم يشب عن نبهم ، وهم أحرص الناس عليه وأشوقهم إليه ، وخبر السماء يأتهم على لسانه فى ساعات الليل والنهار والحضر والسفر، وكتابهم قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان من المبدأ والمعاد ، وتخليق العالم وأحوال الأمم الماضية ، والأنبياء وسيرهم وأحوالهم مع أمهم ، ودرجاتهم ومنازلهم عند الله ، وعددهم ، وعدد المرسلين منهم ، وذكر كتبهم ، وأنواع العقوبات التى عذب الله بها أعداءهم ، وما أكرم به أتباعهم ، وذكر الملائكة وأصنافهم وأنواعهم وما وكلوا به واستعملوا فيه ، وذكر اليوم الآخر وتفصيل أحواله ، وذكر الجنة وتفصيل نعيمها والنار وتفصيل عذابها ، وذكر البرزخ وتفصيل أحوال الخلق فيه ، وذكر اشرط الساعة والإخبار بها مفصلاً بما لم يتضمنه كتاب غيره من حين قامت الدنيا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كما أخبر به المسيح عنه من قوله فى الإنجيل وقد بشرهم به فقال : «وكل شىء أعده الله تعالى لكم يخبركم به» وفى موضع آخر منه : «ويخبركم بالحوادث والغيوب» ، وفى موضع آخر «ويعلمكم كل شىء» ، وفى موضع آخر منه : «يحىي لكم الأسرار، ويفسر لكم كل شىء ، وأجيئكم بالأمثال وهو يحييكم بالتأويل» ، وفى موضع آخر:

«إن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله ، لكن إذا جاء روح الحق ذلك يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتى ، ويعرفكم جميع ما للآب » .

فن هذا علمه بشهادة المسيح وأصحابه يتلقون ذلك جميعه عنه وهم أذكى الخلق وأحفظهم وأحرصهم ، كيف تدانهم أمة من الأمم فى هذه العلوم والمعارف ؟ ! ولقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبهم حتى حضرت الظهر ، ثم نزل فصلى وصعد فخطبهم حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى وخطبهم حتى حضرت المغرب ، فلم يدع شيئاً إلى قيام الساعة إلا أخبرهم به ، فكان أعلمهم أحفظهم .

وخطبهم مرة أخرى خطبة فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، وقال يهودى لسلمان : لقد علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة ! قال أجل ! فهذا اليهودى كان أعلم بنبينا من هذا السائل وطائفته ! !

وكيف يدعى فى أصحاب نبينا أنهم عوام وهذه العلوم النافعة المبتوثة فى الأمة على كثرتها واتساعها وتقن ضرورها إنما هى عنهم مأخوذة ومن كلامهم وفتاويهم مستنبطة ، وهذا عبد الله بن عباس كان من صبيانهم وفتيانهم وقد طبق الأرض علما وبلغت فتاويه نحواً من ثلاثين سقراً ، وكان بجرأ لا ينزف لو نزل به أهل الأرض لأوسعهم علما ، وكان إذا أخذ فى الحلال والحرام والفرائض يقول القائل لا يحسن سواه ، فإذا أخذ فى تفسير القرآن ومعانيه يقول السامع لا يحسن سواه ، فإذا أخذ فى السنة والرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول القائل لا يحسن سواه ، فإذا أخذ فى القصص وأخبار الأمم وسير الماضين فكذلك ، فإذا أخذ فى أنساب العرب وقبائلها وأصولها وفروعها فكذلك ، فإذا أخذ فى

الشعر والغريب فكذلك .

قال مجاهد: العلماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقال قتادة فى قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ (١)، قال: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ولما حضر معاذ الموت قيل له: أوصنا، قال: أجلسوني، إن العلم والإيمان بمكانهما من اقتفاهما وجدهما عند أربعة رهط: عند عويمر أبى الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام، فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه عشر عشرة فى الجنة» .

وقال أبو اسحق السبيعي، قال عبد الله: علماء الأرض ثلاثة، فرجل بالشام، وآخر بالكوفة، وآخر بالمدينة. فأما هذان فيسألان الذى بالمدينة، والذى بالمدينة لا يسألها عن شىء .

وقيل لعلى بن أبى طالب: حدثنا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: عن أيهم؟ قالوا: عن عبد الله بن مسعود، قال: قرأ القرآن وعلم السنة ثم انتهى وكفى بذلك، قالوا: فحدثنا عن حذيفة: قال: أعلم أصحاب محمد بالمنافقين، قالوا: فأبو ذر؟، قال: كنيف ملىء علماً عجن فيه، قالوا فعمار؟، قال: مؤمن نسي إذا ذكرته ذكر خلط الله الإيمان بلحمه ودمه ليس للنار فيه نصيب، قالوا: فأبو موسى؟ قال: صبغ فى العلم صبغة، قالوا: فسلمان؟، قال: علم العلم الأول والآخر، بحر لا ينزح، هو منا أهل البيت، قالوا: فحدثنا عن نفسك يا أمير المؤمنين؟، قال: إياها أردتم، كنت إذا سئلت أعطيت، وإذا سكت ابتديت .

وقال مسروق: شافهت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدت

(١) سبأ: الآية ٦ .

علمهم ينتهى إلى ستة : إلى على وعبد الله وعمر وزيد بن ثابت وأبى الدرداء وأبى بن كعب ، ثم شافهت الستة فوجدت علمهم ينتهى إلى على وعبد الله .

وقال مسروق : جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا كالأخاذا الأخاذا يروى الراكب ، والأخاذا يروى الراكبين ، والأخاذا العشرة ، والأخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم ، وإن عبد الله من تلك الأخاذا .

وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى أرى الرى يخرج من أظفارى ، ثم أعطيت فضلى عمر » ، فقالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ، قال : « العلم » .

وقال عبد الله : إنى لاحسب أن عمر بن الخطاب قد ذهب بتسعة أعشار العلم .

وقال عبد الله : لو أن علم عمر بن الخطاب وضع فى كفة الميزان ووضع علم أهل الأرض فى كفة لرجح علم عمر .

وقال حذيفة بن اليمان : كأن علم الناس مع علم عمر دس فى حجر .

وقال الشعبي : قضاة هذه الأمة أربعة عمر وعلى وزيد وأبو موسى .
وقال قبيصة بن جابر : ما رأيت رجلا قط أعلم بالله ولا أقرأ لكتاب الله ولا أفقه فى دين الله من عمر .

وقال على : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأنا حديث السن ليس لى علم بالقضاء ، فقلت إنك ترسلنى إلى قوم يكون فيهم الأحداث وليس لى علم بالقضاء ، قال فضرب فى صدرى وقال : « إن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك » ، قال : فما شككت فى قضاء بين اثنين بعده .

وفى الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال : كنت أرى غنا لعقبة ابن أبي معيط فربى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، فقال لى : «يا غلام هل من لبن ؟» ، فقلت : نعم ولكنى مؤتمن ، قال : «فهل من شاة لم ينزل عليها الفحل ؟» ، قال فأتيته بشاة فسح ضرعها فنزل لبن فحلبه فى إناء فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع : «اقلص» فقلص ، قال ثم أتيته بعد هذا فقلت : يا رسول الله علمنى من هذا القول ، فسح رأسى ، وقال : «يرحمك الله إنك عليم معلم» .

وقال عقبة بن عامر : ما رأى أحداً أعلم بما أنزل على محمد من عبد الله ، فقال أبو موسى : إن تقل ذلك فإنه كان يسمع حين لا نسمع ويدخل حين لا ندخل .

وقال مسروق : قال عبد الله : ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ، ولو إنى أعلم أن رجلاً أعلم بكتاب الله منى تبلغه الإبل والمطايا لأتيته .

وقال عبد الله بن بريدة فى قوله عز وجل : ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً﴾ قال : هو عبد الله بن مسعود . وقيل لمسروق : كانت عائشة تحسن الفرائض ؟ قال : والله لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض .

وقال أبو موسى : ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً .

وقال شهر بن حوشب : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا تحدثوا وفيهم معاذ بن جبل نظروا إليه هيبة له .

وقال على بن أبى طالب : أبو ذر وعاء مليء علماً ، ثم وكىء عليه فلم يخرج منه شىء حتى قبض .

وقال مسروق : قدمت المدينة فوجدت زيد بن ثابت من الراسخين

فى العلم .

ولما بلغ أبا الدرداء موت عبد الله بن مسعود قال : أما إنه لم يخلف بعده مثله .

وقال أبو الدرداء : إن من الناس من أوتى علماً ولم يؤت جِلماً ، وشداد بن أوس ممن أوتى علماً وحلماً .

ولما مات زيد بن ثابت قام ابن عباس على قبره وقال : هكذا يذهب العلم .

وضم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عباس وقال : « اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب » ، وقال محمد بن الحنفية لما مات ابن عباس : لقد مات ربانى هذه الأمة . وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما رأيت أحداً أعلم بالسنة ولا أجلد رأياً ولا أثقب نظراً حين ينظر من ابن عباس .

وكان عمر بن الخطاب يقول له : قد طرأت علينا عضل أقضية أنت لها ولأمثالها ، ثم يقول عبيد الله ، وعمر عمر فى جده وحسن نظره للمسلمين .

وقال عطاء بن أبى رباح : ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس : أكثر فقهاً وأعظم جفنة ، إن أصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر ، يصدرهم كلهم فى واد واسع ، وكان عمر بن الخطاب يسأله مع الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزيد الله علماً وفقهاً .

وقال عبد الله بن مسعود : لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عشره منا رجل . أى ما بلغ عشره .

وقال ابن عباس : ما سألتنى أحد عن مسألة إلا عرفت أنه فقيه أو غير فقيه ، وقيل له أنى أصبت هذا العلم ؟ قال : بلسان سؤال ، وقلب

عقول ، وكان يسمى البحر من كثرة علمه . وقال طاوس : أدركت نحو خمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر لهم ابن عباس شيئاً فخالفوه لم يزل بهم حتى يقرّهم . وقال الأعمش : كان ابن عباس إذا رأيته قلت : أجل الناس ، فإذا تكلم قلت : أفصح الناس ، فإذا حدث قلت : أعلم الناس . وقال مجاهد : كان ابن عباس إذا فسر الشيء رأيته عليه النور .

وقال ابن سيرين : كانوا يرون أن الرجل الواحد يعلم من العلم ما لا يعلمه الناس أجمعون . قال ابن عون : فكأنه رأى أنكرت ذلك قال فقال : أليس أبو بكر كان يعلم ما لا يعلم الناس ، ثم كان عمر يعلم ما لا يعلم الناس ؟ ! وقال عبد الله بن مسعود : لو وضع علم أحياء العرب في كفة وعلم عمر في كفة لرجح بهم علم عمر ، قال الأعمش فذكروا ذلك لإبراهيم فقال : عبد الله إن كنا لنحسبه قد ذهب بتسعة أعشار العلم .

وقال سعيد بن المسيب : ما أعلم أحداً من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من عمر بن الخطاب ، وقال الشعبي : قضاة الناس أربعة .. عمر وعلي وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري . وكانت عائشة رضى الله عنها مقدمة في العلم بالفرائض والسنن والأحكام والحلال والحرام والتفسير . قال عروة بن الزبير : ما جالست أحداً قط أعلم بقضاء ولا بمحدث الجاهلية ولا أروى للشعر ولا أعلم بفريضة ولا طب من عائشة . وقال عطاء : كانت عائشة أعلم الناس وأفقه الناس .

وقال البخارى في تاريخه : روى العلم عن أبى هريرة ثمانمائة رجل ما بين صاحب وتابع . وقال عبد الله بن مسعود : إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه وبعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب

أصحابه خير قلوب العباد فجعلوا وزراءه . وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ (٢) ، قال : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن مسعود : من كان منكم مستنأ فليستن بمن قد مات فإن الحى لا يؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ، أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لإقامة دينه وصحبة نبيه فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

وقد أثنى الله سبحانه عليهم بما لم يثنه على أمة من الأمم سواهم فقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أى عدولا خياراً (.. لتكونوا

﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٤)

وقال : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي

التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَكَازَرَهُ فَاثْقَلَ فَاثْقَلَ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى

سَوْقِهِ يُعْجَبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

مِنْهُمْ مَقْفَرَةً وَاجْرَأَ عَظِيمًا ﴾ (٥)

(٢) التل ٥٩ . (٣) البقرة ١٤٣ .

(٤) آل عمران ١١٠ .

(٥) الفتح ٢٩ . لاحظ أن للأمة الاسلامية مثلاً فى التوراة فى المزمور المائة والتاسع والاربعين ومثلاً فى الانجيل . وقد سبق أن ذكرنا نص التوراة . وأما نص الانجيل فهو : « وقال بماذا نشبه ملكوت الله ؟ أو بأى مثل تمثله ؟ مثل حبة خردل متى زرعت فى الأرض فهى أصغر جميع السنور التى على الأرض . ولكن متى زرعت تطلع وتسير أكبر جميع البقول . وتصنع أغصانا كبيرة . حتى تستطيع طيور السماء ان تتأوى تحت ظلها . » (مرقس ٤ : ٣٠-٣٢) .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦) وهم محمد وأصحابه .

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل»، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُفَوَّضُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُوا مِنْ بَإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧) . وقال مالك عن نافع: كان ابن عباس وابن عمر يجلسان للناس عند قدوم الحاج وكنت أجلس إلى هذا يوماً وإلى هذا يوماً، فكان ابن عباس يجيب ويفتي في كل ما يسأل عنه وكان ابن عمر يرد أكثر مما يفتي .

قال مالك: وسمعت «أن معاذ بن جبل يكون أمام العلماء برتوة» يعنى يكون أمامهم يوم القيامة برمية حجر .

وقال مالك: أقام ابن عمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستين سنة يفتي الناس فى الموسم وغير ذلك وكان من أئمة الدين ، وقال عمر لجرير: يرحمك الله إن كنت لسيداً فى الجاهلية فقيهاً فى الإسلام . وقال محمد بن المنكدر: ما قدم البصرة أحد أفضل من عمران بن حصين . وكان لجابر بن عبد الله حلقة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ عنه العلم .

والعلم إنما انتشر فى الآفاق عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم الذين فتحوا البلاد بالجهاد، والقلوب بالعلم والقرآن، فملأوا الدنيا خيراً وعلماً، والناس اليوم فى بقايا آثار علمهم .

قال الشافعى فى رسالته وقد ذكر الصحابة فعظمهم وأثنى عليهم ثم قال: «وهم فوقنا فى كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به

(٦) التوبة ١١٩ .

(٧) التوبة الآية المائة .

علم ، وآراؤهم لنا أحد وأولى بنا من آرائنا ، ومن أدركنا ممن نرضى أو حكى لنا عنه ببلدنا صرنا فيما لم نعلم^(٨) فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا أو قول بعضهم إن تفرقوا ، وكذلك نقول ولم نخرج من أفاويلهم كلهم» .

وقال الشافعى : « وقد أثنى الله على الصحابة فى التوراة والإنجيل والقرآن وسبق لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم من الفضل ما ليس لأحد بعدهم » .

وقال أبو حنيفة : « إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن الصحابة نختار من قولهم ولم نخرج عنه » .
وقال ابن القاسم : « سمعت مالكا يقول : لما دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشام نظر إليهم رجل من أهل الكتاب فقال ما كان أصحاب عيسى بن مريم الذين قطعوا بالمنشير وصلبوا على الخشب بأشد اجتهاداً من هؤلاء » .

وقد شهد لهم الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى « بأنهم خير القرون على الإطلاق » كما شهد لهم ربه تبارك وتعالى بأنهم خير الأمم على الإطلاق .

وعلمائهم وتلاميذهم هم الذين ملأوا الأرض علماً ، فعلماء الإسلام كلهم تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وهلم جرا ، وهؤلاء الأئمة الأربعة الذين طبق علمهم الأرض شرقاً وغرباً هم تلاميذ تلاميذهم ، وخيار ما عندهم ما كان عن الصحابة ، وخيار الفقه ما كان عنهم ، وأصح التفسير ما أخذ عنهم .

وأما كلامهم فى باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وقضائه وقدره ففى أعلى المراتب ، فمن وقف عليه وعرف ما قالته الأنبياء عرف

(٨) عبارة الأصل : صاروا فيما لم يعلموا فيه سنة .

أنه مشتق منه مترجم عنه ، وكل علم نافع فى الأمة مستنبط من كلامهم ومأخوذ عنهم ، وهؤلاء تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم قد طبقت تصانيفهم وفتاويهم الأرض ، فهذا مالك جمعت فتاويه فى عدة أسفار ، وكذلك أبو حنيفة ، وهذه تصانيف الشافعى تقارب المائة ، وهذا الإمام أحمد بلغت فتاويه وتآليفه نحو مائة سفر ، وفتاويه عندنا فى نحو عشرين سفرًا ، وغالب تصانيفه بل كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ، وهذا علامتهم المتأخر «شيخ الإسلام ابن تيمية» جمع بعض أصحابه فتاواه فى ثلاثين مجلدًا ورأيتها فى الديار المصرية ، وهذه تآليف أئمة الإسلام التى لا يحصيها إلا الله ، وكلهم من أولهم إلى آخرهم يقر للصحابة بالعلم والفضل ، ويعترف بأن علمه بالنسبة إلى علومهم كعلومهم بالنسبة إلى علم نبيهم .

وفى «الثقفيات» حدثنا قتيبة بن سعيد ، عن سعيد بن عبد الرحمن المعافى ، عن أبيه :

أن كعباً رأى حبر اليهود يبكى ، فقال له ما يبكيك ؟ قال : ذكرت بعض الأمر ، فقال كعب : أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقنى ؟ قال نعم ، قال أنشدك الله : هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : رب إنى أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال فاجعلهم أمتى ، قال هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم ،

قال كعب : فأنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : يارب إنى أجد أمة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمراً قالوا : نفعله إن شاء الله . فاجعلهم أمتى ، قال هم أمة أحمد يا موسى « ، قال الحبر : نعم .

فقال كعب فأنشدك الله أتجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر

فى التوراة فقال : يارب إنى أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله وإذا هبط حمد الله ؛ الصعيد طهورهم والأرض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة ، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء ، غراً محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتى ، قال هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الخبر : نعم .

قال كعب : فأنشدك الله أتجد فى كتاب الله أن موسى نظر فى التوراة فقال : يارب إنى أجد أمة مرحومة ضعفاء أورثتهم الكتاب فاصطفيتهم لنفسك فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم إلا مرحوما فاجعلهم أمتى ، قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الخبر : نعم .

قال كعب : أنشدك الله أتجد فى كتاب الله أن موسى نظر فى التوراة فقال : يارب إنى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم ، يصفون فى صلاتهم كصفوف الملائكة ، أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل ، لا يدخل النار منهم أحد إلا من برىء من الحسنات مثل ما برىء الحجر من ورق الشجر ، قال موسى : فاجعلهم أمتى ، قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الخبر : نعم .

فلما عجب موسى من الخير الذى أعطى الله محمداً وأمته قال ليتنى من أصحاب محمد ، فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن : ﴿ يَمْوِئِينَ لِآلِ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (١) الآية . ﴿ وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٠) . ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْجَاجِ ﴾ (١١) الآية ، قال فرضى موسى كل الرضا .

وهذه الفصول بعضها فى التوراة التى بأيديهم وبعضها فى نبوة

(١٠) الأعراف ١٥٩ .

(٩) الأعراف ١٤٤ .

(١١) الأعراف ١٤٥ .

أشعياء وبعضها فى نبوة غيره .

و«التوراة» أعم من التوراة المعينة ، وقد كان الله سبحانه كتب لموسى فى ﴿ الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١٢) فلما كسرها رفع منها الكثير وبقي خير كثير (١٣) ، فلا يقدر فى هذا النقل جهل أكثر أهل الكتاب به فلا يزال فى العلم الموروث عن الأنبياء شىء لا يعرفه إلا الآحاد من الناس أو الواحد ، وهذه الأمة على قرب عهدنا بنبيها ، فى العلم الموروث عنه ، ما لا يعرفه إلا الأفراد القليلون جداً من أمته وسائر الناس منكر له وجاهل به .
وسمع كعب رجلا يقول : رأيت فى المنام كأن الناس جمعوا

(١٢) الأعراف ١٤٥ .

(١٣) فى الشهر الثالث بعد خروج بنى اسرائيل من مصر ، وفى صحراء سيناء . مقابل جبل الطور أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام الوصايا العشرة . والأحكام التشريعية (أنظر سفر الخروج ١٩ وما بعده)
ثم قال له «اصعد الى الجبل وكن هناك . فأعطيك لوحى الحجارة والشرية والوصية التى كتبها لتعليمهم . وبعد أربعين ليلة نزل موسى من الجبل «ولوحا الشهادة فى يده» ولما أبصر الشعب يعبدون عجلا «طرح اللوحين من يديه وكسرها فى أسفل الجبل ، (خروج ٣٢) «ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين . فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الاولين اللذين كسرتها» ومن ذلك يفهم أن اللذين كسرها موسى هما لوحا العهد وليست ألواح الشريعة . وأن الله تعالى كتب له لوحى العهد بعد ما كسرها موسى . وعبارة القرآن الكريم تفيد الواح الشريعة كلها . التى تعنى أن شريعة موسى نزلت جملة . ويفهم من التوراة أن لوحى العهد — هما لوحا الوصايا العشرة — ويفهم منها أيضا : أن التوراة نزلت جملة . ثم أضاف موسى اليها تشريعات كما فى قصة بنات سلفحاد المذكورة فى سفر العدد . والحق : أن لوحى العهد هما غير الوصايا العشرة . لأن فيها كما يبدو عهدا من الله لليهود أن يؤمنوا بنبى الاسلام اذا جاء . وقد وضع موسى لوحى العهد فى التابوت لهذا الغرض والألواح التى كسرها موسى هى الواح الشريعة . ثم أعيدت كتابتها فى عهد موسى . وفى زمن الأسر البابلى غير الزبانيون والأخبار عبارات فى التوراة .

لحساب فدعى الأنبياء فجاء مع كل نبي أمته ورأيت لكل نبي نورين ولكل من اتبعه نوراً يمشى بين يديه ، فدعى محمد صلى الله عليه وسلم فإذا لكل شعرة فى رأسه ووجهه نور، ولكل من اتبعه نوران يمشى بهما ، فقال كعب : من حدثك بهذا ؟ قال : رؤيا رأيته فى منامى ، قال : أنت رأيت هذا فى منامك ؟ قال : نعم ، قال : والذى نفسى بيده إنها لصفة محمد وأمته وصفة الأنبياء وأمهم لكأنما قرأتها من كتاب الله .

وفى بعض الكتب القديمة أن عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه قيل له : يا روح الله ! هل بعد هذه الأمة أمة ؟ قال : نعم ، قيل : وأية أمة ؟ قال : أمة أحمد ، قيل : يا روح الله ! وما أمة أحمد ؟ قال : علماء حكماء أبرار أتقياء ، كأنهم من الفقه أنبياء ، يرضون من الله باليسير من الرزق ، ويرضى الله منهم باليسير من العمل ، يدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله (١٤) .

وقال كعب : « علماء هذه الأمة كأنبياء بنى إسرائيل » وفيه حديث مرفوع لا أعرف حاله .

ثم نقول : وما يدريكم معاشر المثلثة وعباد الصليان وأمة اللعنة والغضب بالفقه والعلم ؟ ومسمى هذا الاسم حيث تسلبونه أصحاب محمد الذين هم وتلاميذهم كأنبياء بنى إسرائيل ، وهل يميز بين العلماء والجهال ويعرف مقادير العلماء إلا من هو من جملتهم ومعدود فى زميرتهم ؟

فأما طائفة شبه الله علماءهم بالحمير التى تحمل أسفاراً ، وطائفة علماءها يقولون فى الله ما لا ترضاه أمة من الأمم فيمن تعظمه وتجله ، وتأخذ دينها عن كل كاذب ومفتى على الله وعلى أنبيائه ، فثلها مثل عريان يحارب شاكى السلاح ، ومن سقف بيته زجاج وهو يزاحم أصحاب القصور بالأحجار ، ولا يستكثر على من قال فى الله ورسوله ما

(١٤) من المقرر فى الشريعة الاسلامية أن دخول الجنة بالايان وبالعمل . وكذلك فى شريعة موسى . وأما عند النصارى فدخول الجنة بالايان وليس بالأعمال .

قال أن يقول فى أعلم الخلق إنهم عوام .

فليهن أمة الغضب علم « المشنا والجمارا المكون منها التلمود » وما فيها (١٥) من الكذب على الله وعلى كلمه موسى . وما يحدث لهم أحبارهم وعلماء السوء منهم كل وقت ، ولتهم علوم دلتهم على أن الله ندم على خلق البشر حتى شق عليه . وبكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة ، ودلتهم على أن يناجوا فى صلاتهم بقولهم : « يا إلهنا انتبه من رقدتك كم تنام » . ينخونه حتى يتنخى لهم ويعيد دولتهم .

ولتن أمة الضلال علومهم التى فارقوا بها جميع شرائع الأنبياء وخالفوا بها المسيح خلافاً تتحققه علماؤهم فى كل أمره كما سيمر بك .

وعلموهم التى قالوا بها فى رب العالمين ما قالوا مما كادت السموات تنشق منه والأرض تنفطر والجبال تنهد لولا أن أمسكها الحليم الصبور .

وعلموهم التى دلتهم على التثليث ، وعبادة خشبة الصليب والصور المدهونة بالسيرقون والزنجفر ، ودلتهم على قول عالمهم « أفرايم » أن اليد التى جبلت طينة آدم هى التى علقت على الصليبوت ، وأن الشبر الذى ذرعت به السموات هو الذى سمر على الخشبة ، وقول عالمهم المشهور « كيرلس » (١٦) « من لم يقل أن مريم والدة الله فهو خارج عن ولاية الله » .

(١٥) عبارة الأصل : علم المشنا والتلمود وما فيها .

(١٦) عبارة الأصل : عريقدوس . وفى الجزء الاول من كتاب تاريخ الأقباط أن كيرلس قال النسطور « أن مريم لم تلد انسانا عاديا ، بل ابن الله المتجسد لذلك هى حقا أم الله » وفى مجمع أفسس سنة ٤٣١م قرر المجتتمعون مانصه : « ليكن محروما من ينكر أن المسيح هو الاله الحقيقى وأن العذراء الطاهرة هى والدة الاله . وأنها ولدت جسدا نيا الكلمة المتجسد الذى من الله لكون الكلمة صار جسدا . وليكن محروما من لم يعترف بأن كلمة الله الآب صار واحدا مع الجسد كالأقنوم . وأن المسيح واحد فقط مع جسده . وهو الاله وهو انسان . وليكن محروما من قال : ان للمسيح اقنومان منفصلان أو اقنومان لم تجمع بينهما الا المصاحبة أو القدرة أو السلطان . ولم يوجد بينهما توحيدا طبيعيا تاما » (صفحة ١٦٢ الجزء الاول تاريخ الأقباط زكى شنودة طبعة مصر ١٩٦٨م) .

السؤال السابع

وأما السؤال السابع وهو قول السائل : « ونرى فى دينكم أكثر الفواحش فيمن هو أعلم وأفقه فى دينكم كالزنا واللواط والخيانة والحسد، والبخل، والغدر والتجبر والتكبر والخيلاء، وقلة الورع واليقين وقلة الرحمة والمروءة والحمية، وكثرة الهلع، والتكالب على الدنيا، والكسل فى الخيرات، وهذا الحال يكذب لسان المقال » ا. هـ .

والجواب من وجوه :

(الوجه الأول) .. أن يقال : ماذا عن الرسل الكرام من معاصي أممهم وأتباعهم ؟ ! وهل يقدح ذلك شيئاً فى نبوتهم أو يغير وجه رسالتهم ؟ ! وهل سلم من الذنوب على اختلاف أنواعها وأجناسها إلا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ؟ ! وهل يجوز رد رسالتهم وتكذيبهم بمعصية بعض أتباعهم لهم ؟ ! وهل هذا إلا من أقبح التعنت ؟

وهو بمنزلة رجل مريض دعاه طبيب ناصح إلى سبب ينال به غاية عافيته، فقال : لو كنت طبيباً لم يكن فلان وفلان وفلان مريضاً .

وهل يلزم الرسل أن يشفو جميع المرضى بحيث لا يبقى فى العالم مريض ؟ هل تعنت أحد من الناس للرسل بمثل هذا التعنت ؟

(الوجه الثانى) .. أن الذنوب والمعاصي أمر مشترك بين الأمم لم تنزل فى العالم من طبقات بنى آدم عالمهم وجاهلهم وزاهدهم فى الدنيا وراغبهم وأميرهم ومأمورهم، وليس ذلك أمراً اختصت به هذه الأمة

حتى يقدح به فيها وفي نبيا .

(الوجه الثالث) .. أن الذنوب والمعاصي لا تنافي الإيمان بالرسول ، بل يجتمع في العبد الإسلام والإيمان والذنوب والمعاصي ، فيكون فيه هذا وهذا .. فالمعاصي لا تنافي الإيمان بالرسول وإن قدحت في كماله وتمامه .

(الوجه الرابع) .. أن الذنوب تغفر بالتوبة النصوح ، فلو بلغت ذنوب العبد عنان السماء وعدد الرمل والحصى ثم تاب منها تاب الله عليه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَنْ يَشَاءُ لَئِنْ تَنَزَّلُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) ، وهذا في حق التائب ؛ فإن التوبة تجب ما قبلها ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والتوحيد يكفر الذنوب ، كما في الحديث الصحيح الإلهي : « ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لقيتك بقرابها مغفرة » .

فالمسلمون ذنوبهم ذنوب موحدين ، ويقوى التوحيد على محو آثارها بالكلية (٣) ، وإلا فما معهم من التوحيد يخرجهم من النار إذا عذبوا بذنوبهم .

وأما المشركون والكفار فإن شركهم وكفرهم يحبط حسناتهم ، فلا يلقون رهم بحسنة يرجون بها النجاة ، ولا يغفر لهم شيء من ذنوبهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤) وقال تعالى في حق الكفار والمشركين : ﴿ وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَنْزَلَ فِيهِ الْفُرْقَانَ ﴾ (٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) الزمر ٥٣ . (٢) الحديث الصحيح الإلهي : يقصد الحديث القدسي .

(٣) عبارة الأصل : ذنوبهم ذنوب موحد أن قوى التوحيد على .

(٤) النساء ١١٦ . (٥) الفرقان ٢٣ .

«أبى الله أن يقبل من مشرك عملاً» .. فالذنوب تزول آثارها بالتوبة النصوح، والتوحيد الخالص، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة لها، وشفاعة الشافعين في الموحدين، وآخر ذلك إذا عذب بما يبقى عليه منها أخرجه توجيده من النار، وأما الشرك بالله والكفر بالرسول فإنه يحبط جميع الحسنات بحيث لا تبقى معه حسنة.

(الوجه الخامس) .. أن يقال لمورد هذا السؤال — إن كان من الأمة الغضبية إخوان القردة — ألا يستحي من إيراد هذا السؤال من آباءه وأسلافه كانوا يشاهدون في كل يوم من الآيات ما لم يره غيرهم من الأمم؟.

وقد فلق الله لهم البحر وأنجاهم من عدوهم وما جفت أقدامهم من ماء البحر حتى قالوا لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (٦)، ولما ذهب لميقات ربه لم يمهله أن عبدوا بعد ذهابه العجل المصوغ، وغلب أخوه هرون معهم ولم يقدر على الإنكار عليهم، وكانوا مع مشاهدتهم تلك الآيات والعجائب يهمون برجم موسى وأخيه هرون في كثير من الأوقات والوحي بين أظهرهم!! ولما ندبهم إلى الجهاد قالوا: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٧) وآذوا موسى أنواع الأذى حتى قالوا: إنه آدر — أى منتفخ الخصية — ولهذا يغتسل وحده، فاغتسل يوماً ووضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فعدا خلفه عرياناً حتى نظر بنو إسرائيل إلى عورته فرأوه أحسن خلق الله متجرداً.

ولما مات أخوه هرون قالوا: إن موسى قتله وغيبه. فرفعت الملائكة لهم تابوته بين السماء والأرض حتى عاينوه ميتاً، وآثروا العودة إلى مصر

(٦) الأعراف ١٣٨.

(٧) المائدة ٢٤.

إلى العبودية ليشبعوا من أكل اللحم والبصل والقثاء والعدس . هكذا عندهم (٨) .

والذى حكاه الله عنهم أنهم آثروا ذلك على المن والسلوى .
وانهماكهم على الزنا وموسى بين أظهرهم وعدوهم بإزائهم حتى ضعفوا عنهم ولم يظفروا بهم ، وهذا معروف عندهم ، وعبادتهم الأصنام بعد عصر يوشع بن نون معروف (٩) ، وتحيلهم على صيد الحيتان فى يوم السبت لا تنسه ، حتى مسحوا قردة خاسئين (١٠) ، وقتلهم الأنبياء بغير حق حتى قتلوا فى يوم واحد سبعين نبياً ، فى أول النهار وأقاموا السوق آخره كأنهم جزروا غنماً وذلك أمر معروف ، وقتلهم يحيى بن زكريا (١١) ، ونشرهم إياه بالمنشار ، وإصرارهم على العظام ، واتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة (١٢) ، ورميهم لوطاً بأنه وطئ أبنتيه وأولدهما (١٣) ، ورميهم يوسف بأنه حل سراويله وجلس من امرأة العزيز مجلس المرأة من القابلة حتى أنشق له الحائط وخرجت له كف يعقوب وهو عاض على أنامله فقام وهرب (١٤) .

(٨) قولهم أن موسى آدر ليس فى التوراة . وقولهم أن موسى قبل هرون ليس فى التوراة . وفى البخارى قولهم : أن موسى آدر — وفيه مقال (انظر تفسير القرطبي فى نهاية الاحزاب) — وأما إيثارهم العودة ليشبعوا من أكل اللحم فى التوراة فى الأصحاح السادس عشر من سفر الخروج .

(٩) انظر سفرى يشوع والقضاة .

(١٠) مسخت أفهامهم لا أجسامهم .

(١١) لم يقتلوا يحيى بن زكريا عليه السلام — يوحنا المعمدان — فقد صرح القرآن بموته لا بقتله كما صرحت الأناجيل «وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا» (انظر كتابنا : يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية) .

(١٢) غيروا التوراة فى بابل لفظا ومعنى . ثم لجأوا بعد التغيير الى تحريف الكلم

عن مواضعه .

(١٣) قصة زنى لوط بابنتيه المذكورة فى الأصحاح التاسع عشر من سفر التكوين .

(١٤) ليس فى التوراة .

وهذا لو رآه أفسق الناس وأفجرهم لقام ولم يقض غرضه .
وطاعتهم للخارج على ولد سليمان بن داود لما وضع لهم كبشين من
ذهب فعكفت جماعتهم على عبادتهما، إلى أن جرت الحرب بينهم وبين
المؤمنين الذين كانوا مع ولد سليمان، وقتل منهم في معركة واحدة ألوف
مؤلفة (١٥) .

أفلا يستحى عباد الكباش والبقر من تعيير الموحدين بذنوبهم؟! أو لا
تستحى ذرية قتلة الأنبياء من تعيير المجاهدين لأعداء الله؟! فأين ذرية
مَنْ سيوف آبائهم تقطر من دماء الأنبياء ممن تقطر سيوفهم من دماء
الكفار والمشركين؟! وألا يستحى من يقول في صلاته لربه: « انتبه
كم تنام يارب استيقظ من رقدتك » (١٦)، ينخيه بذلك ويحميه، من
تعيير مَنْ يقول في صلاته: ﴿ الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك
يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (١٧) .

فلو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصى والرمال والتراب والأنفاس ما
بلغت مبلغ قتل نبي واحد ولا وصلت إلى قول إخوان القردة ﴿ إِنَّ اللَّهَ
فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ (١٨)، وقولهم: ﴿ عَزَّزْتُ أَبْنَ اللَّهَ ﴾ (١٩)، وقولهم: ﴿ نَحْنُ
أَبْنَتْوُا اللَّهَ وَأَحْبَبْتُوهُ ﴾ (٢٠) .

وقولهم: « إن الله بكى على الطوفان حتى رمد من البكاء وجعلت
الملائكة تعود »، وقولهم: « إنه عض أنامله على ذلك »، وقولهم: « إنه

(١٥) أبْن سليمان: رجيعام. والخارج عليه: يربعام بن ناباط (انظر سفر الملوك
الاول والثاني) .

(١٦) فى المزمور الثامن والسبعين « فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من
الخمر » .

(١٨) آل عمران ١٨١ .

(١٧) سورة الفاتحة .

(٢٠) المائدة ١٨ .

(١٩) التوبة ٣٠ .

ندم على خلق البشر وشق عليه لما رأى من معاصيهم وظلمهم» وأعظم من ذلك نسبة هذا كله إلى التوراة التي أنزلها على كليمه (٢١). فلو بلغت ذنوب المسلمين ما بلغت لكانت في جنب ذلك كتفلة في بحر.

ولا تنس «قصة أسلافهم مع شاول الخارج على داود» فإن سوادهم الأعظم انضم إليه وشدوا معه على حرب داود، ثم لما عادوا إلى طاعة داود وجاءت وفودهم وعساكرهم مستغفرين معتذرين بحيث اختصموا في السبق إليه فنبح منهم شخص ونادى بأعلى صوته: «لا نصيب لنا في داود ولا حظ في ابن يسي، ليمض كل منكم إلى خبائه يا إسرائيليين» (٢٢) فلم يكن بأوشك من أن ذهب جميع عسكر بني إسرائيل إلى أخبيتهم بسبب كلمته، ولما قتل هذا الصائح عادت العساكر جميعها إلى خدمة داود، فإما كان القوم إلا مثل همج رعاع يجمعهم طبل ويفرقهم عصي!!

(٢١) سبق أن اشرنا إلى ذلك.

(٢٢) القصة التي ذكرها المؤلف ليست مع داود عليه السلام وشاول (طالوت عليه السلام) ولكن مع رحبعام بن سليمان عليه السلام فانه بعد موت أبيه ذهب «يربعام بن نباط» إلى رحبعام بن سليمان وقال له: «إن أباك ثقل نيرنا. وأما أنت فخفف من نيرنا» (الملوك الأول ١٢: ١٠) فرد عليه رحبعام بقوله: «أبى ثقل نيركم. وأنا أزيد على نيركم. أبى أدبكم بسياط. وأنا أؤدبكم بالعقارب... فلما رأى كل إسرائيل أن الملك لم يسمع لهم رد الشعب جواباً على الملك قائلين: أى قسم لنا في داود. ولا نحسب لنا في ابن يسي؟ إلى خيامك يا إسرائيل. الآن انظر إلى بيتك يا داود.» (الملوك الأول ١٢). وقول المؤلف: ولما قتل هذا الصائح عادت العساكر جميعاً إلى خدمة داود: خطأ. فإن اليهود انقسموا من ذلك الوقت ولم يتحدوا إلى اليوم هذا. انقسموا إلى سامريين وعبرانيين.

دين اليهود

وهذه «الأمة الغضبية» وإن كانوا مفترقين إفتراقاً كثيراً فيجمعهم فرقتان «القراؤون والربانيون» (١) وكان لهم أسلاف فقهاء وهم صنفوا لهم كتابين: أحدهما يسمى «المشنا» ومبلغ حجمه نحو ثمانمائة ورقة، والثانى يسمى «الجمارا» (٢) ومبلغه قريب من نصف حمل بغل (ومجموع المشنا والجمارا يسمى «التلمود» (٣)، ولم يكن المؤلفون له فى عصر واحد وإنما ألفوه فى جيل بعد جيل، فلما نظر متأخروهم إلى ذلك وأنه كلما مر عليه الزمان زادوا فيه، وفى الزيادات المتأخرة ما ينقض كثيراً من أوله، علموا أنهم إن لم يقفلوا باب الزيادة وإلا أدى إلى الخلل الفاحش فقطعوا الزيادة وحظروها على فقائهم وحرموا من يزيد عليه شيئاً فوقف الكتاب على ذلك المقدار.

(١) عبارة الأصل: القرايون والربانيون.

(٢) عبارة الأصل: التلمود. بدل الجمارا. والجمارا شرح وتفسير للمشنا التى هى متن. ومن المتن والجمارا يتكون التلمود وهو يشبه كتب أصول الفقه وكتب الفقه والأحكام الإسلامية. والتلمود نوعان. تلمود أورشلیم وتلمود بابل وكل منهما كتب ظهور المسيح عيسى عليه السلام «وقد وضعت تراجم عديدة للتلمود الى عدة لغات لكنها كلها محدوفة الحواشى والأقسام التى لا يجوز الاطلاع عليها لغير الحاخاميين. المتقدمين فى اللاهوت وآخر هذه التراجم هى التى وضعها الدكتور «ايزودور. ابشناين» وقد شملت خمسة وثلاثين مجلدا بين عام ١٩٣٥م و١٩٥٢م بالانكليزية» (انظر صفحة ٨٢ كتابها التوراة تانخها وغايتها ترجمة وتعليق: سهيل ديب دار النفائس بيروت).

(٣) عبارة الأصل: نصف حمل بغل ولم يكن... الخ.

وكان فقهاؤهم قد حرموا عليهم فى هذين الكتابين مؤاكلة من كان على غير ملتهم ، وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذبائح من لم يكن على دينهم ، لأنهم علموا أن دينهم لا يبقى عليهم مع كونهم تحت الذل والعبودية وقهر الأمم لهم إلا أن يصدوهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم ، وحرموا عليهم مناكحتهم والأكل من ذبائحهم ، ولم يمكنهم ذلك إلا بحجة يبتدعونها من أنفسهم ويكذبون فيها على الله .

فإن التوراة إنما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الأمم لئلا يوافقوا أزواجهم فى عبادة الأصنام والكفر بالله (٤) ، وإنما حرمت عليهم أكل ذبائح الأمم التى يذبحونها قربانا للأصنام لأنه سعى عليها غير اسم الله (٥) ، فأما ما ذكر عليه اسم الله وذبح لله فلم تنطق التوراة بتحريمه البتة بل نطقت بإباحة أكلهم من أيدي غيرهم من الأمم ، وموسى إنما نهاهم عن مناكحة عباد الأصنام خاصة وأكل ما يذبحونه باسم الأصنام . قالوا : التوراة حرمت علينا أكل « الطريفا » ، قيل لهم : « الطريفا » هى الفريسة التى يفترسها الأسد أو الذئب أو غيرها من السباع . كما قال فى التوراة « ولحم فى الصحراء فريسة لا تأكلوا (٦) » . للكلاب تطرحونه » .

فلما نظر فقهاؤهم إلى أن التوراة غير ناطقة بتحريم ما أكل الأمم عليهم إلا عباد الأصنام وصرحت التوراة بأن تحريم مؤاتهم ومخالطتهم خوف

(٤) خروج ٢٣ تشنية ٤ تشنية ٧ تشنية ١٢ .

(٥) « احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض . فيزنون وراء الهتهم ، ويزبحون لألهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم . وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزنى بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن » (خروج ٣٤ : ١٥ : ١٦) .

(٦) الأصحاح الثانى والعشرون من سفر الخروج الآية الحادية والثلاثون « ولحم فى الصحراء فريسة لا تأكلوا . للكلاب تطرحونه » والتوراة للسامرية ليس فيها « للكلاب تطرحونه » .

استدراج المخالطة إلى المناكحة والمناكحة قد تستتبع الانتقال من دينهم إلى أديانهم وموافقتهم في عبادة الأوثان ووجدوا جميع هذا واضحاً في التوراة اختلقوا كتاباً سموه «هلكث شحيطا» وتفسيره! علم الذبابة، ووضعوا في هذا الكتاب من الآصار والأغلال ما شغلهم به عما هم فيه من الذل والصغار والخزى، فأمرهم فيه أن ينفخوا الرئة حتى يملأوها هواء ويتأملوها هل يخرج الهواء من ثقب منها أم لا فإن خرج منها الهواء حرّموه، وإن كانت بعض أطراف الرئة لاصقة ببعض لم يأكلوه، وأمروا الذى يتفقد الذبيحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة ويتأمل بأصابعه فإن وجد القلب ملتصقا إلى الظهر أو أحد الجانبين ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة حرّموه ولم يأكلوه وسموه «طريفا».

ومعنى هذه اللفظة عندهم أنه نجس حرام، وهذه التسمية عدوان منهم، فإن معناها في لغتهم هي الفريسة التي يفتريها السبع ليس لها معنى في لغتهم سواء، ولذلك عندهم في التوراة أن إخوة يوسف لما جاءوا بقميصه ملطخاً بالدم قال يعقوب في جملة كلام «طاروف طوراف يوسف» تفسيره: «وحش ردىء أكله افتراساً افترس يوسف» (٧)، وفي التوراة «ولحم في الصحراء فريسة لا تأكلوا».

فهذا الذى حرّمته التوراة من «الطريفا» وهذا نزل عليهم وهم في التيه وقد اشتد قرمهم إلى اللحم فنعموا من أكل الفريسة والميتة، ثم اختلفوا في خرافات وهذيانات تتعلق بالرئة وقالوا ما كان من الذبائح سليماً من هذه الشروط فهو «دخيا» وتفسيره طاهر، وما كان خارجاً عن ذلك فهو «طريفا» وتفسيره نجس حرام، ثم قالوا: معنى قوله في التوراة: «ولحم فريسة في الصحراء لا تأكلوا للكلاب تطرحونه»، يعنى إذا ذبحتم ذبيحة ولم توجد فيها هذه الشروط فلا تأكلوها بل بيعوها على

(٧) نص الآية «وحش ردىء أكله افترس يوسف افتراساً» (تكوين ٣٧ : ٣٣).

من ليس من أهل ملتكم ، قالوا ومعنى قوله « وللكلاب تطرحونه » أى لمن ليس على ملتكم فهو الكلب فأطعموه إياه بالثمن ، فتأمل هذا التحريف والكذب على الله وعلى التوراة وعلى موسى .

ولذلك كذبهم الله على لسان رسوله فى تحريم ذلك فقال فى السورة المدنية التى خاطب فيها أهل الكتاب ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ * إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِتِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ ﴿ ٨ ﴾ الآية .

وقال فى سورة الأنعام : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِتِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أِهْلُ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ * وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمًا عَلَيْهِمْ نُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴿ ١ ﴾ فهذا تحريم زائد على تحريم الأربعة المتقدمة ، وقال فى سورة النحل وهى بعد هذه السورة نزولا :

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ﴿ ١٠ ﴾ ، فهذا المحرم عليهم بنص التوراة ونص القرآن .

فلما نظر « القراؤون » منهم وهم أصحاب عنان (١١) وبنيامين إلى

(٨) النحل ١١٤ — ١١٥ . (٩) الانعام ١٤٥ — ١٤٦ .

(١٠) النحل ١١٨ .

(١١) فرقة القرائين : فرقة من اليهود العبرانيين أسسها فى العراق « عنان بن داود » المتوفى فى حدود سنتى ٨٩٠ — ٨٠٠ ميلادية والقراؤون من كلمة (المقرأ) وهى لفظة عبرية يعنى مدلولها الحرفى (القراءة) وهى على هذا تقابل لفظة (القرآن) وفى مدينة القدس شيد (عنان) لجماعته كنيسة ظل قائما حتى أيام الحروب الصليبية ووضع كتابين ضمنها أحكام طريقته الأول يدعى كتاب (الفرائض) والثانى : كتاب (الفذلكة) وكان -

هذه المحالات الشنيعة والافتراء الفاحش والكذب البارد على الله وعلى التوراة وعلى موسى وأن أصحاب «الجمارا والمشنا» (١٢) كذابون على الله وعلى التوراة وعلى موسى، وأنهم أصحاب حماقات ورقاعات، وأن أتباعهم ومشايخهم يزعمون أن الفقهاء منهم كانوا إذا اختلفوا فى مسألة من هذه المسائل وغيرها يوحى الله إليهم بصوت يسمعون «الحق فى هذه المسألة مع الفقيه فلان» ويسمون هذا الصوت «بث قول» فلما نظر «القراؤون» (١٣) إلى هذا الكذب المحال قالوا: قد فسق هؤلاء، ولا يجوز قبول خبر فاسق ولا فتواه، فخالفهم فى سائر ما أصلوه من الأمور التى لم ينطق بها نص التوراة. وأما تلك الترهات التى ألفها فقهاؤهم الذين يسمونهم «الجخاميم» فى علم الذباجة ورتبوها ونسبوها إلى الله فأطرحها القراؤون كلها وألقوها، وصاروا لا يحرمون شيئاً من الذبائح التى يتولون ذبحها البتة، ولهم فقهاء أصحاب تصانيف إلا أنهم يبالغون فى الكذب على الله، وهم أصحاب ظواهر مجردة، والأولون أصحاب استنباط وقياسات.

والفرقة الثانية يقال لهم «الربانيون» (١٤) وهم أكثر عدداً، وفيهم الجخاميم الكذابون على الله الذين زعموا أن الله كان يخاطب جميعهم فى

- فى جميع ما يكتبه ويقول به يتهم على التلمود وتعاليم الربانيين ويتهمم بتزييف الشريعة الموسوية بتفسيرها على وجه يخالف ما جاء فى نص التوراة فازدادت بعدا الشقة بين القرائين والربانيين. ومن المأثور عن عنان قوله (لو كنت احل أرباب التلمود فى بطنى لقتلت نفسى وقتلتهم معى) ويدل احصاء سنة ١٩٣٣م أن عددهم فى العالم لا يزيد على اثنى عشر ألفاً.

ومن أخص الأمور الدينية التى يخالف القراؤون بها سائر اليهود تركهم قواعد التقويم اليهودى فى تعيين مواسم الأعياد فالشهر لا يثبت عندهم الا اذا قرر العدول رؤية الهلال (انظر كتاب رحلة بنيامين من صفحة ١٩١ يوجد فى دار الكتب المصرية).

(١٢) عبارة الأصل: «والمشنا».

(١٣) عبارة الأصل: القرايون.

(١٤) عبارة الأصل: الربانيون.

كل مسألة بالصوت الذى يسمونه « بث قول » وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم ، فان الحخاميم أوهموهم بأن الذبائح لا يحل منها إلا ما كان على الشروط التى ذكروها ، فإن سائر الأمم لا تعرف هذا وإنه شئ خصوا به ويميزوا بهم عن سواهم ، وإن الله شرفهم به كرامة لهم ، فصار الواحد منهم ينظر إلى من ليس على نحلته كما ينظر إلى الدابة ، وينظر إلى ذبائحه كما ينظر إلى الميتة ، وأما « القراؤون » فأكثرهم خرجوا إلى دين الإسلام ونفعهم تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها إلى أن لم يبق منهم إلا القليل لأنهم أقرب استعدادا لقبول الإسلام لأمرين .

(أحدهما) إساءة ظنهم بالفقهاء الكذابين المفترين على الله وطعنهم عليهم .

(الثانى) تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها وإبطال معانيها ، وأما أولئك « الربانيون » فإن فقهاءهم وحخاميمهم حصروهم فى مثل سم الخياط بما وضعوا لهم من التشديدات والآصار والأغلال المضافة إلى الآصار والأغلال التى شرعها الله عقوبة لهم ، وكان لهم فى ذلك مقاصد .

(منها) .. أنهم قصدوا بذلك مبالغتهم فى مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم فيؤدى اختلاطهم بهم إلى موافقتهم والخروج من السبب واليهودية .

(القصد الثانى) .. أن اليهود مبددون فى شرق الأرض وغربها وجنوبها وشمالها ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمَا ﴾ (١٥) . وما من جماعة (١٦) منهم فى بلدة إلا إذ قدم عليهم رجل من أهل

(١٥) الأعراف ١٦٨ .

(١٦) أقوال المؤلف عن « الطريفا » نقلها عن كتاب . بذل المجهود فى افحام =

دينهم من بلاد بعيدة يظهر لهم الخشونة فى دينه والمبالغة فى الاحتياط ،
فإن كان من فقهاءهم شرع فى إنكار أشياء عليهم يوههم قلة دينهم
وعلمهم ، وكلما شدد عليهم قالوا هذا هو العالم ، فأعلمهم أعظمهم تشديداً
عليهم ، فتراه أول ما ينزل عليهم لا يأكل من أطعمتهم وذبائحهم ،
ويتأمل سكين الذباج ويشرع فى الإنكار عليه ببعض أمره ، ويقول لا
آكل إلا من ذبيحة يدي ، فتراهم معه فى عذاب ، ويقولون هذا عالم
غريب قدم علينا فلا يزال ينكر عليهم الحلال ويشدد عليهم الآصار
والاغلال ويفتح لهم أبواب المكر والاحتياىل ، وكلما فعل هذا قالوا : هذا
هو العالم الربانى والحكيم الفاضل ، فإذا رآه رئيسهم قد مشى حاله وقبل
بينهم مقالته وزن نفسه معه فإذا رأى أنه ازدرى به وطعن عليه لم يقبل
منه ، فإن الناس فى الغالب يميلون مع الغريب وينسبه أصحابه إلى
الجهل وقلة الدين ، ولا يصدقونه لأنهم يرون القادم قد شدد عليهم
وضيق ، وكلما كان الرجل أعظم تضيقاً وتشديداً كان أفقه عندهم ،
فينصرف عن هذا رأى فيأخذ فى مدحه وشكره ، فيقول : لقد عظم الله
ثواب فلان إذ قوى ناموس الدين فى قلوب هذه الجماعة ، وشيد أساسه ،
وأحكم سياج الشرع ، فيبلغ القادم قوله فيقول ما عندكم أفقه منه ولا
أعلم بالتوراة ، وإذا لقيه يقول : لقد زين الله بك أهل بلدنا ، ونعش بك
هذه الطائفة .

وإن كان القادم عليهم حبراً من أحبارهم فهناك ترى العجب
العجيب من الناموس التى تراه يعتمده والسنن التى يحدثها ، ولا يعترض
عليه أحد ، بل تراه مسلمين له ، وهو يحتلب درهم ويحتلب درهمهم .
وإذا بلغه عن يهودى طعن عليه صبر عليه حتى يرى منه جلوساً على
قارعة الطريق يوم السبت أو يبلغه أنه اشترى من مسلم لبناً أو خيراً أو

= اليهود « لشموئيل بن يهوذا بن أيوب . وقوله : « وما من جماعة منهم ... الخ أيضاً من بذل
المجهد .

خرج عن بعض أحكام «المشنا، والجمارا» فحرمه بين ملا اليهود وأباحهم عرضه ونسبه إلى الخروج عن اليهودية، فيضيق به البلد على هذه الحال، فلا يسعه إلا أن يصلح ما بينه وبين الخبر بما يقتضيه الحال، فيقول لليهود: إن فلاناً قد أبصر رشده ورجع للحق وأقنع عما كان فيه وهو اليوم يهودى على الوضع، فيعودون له بالتعظيم والإكرام!!

(من شريعتهم نكاح امرأة الأخ أو العار!!)

وأذكر لك مسألة من مسائل شرعهم المبدل أو المنسوخ تعرف بمسألة «البياما والجالوس» وهى أن عندهم فى التوراة: «إذا أقام إخوان فى موضع واحد ومات أحدهما ولم يعقب ولداً فلا تصير امرأة الميت إلى رجل أجنبى بل هموها ينكحها، وأول ولد يولدها نسب إلى أخيه الدارج، فان أبى أن ينكحها خرجت متشكية إلى مشيخه قومه قائلة قد أبى حموى أن يستبقى إسمه لأخيه فى بى إسرائيل ولم يرد نكاحى، فيحضره ويكلفه أن يقف ويقول ما أردت نكاحها، فتتناول المرأة نعله فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها وتبصق فى وجهه وتنادى عليه: كذا فليصنع بالرجل الذى لا يبنى بيت أخيه. ويدعى فيما بعد بالمخلوع النعل، وينتبز بنوه بهذا اللقب» (١٧).

وفى هذا كله لتلجئه له إلى نكاحها، لأنه إذا علم أنه قد فرض على المرأة وعليه ذلك فرما استحيا ونجل من شيل نعله من رجله والبصق فى وجهه ونبزه باللقب المستكره الذى يبقى عليه وعلى أولاده عاره ولم يجد بداً من نكاحها فإن كان من الزهد فيها والكراهة لها بحيث يرى أن هذا كله اسهل عليه من أن يتلى بها وهان عليه هذا كله فى التخلص منها لم يكره على نكاحها، هذا عندهم فى التوراة.

(١٧) النص فى الأصحاح الخامس والعشرين من سفر التثنية.

ونشأ لهم من ذلك فرع مرتب عليه وهو: أن يكون مريداً للمرأة محباً لها وهى فى غاية الكراهة له ، فأحدثوا لهذا الفرع حكماً فى غاية الظلم والفضيحة فإذا جاءت إلى الحاكم أحضروه معها ولقنوها أن تقول : أن حموى لا يقيم لأخيه إسماً فى بنى إسرائيل ، ولم يرد نكاحى ، وهو عاشق لها — فيلزمونها بالكذب عليه وإنها أرادت فأمتنع — فإذا قالت ذلك ألزمه الحاكم أن يقوم ويقول : ما أردت نكاحها — ونكاحها غاية سؤله وأمنيته ، فيأمرونه بالكذب عليها — فيخرج نعله من رجله إلا أنه لا مسك هنا ولا ضرب بل يبصق فى وجهه وينادى عليه : هذا جزاء من لا يبنى بيت أخيه .

فلم يكفهم أن كذبوا عليه حتى أقاموه مقام الخنزى وألزموه بالكذب والبصاق فى وجهه والعتاب على ذنب جره غيره ، كما قيل :

وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جرمه العذاب

أفلا يستحى من تعيير المسلمين من هذا شرعه ودينه ؟ !
ولا يستبعد اصطلاح الأمة الغضبية على المحال واتفاقهم على أنواع من الكفر والضلال ، فإن الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها وأخذ بلادها انطمست حقائق سالف أخبارها ودرست معالم دينها وآثارها ، وتعذر الوقوف على الصواب الذى كان عليه أولوها وأسلافها ؛ لأن زوال الدولة عن الأمة إنما يكون بتتابع الغارات وخراب البلاد وإحراقها وجلاء أهلها عنها ، فلا تزال هذه البلايا متتابعة عليها إلى أن تستحيل رسوم دياناتها وتضمحل أصول شرعها وتتلاشى قواعد دينها ، وكلما كانت الأمة أقدم واختلفت عليها الدول المتناولة لها بالإذلال والصغار كان حظها من اندراس دينها أوفر ، وهذه الأمة الغضبية أوفر الأمم حظاً من ذلك ، فإنها أقدم الأمم عهداً ، واستولت عليها سائر الأمم

(١٨) البيت للشاعر أبى الطيب المتنبى .

من الكلدانيين (البابليين) والفرس واليونان والرومان . والرومان الذين تنصروا (١٩)، وما من هذه الأمم أمة إلا وقصدت استئصالهم وإحراق كتبهم وتخريب بلادهم ، حتى لم يبق لهم مدينة ولا جيش ولا حصن إلا بأرض الحجاز وخير فأعز ما كانوا هناك ، فلما قام الإسلام « واستعلن الرب تعالى من جبال فاران » صادفهم تحت ذمة الفرس والنصارى وصادف هذه الشرذمة بخير والمدينة فأذاقهم الله بالمسلمين من القتل والسبى وتخريب الديار ذنباً مثل ذنوب أصحابهم ، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء فكتب الله عليهم الجلاء وشتتهم ومزقهم بالإسلام كل ممزق ، ومع هذا فلم يكونوا مع أمة من الأمم أطيب منهم مع المسلمين ولا آمن ، فإن الذى نالهم من النصارى والفرس وعباد الأصنام لم ينلهم من المسلمين مثله ، وكذلك الذى نالهم مع ملوكهم العصاة الذين قتلوا الأنبياء وبالغوا فى طلبهم وعبدوا الأصنام ، أحضروا من البلاد سدة للأصنام لتعظيمها وتعظيم رسومها فى العبادة وبنوا لها البيع والهياكل وعكفوا على عبادتها وتركوا لها أحكام التوراة وشرع موسى أزمنة طويلة وأعصاراً متصلة ، فإذا كان هذا شأنهم مع ملوكهم فما الظن بشأنهم مع أعدائهم أشد الأعداء عليهم كالنصارى الذين عندهم أنهم قتلوا المسيح وصلبوه وصفعوه وبصقوا فى وجهه ووضعوا الشوك على رأسه وكالفرس والكلدانيين وغيرهم .

وكثيراً ما منعهم ملوك الفرس من الختان وجعلوهم قلفاً ، وكثيراً ما منعوهم من الصلاة لمعرفةهم بأن معظم صلاتهم دعاء على الأمم بالبور وعلى بلادهم بالخراب إلا أرض كنعان ، فلما رأوا أن صلاتهم هكذا منعوهم من الصلاة ، فرأت اليهود أن الفرس قد جدوا فى منعهم من

(١٩) عبارة الأصل سائر الأمم من الكلدانيين والكلدانيين والبابليين والفرس واليونان والنصارى وما من ... الخ .

الصلاة فاخترعوا أدعية مزجوا بها صلاتهم سموها «الحزنة» وصاغوا لها ألحاناً عديدة وصاروا يجتمعون على تلحينها وتلاوتها، والفرق بين الحزنة والصلاة أن الصلاة بغير لحن ويكون المصلى فيها وحده، والحزنة بلحن يشاركه غيره فيه، فكانت الفرس إذا أنكروا ذلك عليهم قالت اليهود نحن نغنى وننوح على أنفسنا فيخلون بينهم وبين ذلك، فجاءت دولة الإسلام فأمنوا فيها غاية الأمن، وتمكنوا من صلاتهم في كنائسهم، واستمرت الحزنة سنة فيهم في الأعياد والمواسم والأفراح وتعوضوا بها عن الصلاة.

والعجب أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم وعلمهم بالغضب الممدود المستمر عليهم ومسح أسلافهم قرده لقتلهم الأنبياء وعدوانهم في السبت وخروجهم عن شريعة موسى والتوراة وتعطيهم لأحكامها يقولون في كل يوم في صلاتهم «حبة الدهر» :
(أحبنا يا إلهنا ! ويا أبانا ! أنت أبونا منقذنا) .

ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك المحيط بالكرم لحفظه، وأنهم سيقم الله لهم نبياً من آل داود (٢٠) إذا حرك شفثيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى على وجه الأرض إلا اليهود، وهو

(٢٠) من بعد موت سليمان عليه السلام أفترق بنو اسرائيل الى فرقتين . الأولى : السامريون . والثانية : العبرانيون . ولما حرفوا التوراة في بابل وأدعوا كذباً أن النبي المنتظر الذى قال عنه موسى «يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من أخوتك ... الخ» (تثنية ١٨ : ١٥ - ٢٢) سيكون من بنى اسرائيل . أطلقوا عليه لتأكيد الادعاء لقب «المسيح» كما يلقبون أنبياءهم وعلماءهم وملوكهم . ولما رجعوا من بابل واشتد العداء بين السامريين والعبرانيين أدعى السامريون أن «المسيح» سيأتى من ذرية أفرايم بن يوسف عليه السلام . وأدعى العبرانيون أنه سيأتى من ذرية داود عليه السلام من سبط يهوذا بن يعقوب عليه السلام . ولما ظهر عيسى عليه السلام - وهو مسيح كسائر المسحاء ونبي كسائر الانبياء - أخبر العبرانيين أن «المسيح» لن يكون من آل داود، بدليل قول داود عنه : أنه سيده . =

بزعمهم المسيح الذى وعدوا به ، وينبهون الله بزعمهم من رقدته فى صلاتهم ، وينخونه ويحمونه ، تعالى الله عن إفكهم وضلالهم علواً كبيراً .
وضلال هذه الأمة الغضبية وكذبها وإفترائها على الله ودينه وأنبيائه لا مزيد عليه .

وأما أكلهم الربا والسحت والرشا ، واستبدادهم دون العالم بالخبث والمكر والبهت ، وشدة الحرص على الدنيا ، وقسوة القلوب ، والذل والصغار ، والخنزى ، والتحيل على الأغراض الفاسدة ، ورمى البراء بالعيوب ، والطعن على الأنبياء .. فأرخص شئ عندهم ، وما عيروا به المسلمين مما ذكروه ومما لم يذكروه فهو فى بعضهم وليس فى جميعهم ونبيهم وكتابه ودينه وشرعه برئ منه ، ما عليه من معاصى أمته وذنوبهم ، فإلى الله إياهم وعلى الله حسابهم .

= ' والابن لا يكون سيداً لأبيه . وفى أنجيل متى : « وفى كان الفريسيون — علماء اليهود العبرانيين والغيورين على الشريعة بزعمهم — مجتمعين . سألهم يسوع قائلاً : ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعو داود بالروح ربا قائلاً : قال الرب لربى : أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك . فان كان داود يدعو ربا فكيف يكون أبنه ؟ فلم يستطيع أحد أن يجيبه بكلمة » (متى ٢٢ : ٤١ — ٤٦) يشير الى المزمور المائة والعاشر . وفيه « قال الرب لربى : أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك ... الخ » وفى ترجمة اليسوعيين : « قال الرب لسيدى : أجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك ... الخ » يشير داود عليه السلام بقوله الى أن « المسيح المنتظر » الذى هو نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم لن يكون من بنى إسرائيل .
وعلماء اليهود فى سبيل تأكيد هذا الادعاء كتبوا فى أسفار الأنبياء عن النبي المنتظر بإشارات ورموز للعلماء : أن النبي المنتظر لن يكون من بنى إسرائيل وكتبوا عبارات للعامة يفهم منها أنه من بنى إسرائيل .

دين النصارى

وإن كان المعير للمسلمين من أمة الضلال وعباد الصليب والصور المدهونة فى الحيطان والسقوف فيقال له : ألا يستحى من أصل دينه الذى يدين به اعتقاده : «أن رب السموات والأرض تبارك وتعالى نزل عن كرسى عظمتة وعرشه ودخل فى فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتحيض ، فالتحم ببطنها ، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو وبول ودم طمث ، ثم خرج إلى القماط والسرير كلما بكى ألقمته أمه ثديها .

ثم انتقل إلى المكتب بين الصبيان ، ثم آل أمره إلى لطم اليهود خديه ، وصفعهم قفاه ، وبصقهم فى وجهه ، ووضعهم تاجاً من الشوك على رأسه والقصبه فى يده ، استخفافاً به وانتهاكاً لحرمة . ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه ، فشدوه عليه وربطوه بالحبال ، وسمروا يديه ورجليه ، وهو يصيح ويبكى ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب» (١) .

هذا وهو الذى خلق السموات والأرض ، وقسم الأرزاق والآجال ، ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن أعداءه من نفسه لينالوا منه ما نالوا فيستحقوا بذلك العذاب والسجن فى الجحيم ، ويفدى أنبياءه ورسله وأوليائه بنفسه فيخرجهم من سجن إبليس ، فإن روح آدم وإبراهيم ونوح

(١) هذا اعتقاد الأرثوذكس ، الذين سماهم قديما الشهرستاني فى «الملل والنحل» باليعاقبة .

وسائر النبيين عندهم كانت فى سجن إبليس فى النار حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعداءه من صلبه (٢) .

مقالة أشباه الحمير فى مريم وابنها

وأما قولهم فى «مريم» (٣) فإنهم يقولون إنها أم المسيح ابن الله فى الحقيقة، ووالدته فى الحقيقة، لا أم لابن الله إلا هى، ولا والدته له غيرها، ولا أب لابنها إلا الله، ولا ولد له سواه، وإن الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء، ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها، ولكن اختصت عن النساء بأنها حبلى بابن الله، وولدت ابنه الذى لا ابن له فى الحقيقة غيره، ولا ولد له سواه، وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها، وابنها عن يمينه .

والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق، وصحة البدن، وطول

(٢) هذا اعتقاد جميع النصارى .

(٣) يعتقد النصارى الأرثوذكس والكاثوليك (اليعاقبة والملكانية) أن مريم — رضى الله عنها: — «اله» لأنها فى — زعمهم — «أم الاله» وحيث يطلب من الفرع يطلب من الأصل من باب أولى . لأن الأصل وهو مريم أنجب الفرع الذى .. هو عيسى الاله — فى زعمهم — وهذا معنى — والله أعلم — قول الله تعالى «أأنت قلت للناس: اتخذونى وأمى الهين من دون الله؟» وفى مجمع آفسوس الأول سنة ٤٣١ ميلادية قرر المجتمعون: «أن العذراء تدعى بحق والدة الاله» وقد وضع المجمع مقدمة لقانون الأيمان هذا نصها: «نعظمك يا أم النور الحقيقى . ونمجدك أيتها العذراء المقدسة والدة الاله . لأنك ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا . المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح . فخر الرسل أكليل الشهداء . تهليل الصديقين . ثبات الكنائس غفران الخطايا ، نبش بالثالوث المقدس ، لاهوت واحد، نسجد له . ونمجده يارب ارحم، يارب ارحم، يارب بارك آمين» أ. هـ (ص ٥٣) العذراء فى التاريخ الكنسى — تأليف القس يوسف أسعد — مطبعة دار العالم العربى بمصر سنة ١٩٧٤م).

العمر، ومغفرة الذنوب، وأن تكون لهم عند ابنها ووالده — الذى يعتقد عامتهم أنه زوجها، ولا ينكرون ذلك عليهم — سوراً وسنداً وذخراً وشفيعاً وركناً، ويقولون فى دعائهم: «يا والدة الإله اشفعى لنا»! وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين، ويسألونها ما يسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة.

حتى أن «اليعقوبية» يقولون فى مناجاتهم لها: «يا مريم يا والدة الإله، كونى لنا سوراً وسنداً وذخراً وركناً».

«والنسطورية»^(٤) يقولون: «يا والدة المسيح كونى لنا كذلك»، ويقولون لليعقوبية: «لا تقولوا: يا والدة الإله وقولوا يا والدة المسيح»، فقالت لهم اليعقوبية: «المسيح عندنا وعندكم إله فى الحقيقة فأى فرق بيننا وبينكم فى ذلك؟ ولكنكم أردتم مصالحة المسلمين ومقاربتهم فى التوحيد».

هذا.. والأوقاح الأرجاس من هذه الأمة تعتقد أن الله سبحانه اختار مريم لنفسه ولولده، وتخطاها كما يتخطى الرجل المرأة. قال النظام بعد أن حكى ذلك عنهم: «وهم يفصحون بهذا عند من يثقون به»..

قد قال ابن الاخشيد هذا عنهم فى «المعونة»، وقال: «إليه يشيرون، ألا ترون أنهم يقولون، من لم يكن والداً يكون عقيماً والعقم آفة

(٤) ولد «نسطور» فى «جرمانيقية» المعروفة الآن بـ «مرعش» فى «سوريا» وكان يقول: «لما كان الجزء اللاهوتى من طبيعة المسيح لم يولد من العذراء فلا يحق أن تسمى والدة الإله. بل والدة المسيح الانسان» شرح نسطور مذهبه قائلاً: «أن مريم لم تلد لها. بل ما يولد من الجسد ليس الا جسداً وما يولد من الروح هو روح. أن الخليقة لم تلد الخالق اولدت انساناً هو آلة للاهوت» ولقد طلب البابا كيرلس عقد مجمع لتنظر فى رأى نسطور وعقد المجمع فى مدينة «أفسوس» سنة أربعمائة وواحد وثلاثين ميلادية. وقرر تحريم بدعة نسطور وتجريده من الآسقفية. (ص ١٦٠ — ١٦٢ تاريخ الأقباط ج ١).

وعيب، وهذا قول جميعهم وإلى المباشرة يشيرون، ومن خالط القوم وطاوهم وباطنهم عرف ذلك منهم» .

فهذا كفرهم وشركهم برب العالمين ومسبتهم له .

ولهذا قال فيهم أحد الخلفاء الراشدين : «أهينوهم ولا تظلموهم فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر» .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه في الحديث الصحيح أنه قال : (شتمنى ابن آدم لم يكن له ذلك، وكذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك، أما شتمه إياى فقلوه اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)، وأما تكذيبه إياى فقلوه : « لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق بأهون على من إعادته » ..

فلو أتى الموحدون بكل ذنب وفعلوا كل قبيح وارتكبوا كل معصية ما بلغت مثقال ذرة فى جنب هذا الكفر العظيم برب العالمين، ومسبته هذا السب، وقول العظماء فيه .

فما ظن هذه الطائفة برب العالمين أن يفعله بهم إذ لقوه ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (٥) ويسأل المسيح على رؤوس الأشهاد وهم يسمعون

﴿يَنْعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُخَى الْكَلْبِ مِنَ دُونِ اللَّهِ﴾ (٦) ؟

فيقول المسيح مكذباً لهم ومتبرئاً منهم : ﴿سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ

لِي بِحَقِّى إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُ عَلَيْهِ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ

الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ

شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٧) .

فهذا أصل دينهم وأساسه الذى قام عليه .

(٦) المائة ١١٦ .

(٥) آل عمران ١٠٦ .

(٧) المائة ١١٦ - ١١٧ .

وأما فروعه وشرائعه فهم مخالفون للمسيح في جميعها^(٨)، وأكثر ذلك بشهاداتهم وإقرارهم ولكن يحيلون على البتاركة والأساقفة، فإن المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين^(٩) بالطهارة، ويغتسل من الجنابة، ويوجب غسل الحائض. وطوائف النصارى عندهم أن ذلك كله غير واجب، وأن الإنسان يقوم من على بطن المرأة يبول ويتغوط ولا يمس ماء ولا يستجمر، والبول والنحو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلى كذلك وصلاته صحيحة تامة عنده، ولو تغوط وبال وهو يصلى لم يضره فضلا عن أن يفسو أو يضطرب، ويقولون: إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة، لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين واليهود وأقرب إلى مخالفة الأمتين. ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه، وهذه الصلاة رب العالمين برئ منها، وكذلك المسيح وسائر النبيين، فإن هذه بالاستهزاء أشبه منها بالعبادة، وحاش المسيح أن تكون هذه صلاته أو صلاة أحد من الحوارين.

والمسيح كان يقرأ في صلاته ما كان الأنبياء وبنو إسرائيل يقرأونه في صلاتهم من التوراة والزبور، وطوائف النصارى إنما يقرأون في صلاتهم كلاما قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم، يجري مجرى النوح والأغاني فيقولون: هذا قداس فلان وهذا قداس فلان، ينسبونه

(٨) النصارى مخالفون للمسيح في كل شيء لأن بولس في رسالته الى أهل غلاطية قال لهم آمنوا ولا تعملوا! (اذ نعلم أن الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بايمان يسوع المسيح آمننا نحن أيضا بيسوع المسيح لتتبرر بايمان يسوع لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما) (غلاطية ٢: ٦).

(٩) المسيح كان يتدين بالطهارة لأنه كان على شريعة موسى ولن ينسخها ولن ينقضها بقوله (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل) (متى ٥: ١٧).

إلى الذين وضعوه ، وهم يصلون إلى الشرق . وما صلى المسيح إلى الشرق قط ، وما صلى إلى أن توفاه الله إلا إلى بيت المقدس (١٠) ، وهى قبلة داود والأنبياء قبله ، وقبلة بنى إسرائيل . والمسيح اختتن وأوجب الختان كما أوجب موسى وهارون والأنبياء قبل المسيح . والمسيح حرم الخنزير ، ولعن آكله ، وبالغ فى ذمه — والنصارى تقر بذلك — ولقى الله ولم يطعم من لحمه بوزن شعيرة ، والنصارى تتقرب إليه بأكله . والمسيح ما شرع لهم هذا الصوم الذى يصومونه قط ولا صامه فى عمره مرة واحدة ولا أحد من أصحابه ، لا صام صوم العذارى فى عمره ، ولا أكل فى الصوم ما يأكلونه ولا حرم فيه ما يحرمونه ، لا عطل السبت يوماً واحدا حتى لقى الله ، ولا اتخذ الأحد عيداً قط ، والنصارى تقرأنه رقى مريم المجدلية (١١) فأخرج منها سبع شياطين (١٢) ، وأن الشياطين قالت له : « أين ناوى » ؟ فقال لها : « أسلكى هذه الدابة النجمة » (١٣) يعنى الخنزير .

(١٠) موسى فى التوراة لم يحدد لليهود جهة معينة يتجهون إليها بالصلاة والحج مثل الكعبة عندنا نحن المسلمين أنه لم يحدد قبلة ففى الأصحاح العشرين من سفر الخروج يقول الله (فى كل الأماكن التى فيها اضع لاسمى ذكرنا آتى إليك وأباركك) لم يحدد مكاناً فإن لله المشرق والمغرب

ولكن اليهود فى بابل رأوا جعل أرض كنعان قبلة وكتبوا هكذا فى سفر التثنية وبعد رجوعهم من بابل انقسم اليهود على أنفسهم فالسامريون قالوا جبل جير زيم هو القبلة والعبرانيون قالوا : أن جبل صهيون هو القبلة وهيكل سليمان (بيت المقدس كان مبنيًا على جبل صهيون وكان العبرانيون يقدسونه هيكل سليمان والمسيح عيسى بن مريم كان من اليهود العبرانيين فلذلك قدس هيكل سليمان وكان يتجه إليه بالتعظيم) .

(١١) عبارة الأصل : المجد الانسية .

(١٢) فى أنجيل لوقا « مريم التى تدعى المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين »

(لوقا ٨ : ٢) .

(١٣) فى أنجيل لوقا أن المسيح وتلاميذه لما ساروا الى « كورة الجدرين » رأوا =

فهذه حكاية النصارى عنهم بوجههم يزعمون أن الخنزير من أظهر الدواب وأجلها، والمسيح سار في الذبائح والمناكح والطلاق والمواريث والحدود سيرة الأنبياء قبله .

وليس عند النصارى على من زنا أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبدا ولا عذاب في الآخرة، لأن القس والراهب يغفره لهم فكلما أذنب أحدهم ذنبا أهدي للقس هدية أو أعطاه درهما أو غيره ليغفر له به . وإذا زنت امرأة أحدهم بيتها عند القس ليطيها له فاذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيها قبل ذلك منها وتبرك به !

وهم يقولون أن المسيح قال : « إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلى ، وما جئت ناقضاً بل متمماً ، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى ، ومن نقض شيئاً من ذلك يدعى ناقضاً في ملكوت السماء » (١٤) وما زال هو وأصحابه كذلك إلى أن خرج من الدنيا ، وقال لأصحابه : « اعملوا بما رأيتموني أعمل ، وارضوا من الناس بما أرضيتكم به ، ووصوا الناس بما وصيتكم به ، وكونوا معهم كما كنت معكم ، وكونوا لهم كما كنت لكم » (١٥) .

وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريباً من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهون ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة . فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح : إنه ساحر مجنون ممخرق ولد زنية

= رجلا فيه «شياطين كثيرة دخلت فيه» فشفاه. فخرجت الشياطين من الانسان. ودخلت في الخنازير» (لوقا ٨) .

(١٤) الأصحاح الخامس من متى الآية ١٧ وما بعدها .

(١٥) الأصحاح الثالث والعشرون من متى .

فقالوا: هو إله تام وهو ابن الله!! ورأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان! ورأوهم يبالغون فى الطهارة فتركوها جملة! ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجامعوها! ورأوهم يحرمون الخنزير، فأباحوه وجعلوه شعار دينهم، ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا ما دون الفيل إلى البعوضة، وقالوا: كل ما شئت ودع ما شئت لا حرج، ورأوهم يستقبلون بيت المقدس فى الصلاة فاستقبلوا هم الشرق.

ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها فجوزوا هم لأساقفتهم وتباركهم أن ينسخوا ما شاءوا ويحللوا ما شاءوا ويحرموا ما شاءوا، ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الأحد وأحلوا السبت مع إقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت ويحفظه، ورأوهم ينفرون من الصليب، فإن فى التوراة «ملعون من تعلق بالصليب» (١٦) والنصارى تقر بهذا، فعبدوا هم الصليب.

كما أن فى التوراة تحريم الخنزير (١٧) نصا فتعبدوا هم بأكله، وفيها الأمر بالختان (١٨) فتعبدوا هم بتركه مع إقرار النصارى بأن المسيح قال لأصحابه: «إنما جئتكم لأعمل بالتوراة ووصايا الأنبياء قبلى، وما جئت ناقضا بل متما، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى» (١٩).

(١٦) سفر التثنية الأصحاح الحادى والعشرون ، الآية الثالثة والعشرون .

(١٧) سفر اللاويين الأصحاح الحادى عشر الآية السابعة تحرم أكل الخنزير .

(١٨) الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين (يلزم بالختان) .

(١٩) قال المسيح : (لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس أو الانبياء ماجئت لانقض

بل لأكمل فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الشكل فن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات) . متى ٥ : ١٧ - ١٩ .

فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة فى مكايده اليهود ومغايظتهم وانضاف إلى هذا السبب ما فى كتابهم المعروف عندهم «بافر كسيس» (٢٠) أن قوماً من النصارى خرجوا من بيت المقدس وأتوا أنطاكية وغيرها من الشام فدعوا الناس إلى دين المسيح الصحيح، فدعوههم إلى العمل بالتوراة وتحريم ذبائح من ليس من أهلها، وإلى الختان وإقامة السبت، وتحريم الخنزير وتحريم ما حرّمته التوراة، فشق ذلك على الأمم واستثقلوه، فاجتمع النصارى ببيت المقدس وتشاوروا فيما يحتالون به على الأمم ليحببوههم إلى دين المسيح ويدخلوا فيه، فاتفق رأيهم على مداخلة الأمم والترخيص لهم والاختلاط بهم، وأكل ذبائحهم، والانحطاط فى أهوائهم، والتخلق بأخلاقهم وإنشاء شريعة تكون بين شريعة الإنجيل وما عليه الأمم وأنشأوا فى ذلك كتاباً (٢١)، فهذا أحد مجامعهم الكبار.

وكانوا كلما أرادوا إحداث شىء اجتمعوا مجمعاً افترقوا فيه على ما يريدون إحداثه إلى أن اجتمعوا المجمع الذى لم يجتمع لهم أكبر منه (٢٢)

(٢٠) سفر أعمال الرسل.

(٢١) نص الكتاب: (الرسل والمشايع والاخوة يهدون سلاماً الى الاخوة الذين من الامم فى أنطاكية وسورية وكيلىكية. اذ قد سمعنا ان اناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين، أنفسكم وقائلين أن تحتنوا وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم. برأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما اليكم مع حبيبنا برنابا وبولس رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل أسم ربنا يسوع المسيح فقد أرسلنا يهوذا وسينا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاهاً. لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة: أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم المخنوق والزنا التى أن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون. كونوا معافين) أعمال ١٥: ٢٣-٢٩.

(٢٢) كان هذا المجمع فى سنة ٣٢٥ فى عشرين من مايو فى مدينة نيقية عاصمة بيشنية بآسيا الصغرى.. وقد عقد بأمر الأمبراطور قسطنطين الكبير وقد حضره بنفسه وحضره ٣١٨ أسقفاً غير القسوس والشمامسة من كل أنحاء العالم المسيحى وكان السبب فى عقد =

فى عهد قسطنطين الرومى ابن هيلانة الحرانية الفندقية ، وفى زمنه بدل دين المسيح وهو الذى أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد ، وكان عدتهم زهاء ألفى رجل ، فقرروا تقريراً ثم رفضوه ولم يرتضوه ، ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا منهم — والنصارى يسمونهم الآباء — فقرروا هذا التقرير الذى هم عليه اليوم ، وهو أصل الأصول عند جميع طوائفهم لا يتم لأحد منهم نصرانية إلا به ، ويسمونه «سهودس» وهى «الأمانة» !

ولفظها : «نؤمن بالله الآب الواحد خالق ما يرى وما لا يرى ، وبالله الواحد يسوع المسيح ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه ، الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل

= هذا المجمع قول آريوس (ان يسوع المسيح ليس أزليا وإنما هو مخلوق من الآب وأن الابن ليس مساويا للآب فى الجوهر) وقرر المجمع بأغلبية ٣٠٠ إلى ١٧ تحريم بدعة آريوس وحرق كتبه وقد فصل المجمع أيضا فى مشكلة تحديد اليوم الذى يقع فيه عيد الفصح اى عيد القيامة وقد فصل المجمع أيضا فى مشكلة معمودية المراطقة (المبتدعة) العائدين إلى المسيحية وفصل المجمع فى مسائل أخرى . وقرر فى هذا المجمع صيغة للايمان التى يسميها المؤلف (الأمانة) ولفظها :

(نؤمن بالله واحد الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض ما يرى وما لا يرى . ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر الذى به كل شىء الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصلب عنا على عهد يلاطس البلطى وتألم وقبر وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات الذى ليس لمكة انقضاء) .

وفى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ زادوا على العبارات السابقة ما يلى (ونؤمن بالروح القدس المحيى المتبثق من الآب المسجود له مع الآب . والابن المنطق فى الانبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية . ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الأموات وخياة الدهر الآتى آمين) .

شيء، الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم البتول وحبلت به مريم البتول وولده، وأخذ وصلب، وقتل أيام بيلاطس البنطى، ومات ودفن، وقام فى اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء .

ونؤمن بالروح القدس روح الحق الذى يخرج من أبيه روح محبته، وبعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسه سليحية جاثليقية، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين» (٢٣) .

فصرحوا فيها بأن المسيح رب وأنه ابن الله، وأنه بكره ليس له ولد غيره، وأنه ليس بمصنوع.. أى ليس بعبد مخلوق بل هو رب خالق، وأنه إله حق استل وولد من إله حق، وأنه مساو لأبيه فى الجوهر، وأنه بيده أتقنت العوالم، وهذه اليد التى أتقنت العوالم بها عندهم هى التى ذاقت حر المسامير كما صرحوا به فى كتبهم .

وهذه ألفاظهم، قالوا: «وقد قال القدوة عندنا: إن اليد التى سمرها اليهود فى الخشبة هى اليد التى عجنت طين آدم وخلقته، وهى اليد التى شبرت السماء، وهى اليد التى كتبت التوراة لموسى» ! قالوا وقد وصفوا صنيع اليهود به وهذه ألفاظهم «وإنهم لطموا الإله وضربوه على رأسه» . قالوا: «وفى بشارة الأنبياء به أن الإله تحبل به امرأة عذراء» (٢٤) وتلده ويؤخذ ويصلب ويقتل !»، قالوا وأما «سنيودس» دون الأمم، قد اجتمع عليه سبعمائة من الآباء وهم القدوة وفيه: «أن

(٢٣) هذه الأمانة يسسها النصارى الآن «قانون الايمان» والنص الذى .. ذكره المؤلف موضوع فى مجمع نيقية ٢٣٥- وفى مجمع القسطنطينية «٣٨م كما أشرنا فى التعليق (٢٢)» .

(٢٤) يشير بالامراة العذراء الى الاصحاح السابع من سفر أشعياء الآية الرابعة عشر والكلمة المترجمة بالعذراء قد تترجم بالامراة الشابة سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة =

مريم حبلت بالإله وولدت وأرضعته وسقته وأطعمته» ..
قالوا: وعندنا أن المسيح ابن آدم وهو ربه وخالقه ورازقه، وابن
ولده إبراهيم وربه وخالقه ورازقه، وابن إسرائيل وربه وخالقه ورازقه،
وابن مريم ورها وخالقتها ورازقها» .

قالوا: «وقد قال علماؤنا ومن هو القدوة عند جميع طوائفنا: اليسوع
فى البدء ولم يزل كلمة، والكلمة لم تنزل الله، والله الكلمة، فذاك
الذى ولدته مريم وعايينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو
كلمة الله، هذه ألفاظهم، قالوا: فالقديم الأزلى خالق السموات والأرض
هو الذى عايينه الناس بأبصارهم ولمسوه بأيديهم، وهو الذى حبلت به
مريم وخاطب الناس من بطنها حيث قال للأعمى: أنت تؤمن بابن
الله؟ قال الأعمى: ومن هو حتى أومن به؟ قال: هو المخاطب لك،
ابن مريم، فقال: آمنت بك وخر ساجداً» (٢٥) .

قالوا: «فالذى حبلت به مريم هو الله وابن الله وكلمة الله» ..

= فدالاتها على مريم دلالة محتملة يضاف الى ذلك أن أشعياء يتحدث عن حادثة تتم فى زمنه
وقد تمت الحادثة بالفعل فى عهد آحاز الملك ويشير بقتل المسيح الى الأصحاح الثالث
والخمسين من سفر أشعياء مع أن النص لا يدل عليه- بدليل أنه يوجد فى النص (لاصورة له
ولا جمال فننظر اليه ولا ننظر فنشتبهه محقر ومغذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن
وكمستر عنه وجوهنا. محقر فلم نعتد به) (أشعياء ٥٣ : ٢-٣) . هذا معارض بقول
النصارى عن المسيح (أنه أبرع جالا من بنى البشر) (المزمور ٤٥) .

(٢٥) قصة هذا الأعمى وردت فى الأصحاح التاسع من أنجيل يوحنا (قال للأعمى
أتؤمن بابن الله؟ أجاب ذاك من هو ياسيد لأومن به؟ فقال له يسوع قد رأيته والذى
يتكلم معك هو هو فقال أومن ياسيد وسجد له) (يوحنا ٩ : ٣٥-٣٨) .

وأشار علماء النصارى بقولهم اليسوع فى البدء ولم يزل كلمة ... الخ الى أول أنجيل
يوحنا وهو: (فى البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان
البدء عند الله. كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان. فيه كانت الحياة.
والحياة كانت نور الناس. والنور يضىء فى الظلمة. والظلمة لم تدركه) (يوحنا ١ :
١-٥) .

وقالوا: «وهو الذى ولد ورضع وفطم وأخذ وصلب وصفع وكتفت يده سمر وبصق فى وجهه ومات ودفن وذاق ألم الصلب والتسمير والقتل لأجل خلاص النصارى من خطاياهم» .

قالوا: «وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنى ولا عبد صالح بل هو رب الأنبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة» .

قالوا: «وليس مع أمه بمعنى الخلق التدبير اللطف والمعونة، فإنه لا يكون لها بذلك مزية على سائر الإناث ولا الحيوانات ولكنه معها بجبلها به واحتواء بطنها عليه؛ فلهذا فارقت إناث جميع الحيوانات وفارق ابنها جميع الخلق، فصار الله وابنه الذى نزل من السماء وحبلت به مريم وولدتها إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً ورباً واحداً وخالقاً واحداً لا يقع بينها فرق ولا يبطل الاتحاد بينهما بوجه من الوجوه لا فى حبل ولا فى ولادة ولا فى حال نوم ولا مرض ولا صلب ولا موت ولا دفن بل هو متحد به فى حال الحمل، فهو فى تلك الحال مسيح واحد وخالق واحد وإله واحد ورب واحد، وفى حال الولادة كذلك، وفى حال الصلب والموت كذلك» ..

قالوا: «فنا من يطلق فى لفظه وعبارته حقيقة هذا المعنى فيقول: مريم حبلت بالإله، وولدت الإله، ومات الإله. ومنا من يمتنع من هذه العبارة لشناعة لفظها ويعطى معناها وحقيقتها، ويقول: مريم حبلت بالمسيح فى الحقيقة، وولدت المسيح فى الحقيقة، وهى أم المسيح فى الحقيقة، والمسيح إله فى الحقيقة، ورب فى الحقيقة، وابن الله فى

= وقوله أن المسيح قال للأعمى أنت تؤمن بابن الله... الخ قول للبس الحق بالباطل يريدون أن يطبقوا نبوءة المزمور الثانى على المسيح عيسى بن مريم مع أن المزمور الثانى لا يشير إليه (انظر فصل أقنوم الابن فى كتابنا أقنيم النصارى).

الحقيقة، وكلمة الله فى الحقيقة، لا ابن لله فى الحقيقة سواء، ولا أب للمسيح فى الحقيقة إلا هو» .

قالوا: «فهؤلاء يوافقون فى المعنى قول من قال حبلت بالإله وولدت الإله وقتل الإله وصلب الإله، ومات ودفن، وإن منعوا اللفظ والعبارة» .

قالوا: «وإنما منعنا هذه العبارة التى أطلقها إخواننا، لئلا يتوهم علينا إذا قلنا: حبلت بالإله وولدت الإله وألم الإله ومات الإله أن هذا كله حل ونزل بالإله الذى هو آب ولكننا نقول حل هذا كله ونزل بالمسيح والمسيح عندنا وعند طوائفنا إله تام من إله تام من جوهر أبيه، فنحن وإخواننا فى الحقيقة شىء واحد لا فرق بيننا إلا فى العبارة فقط» .

قالوا: «فهذا حقيقة ديننا وإيماننا، والآباء والقديسة قد قالوه قبلنا وسنوه لنا مهدوه وهم أعلم بالمسيح منا» أ. هـ .

لا تختلف المثلثة عباد الصليب من أولهم إلى آخرهم أن المسيح ليس بنبى ولا عبد صالح ولكنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وأنه إله تام من إله تام، انه خالق السموات والأرضين، والأولين والآخرين ورازقهم ومحييهم ومميتهم وباعثهم من القبول وحاشرهم ومحاسبهم ومثيهم ومعاقبهم .

والنصارى تعتقد أن الآب انخلع من ملكه كله وجعله لابنه، فهو الذى يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويدبر أمر السموات والأرض، ألا تراهم يقولون فى أمانتهم: «ابن الله وبكر أبيه، وليس بمصنوع — إلى قولهم بيده أتقنت العوالم وخلق كل شىء — إلى قولهم — وهو مستعد للمجىء تارة أخرى لفصل القضاء بين الأموات والأحياء» ؟ ويقولون فى صلواتهم ومناجاتهم: «أنت أيها المسيح اليسوع تحيينا وترزقنا وتخلق أولادنا وتقيم أجسادنا وتبعثنا وتجازينا» .

وقد تضمن هذا كله تكذيبهم الصريح للمسيح وإن أوهمتهم ظنونهم الكاذبة أنهم يصدقونه فإن المسيح قال لهم: «إن الله ربي وربكم، وإلهي وإلهكم» (٢٦) فشهد على نفسه أنه عبد الله مربوب مصنوع، كما أنهم كذلك، وأنه مثلهم في العبودية والحاجة والفاقة إلى الله، وذكر أنه رسول الله إلى خلقه كما أرسل الأنبياء قبله، ففي إنجيل يوحنا أن المسيح قال في دعائه: «إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق وأنتك أرسلت يسوع المسيح» (٢٧)، وهذا حقيقة شهادة المسلمين أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

وقال لبنى إسرائيل: «تريدون قتلى وأنا رجل قلت لكم الحق الذى سمعت الله يقوله» (٢٨) فذكر ما غايته أنه رجل بلغهم ما قاله الله، ولم يقل وأنا إله ولا ابن الإله على معنى التوالد.

وقال: «إني لم أجيء لأعمل بمشيئة نفسي ولكن بمشيئة من أرسلني» (٢٩).

وقال: «إن الكلام الذى تسمعون مني ليس من تلقاء نفسي، ولكن من الذى أرسلني، والويل لى إن قلت شيئا من تلقاء نفسي ولكن بمشيئة هو من أرسلني» (٣٠).

وكان يواصل العبادة من الصلاة والصوم ويقول: «ما جئت لأخدم، وإنما جئت لأخدم» (٣١) فأنزل نفسه بالمنزلة التى أنزله الله بها هى منزلة الخدام.

(٢٦) (يوحنا ٢٠ : ١٧).

(٢٧) (يوحنا ١٧ : ٣).

(٢٨) (يوحنا ٨ : ٤٠).

(٢٩) (يوحنا ٧ : ١٦).

(٣٠) (يوحنا ٥ : ٣٠) وفى هذا المعنى آيات كثيرة.

(٣١)

وقال: «لست أدين العباد بأعمالهم ولا أحاسبهم بأعمالهم، ولكن الذى أرسلنى هو الذى يلى ذلك منهم» (٣٢) كل هذا فى الإنجيل الذى بأيدي النصارى.

وفيه أن المسيح قال: «يارب قد علموا إنك قد أرسلتنى، وقد ذكرت لهم اسمك» (٣٣) فأخبر أن الله ربه وأنه عبده ورسوله. وفيه «أن الله الواحد رب كل شىء، أرسل من أرسل من البشر إلى جميع العالم ليقبلوا إلى الحق» (٣٤).

وفيه انه قال: «إن الأعمال التى أعمل هى الشهادات لى بأن الله أرسلنى إلى هذا العالم» (٣٥).

وفيه «ما أبعدنى وأتعبنى إن أحدثت شيئاً من قبل نفسى، ولكن أتكلم وأجيب بما علمنى ربي» (٣٦).

وقال: «إن الله مسحنى وأرسلنى، وأنا عبد الله، وإنما أعبد الله الواحد ليوم الخلاص» (٣٧) ... وقال: «إن الله عز وجل ما أكل ولا يأكل وما شرب ولا يشرب ولم ينم ولا ينام ولا ولد له ولا يلد ولا يولد ولا رآه أحد ولا يراه أحد إلا مات» (٣٨)، وهذا يظهر لك سر قوله

(٣٢) (يوحنا ٥ : ٣٠).

(٣٣) (يوحنا ١٧ : ٦-١).

(٣٤) آيات كثيرة بهذا المعنى.

(٣٥) ٥ : ٣٦.

(٣٦) يوحنا ٧ : ١٦.

(٣٧) لوقا ٤ : ١٨.

(٣٨) المعنى فى الأصحاح الأول من أنجيل يوحنا (الله لم يراه أحد قط) وفى ناموس موسى أن الله لا يراه أحد (خروج ٣٣ : ٢٠) وفى سفر أشعياء «أنت محتجب يا اله أسرائيل» (أشعياء ٤٥ : ١٥) وفى سفر أشعياء «اله الدهر الرب الخالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا. ليس عن فهمه فحص» (أشعياء ٤٠ : ٢٨) وقد أعترف المسيح

تعالى فى القرآن: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
رَبِّيبَةٌ ۖ كُنَّا نَآيَأُكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ (٣١) تذكيراً للنصارى بما قال لهم
المسيح .

وقال فى دعائه لما سأل ربه أن يحيى الميت: «أنا أشكرك وأحمدك
لأنك تجيب دعائى فى هذا الوقت وفى كل وقت، فأسألك أن تحيى
هذا الميت ليعلم بنو إسرائيل أنك أرسلتني وأنتك تجيب دعائى» (٤٠) .
وفى الإنجيل أن المسيح حين خرج من السامرية ولحق بالجليل (٤١)
قال: «لم يكرم أحد من الأنبياء فى وطنه» فلم يزد على دعوى
النبوة .

وفى إنجيل لوقا «لم يقتل أحد من الأنبياء فى وطنه فكيف
تقتلوننى» (٤٢) .

وفى إنجيل مرقس «أن رجلاً أقبل إلى المسيح وقال أيها المعلم

= فى الإنجيل بأن غيرنا ناسخ للتوراة . وبناء على اعترافه: فكل ما فى التوراة عن الله
وصفاته ملزم للنصارى تمام الالتزام .

(٣٩) سورة المائدة آية ٧٥ .

(٤٠) يوحنا ١١ : ٤١ وما بعدها .

(٤١) عبارة الأصل خرج من السامرية ولحق بجليل .

(٤٢) عبارة متى ولوقا تفيدان أنه رجع من الأردن الى الجليل وجاء الى الناصرة .

ونص عبارة متى (ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته) (متى ١٣ : ٥٧) ونص
عبارة لوقا (أنه ليس نبى مقبولا فى وطنه) (لوقا ٤ : ٢٤) ثم يقول لوقا (فامتلاً غضبا
جميع الذين فى المجمع حين سمعوا هذا فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاءوا به الى حافة
الجليل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه الى أسفل) وفى إنجيل يوحنا فى
الأصحاح الرابع يؤيد قول المؤلف أنه خرج من السامرية ولحق بالجليل ونص عبارته:
(وبعد اليومين خرج من هناك — أى من السامرة — ومضى الى الجليل لأن يسوع نفسه
شهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه) (يوحنا ٤ : ٤٣—٤٤) .

الصالح أى خير أعمل لأنال الحياة الدائمة ؟ فقال له المسيح : لم قلت صالحاً ؟ إنما الصالح الله وحده ، وقد عرفت الشروط ، لا تسرق ولا تزني ولا تشهد بالزور ولا تخن ، وأكرم أباك وأمك » (٤٣) .

وفى إنجيل يوحنا أن اليهود لما أرادوا قبضه رفع بصره إلى السماء وقال « قد دنا الوقت يا إلهى فشفرفنى لديك ، واجعل لى سبيلا أن أملك كل من ملكتنى الحياة الدائمة ، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلهاً واحداً وبالمسيح الذى بعثت وقد عظمتك على أهل الأرض واحتملت الذى أمرتنى به فشفرفنى » (٤٤) ، فلم يدع سوى أنه عبد مرسل مأمور مبعوث .

وفى إنجيل متى : « لا تدعوا لكم أبا على الأرض فان أباكم واحداً الذى فى السماء ، ولا تدعوا معلمين فانما معلمكم المسيح وحده » (٤٥) ، والآب فى لغتهم الرب المربى ، أى لا تقولوا إلهكم وربكم فى الأرض ولكنه فى السماء ، ثم أنزل نفسه بالمنزلة التى أنزله بها ربه ومالكة وهو أن غايته أنه يعلم فى الأرض وإلههم هو الذى فى السماء .

وفى إنجيل لوقا حين دعا الله فأحيا ولد المرأة فقالوا : « إن هذا النبى لعظيم ، وإن الله قد تفقد أمته » (٤٦) . وفى إنجيل يوحنا إن المسيح أعلن صوته فى البيت وقال لليهود : « قد عرفتمونى وموضعى ، ولم آت من ذاتى ، ولكن بعثنى الحق وأنتم تجهلون ، فإن قلت إنى أجهله كنت كاذباً مثلكم وأنا أعلم وأنتم تجهلون أنى منه وهو بعثنى » (٤٧) ، فإ. زاد فى دعواه على ما ادعى الأنبياء فأمسكت المثلثة قوله : « إنى

(٤٣) مرقس الأصحاح العاشر الآية السابعة عشر وما بعدها .

(٤٤) أول الأصحاح السابع عشر من أنجيل يوحنا .

(٤٥) أنجيل متى أصحاح ٢٣ : ٩ وما بعدها .

(٤٦) أنجيل لوقا أصحاح ٧ : ١٦ .

(٤٧) أنجيل يوحنا أصحاح ٧ وأصحاح ٨ .

منه» وقالوا: إله حق من إله حق. فى القرآن: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ (٤٨)، وقال هود: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٩)، وكذلك قال صالح! ولكن أمة الضلال كما أخبر الله عنهم يتبعون المتشابه يردون المحكم، وفى الإنجيل (٥٠) أيضاً أنه قال لليهود وقد قالوا له: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ (٥١) فقال لهم: «لو كان الله أباكم لأطعتمونى لأنى رسول منه خرجت مقبلاً ولم أقبل من ذاتى ولكن هو بعثنى، لكنكم لا تقبلون وصيتى وتعجزون عن سماع كلامى، إنما أنتم أبناء الشيطان وتريدون إتمام شهواته».

وفى الإنجيل: «أن اليهود أحاطت به وقالت له: إلى متى تخفى أمرك إن كنت المسيح الذى ننتظره فأعلمنا بذلك» (٥٢)؟ ولم تقل إن كنت الله أو ابن الله فإنه لم يدع ذلك ولا فهمه عنه أحد من أعدائه ولا أتباعه.

وفى الإنجيل أيضاً: «إن اليهود أرادوا القبض عليه فبعثوا لذلك الأعوان وإن الأعوان رجعوا إلى قوادهم فقالوا لهم لِمَ لَمْ تأخذوه، فقالوا ما سمعنا آدمياً أنصف منه، فقالت اليهود وأنتم أيضاً مخدوعون أترون أنه آمن به أحد من القواد أو من رؤساء أهل الكتاب؟ فقال لهم بعض أكابرهم: أترون كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه؟ فقالوا له اكشف الكتب ترى أنه لا يجيء من الجليل نبي» (٥٣)، فاقالت اليهود ذلك إلا وقد أنزل نفسه بالمنزلة التى أنزله بها ربه ومالكة أنه

(٤٨) سورة البينة آية ٢.

(٤٩) الأعراف ٦٧.

(٥٠) يقصد الأصحاح الثامن من أنجيل يوحنا.

(٥١) المائدة ١٨.

(٥٢) الأصحاح العاشر من أنجيل يوحنا الآية الرابعة والعشرون.

(٥٣) الأصحاح السابع من أنجيل يوحنا.

نبي، ولو علمت من دعواه الإلهية لذكرت ذلك له وأنكرته عليه وكان أعظم أسباب التنفير عن طاعته، لأن كذبه كان يعلم بالحس والعقل والفطرة واتفاق الأنبياء.

ولقد كان يجب لله سبحانه — لو سبق في حكمته أنه يبرز لعباده، وينزل عن كرسى عظمته، ويباشرهم بنفسه — أن لا يدخل في فرج امرأة، ويقيم في بطنها بين البول والنحو والدم عدة أشهر، وإذا قد فعل ذلك. لا يخرج صبيا صغيرا، يرضع ويبكى، وإذا قد فعل ذلك، فلا يأكل مع الناس ويشرب معهم وينام، وإذا قد فعل ذلك، فلا يبول ولا يتغوط ويمتنع من الخراءة إذ هي منقصة ابتلى بها الإنسان في هذه الدار لنقصه وحاجته، وهو تعالى المختص بصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال، الذي ما وسعته سمواته ولا أرضه، وكرسيه وسع السموات والأرض، فكيف وسعه فرج امرأة. تعالى الله رب العالمين.. وكلكم متفقون على أن المسيح كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينام.

فيا معشر المثلثة وعباد الصليب.. أخبرونا من كان الممسك للسموات والأرض حين كان رها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب وقد شدت يده ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التي أتقنت العوالم، فهل بقيت السموات والأرض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم؟

أم تقولون استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب وليذوق حر المسامير وليوجب اللعنة على نفسه حيث قال في التوراة: «ملعون من تعلق بالصليب» (٥٤)، أم تقولون: كان هو المدبر لها في تلك الحال، فكيف وقد مات ودفن؟

أم تقولون — وهو حقيقة قولكم — لا ندري ولكن هذا في الكتب وقد قاله الآباء وهم القدوة والجواب عليهم؟

(٥٤) تشية ٢١ : ٢٣ .

فنقول لكم وللآباء: معاصر المثلثة عباد الصليب! ما الذى ذلكم على إلهية المسيح؟ فإن كنتم استدلتكم عليها بالقبض من أعدائه عليه وسوقه إلى خشبة الصليب على رأسه تاج من الشوك وهم يبصقون فى وجهه ويصفعونهم ثم أركبوه ذلك المركب الشنيع وشدوا يديه ورجليه بالحبال ضربوا فيها المسامير وهو يستغيث وتعلق ثم فاضت نفسه وأودع ضريحه، فما أصبح من استدلال عند أمثالكم ممن هم أضل من الأنعام وهم عار على جميع الأنام؟.

وإن قلتم إنما استدللنا على كونه إلهاً بأنه لم يولد من البشر (٥٥) ولو كان مخلوقاً لكان مولوداً من البشر، فإن كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلهاً منه لأنه لا أم له ولا أب والمسيح له أم، وحواء أيضاً اجعلوها إلهاً خامساً لأنها لا أم لها وهى أعجب من خلق المسيح؟

والله سبحانه قد نوّع خلق آدم وبنيه إظهاراً لقدرته وأنه يفعل ما يشاء، فخلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق زوجه حواء من ذكر لا من أنثى، وخلق عبده المسيح من أنثى لا من ذكر، وخلق سائر النوع من ذكر وأنثى.

وإن قلتم: استدللنا على كونه إلهاً بأنه أحيا الموتى، ولا يحيينهم إلا الله. فاجعلوا موسى إلهاً آخر، فإنه أتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره ولا ما يقاربه، وهو جعل الخشبة حيواناً عظيماً ثعباناً، فهذا أبلغ وأعجب من إعادة الحياة إلى جسم كانت فيه أولاً، فإن قلتم هذا غير إحياء الموتى فهذا اليسع النبى أتى بإحياء الموتى وهم يقرون بذلك، وكذلك إيلياء النبى أيضاً أحيا صبيّاً بإذن الله، وهذا موسى قد أحيا

(٥٥) وفى الرسالة إلى العبرانيين أن «ملكى صادق»: «بلا أب. بلا أم، بلا نسب. لا ببدء أيام له. ولا نهاية حياة» (عبرانيين ٧: ٣) ومع ذلك لم يقل أحد انه اله.

بإذن الله السبعين الذين ماتوا من قومه ، وفى كتبكم من ذلك كثير عن الأنبياء والحواريين : فهل صار أحد منهم إلهاً بذلك ؟ (٥٦) .

وإن قلتم جعلناه إلهاً للعجائب التى ظهرت على يده فعجائب موسى أعجب وأعجب ، وهذا إيلياء النبی برك على دقيق العجوز ودهنها فلم ينفد ما فى جراها من الدقيق وما فى قارورتها من الدهن سبع سنين (٥٧) .

وإن جعلتموه إلهاً لكونه أطعم من الأرفة اليسيرة آلافا من الناس فهذا موسى قد أطعم أمته أربعين سنة من المن والسلوى (٥٨) ! وهذا محمد بن عبد الله قد أطعم العسكر كله من زاد يسير جداً حتى شعبوا وملأوا أوعيتهم ، وسقاهم كلهم من ماء يسير لا يملأ اليد حتى ملأوا كل سقاء فى العسكر، وهذا منقول عنه بالتواتر .

وإن قلتم جعلناه إلهاً لأنه صاح بالبحر فسكنت أمواجه (٥٩) ، فقد ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق اثني عشر طريقاً وقام الماء بين الطرق

(٥٦) اليسع (آليشع) عليه السلام أحيا ميتين (الملوك الثاني ٤ وأصحاح ١٣) وأحيا ألياس ميتا (الملوك الأول ١٧) وأحيا حزقيال آلاف الموتى (حزقيال ٣٧) وفى سفر الأعمال أن تلاميذ المسيح أماتوا أحياء وأحيوا أمواتا وفى الأصحاح الخامس من سفر الأعمال أن بطرس أمات (حنانيا) وفى الإصحاح التاسع أن بطرس أحيا «طابيقا» وذكر المؤلف أن موسى أحيا السبعين الذين ماتوا من فوق . والأصحاح الرابع والعشرون لم يذكر أنهم ماتوا .

(٥٧) أنظر الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول . ولم يذكر عجائب غير إيلياء (الياس) من الأنبياء . ولو قرأت عجائب اليسع لألقيتها شبيهة بعجائب المسيح .

(٥٨) وفعل نفس الشيء اليسع مع المرأة التى أمرها ببيع الزيت كما فى الأصحاح الرابع من سفر الملوك الثانى . ومع الرجل الذى أحضر له «جيز باكورة» فأطعمه مائة رجل . كما فى الأصحاح الرابع من سفر الملوك الثانى .

(٥٩) أنظر الأصحاح الرابع من أنجيل مرقس .

كالحيطان ، وفجر من الحجر الصلد اثني عشر عينا سارحة (٦٠) ! وإن جعلتموه إلهاً لأنه أبرأ الأكمه والأبرص (٦١) فأحياء الموتى أعجب من ذلك ، وآيات موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعجب من ذلك .

وإن جعلتموه إلهاً لأنه ادعى ذلك فلا يخلو إما أن يكون الأمر كما تقولون عنه أو يكون إنما ادعى العبودية والافتقار وأنه مربوب مصنوع مخلوق ، فإن كان كما ادعيت عليه فهو أخو المسيح الدجال وليس بمؤمن ولا صادق (٦٢) فضلاً عن أن يكون نبياً كريماً وجزاؤه جهنم وبئس المصير ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَقَدْ لَكَ نَجْرٌ بِهِ جَهَنَّمَ ﴾ (٦٣) ، وكل من ادعى الإلهية من دون الله فهو من أعظم أعداء الله كفرعون وفروود (٦٤) وأمثالهما من أعداء الله ، فأخرجتم المسيح عن كرامة الله ونبوته ورسالته وجعلتموه من أعظم أعداء الله ، ولهذا كنتم أشد الناس عداوة للمسيح في صورة محب موال !

ومن أعظم ما يعرف به كذب المسيح الدجال أنه يدعى الإلهية فيبعث الله عبده ورسوله مسيح الهدى ابن مريم (٦٥) فيقتله ، ويظهر للخلائق أنه كان كاذباً مفتراً ، ولو كان إلهاً لم يقتل فضلاً عن أن يصلب ويسمر ويبصق في وجهه !

(٦٠) أنظر الأصحاح الرابع عشر من سفر الخروج والأصحاح الخامس عشر .

(٦١) أنظر الأصحاح الثامن من متى والأصحاح التاسع من يوحنا .

(٦٢) ما كان يجب على المؤلف أن يقول « ولا صادق » لأنه لا صدق مع المسيح

الدجال .

(٦٣) الأنبياء ٢٩ .

(٦٤) اقرأ عن الفروود في الأصحاح العاشر من سفر التكوين .

(٦٥) قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان تراجع في

الأحاديث النبوية الشريفة (الناشر) .

وإن كان المسيح إنما ادعى أنه عبد ونبي ورسول كما شهدت به الأناجيل كلها ودل عليه العقل والفطرة وشهدتم أنتم له بالإلهية — وهذا هو الواقع — فلم تأتوا على إلهيته ببينة غير تكذيبه في دعواه، وقد ذكرتم عنه في أناجيلكم في مواضع عديدة ما يصرح بعبوديته وأنه مربوب مخلوق، وأنه ابن البشر، وأنه لم يدع غير النبوة والرسالة، فكذبتموه في ذلك كله وصدقتم من كذب على الله وعليه!

وإن قلتم إنما جعلناه إلهًا لأنه أخبر بما يكون بعده من الأمور (٦٦) فكذلك عامة الأنبياء، وكثير من الناس يخبر عن حوادث في المستقبل جزئية ويكون ذلك كما أخبر به، ويقع من ذلك كثير للكهان والمنجمين والسحرة!

وإن قلتم إنما جعلناه إلهًا لأنه سمي نفسه ابن الله في غير موضع من الإنجيل كقوله: «إني ذاهب إلى أبي» (٦٧)، «وإني سائل أبي» (٦٨)، ونحو ذلك وابن الإله إله، قيل: فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة في غير موضع إنه سماه «أباه، أباهم» كقوله «أذهب إلى أبي وأبيكم» (٦٩) وفيه «ولا تدعوا لكم أبا على الأرض فان أباكم واحد الذي في السماء» (٧٠) وهذا كثير في الإنجيل وهو يدل على أن الأب عندهم: الرب!

وإن جعلتموه إلهًا لأن تلاميذه ادعوا ذلك له وهم أعلم الناس به كذبت أناجيلكم التي بأيديكم فكلها صريحة أظهر صراحة بأنهم ما ادعوا

(٦٦) لم يخبر المسيح عن المستقبل إلا بمجيء مجده صلى الله عليه وسلم.

(٦٧) يوحنا ٢٠ : ١٧ .

(٦٨) يوحنا ١٧ : ٩ .

(٦٩) يوحنا ٢٠ : ١٧ .

(٧٠) متى ٢٣ : ٨ .

له إلا ما ادعاه لنفسه من أنه عبد، فهذا «متى» يقول فى الفصل الثانى عشر (٧١) من إنجيله محتجاً بنبوة أشعيا فى المسيح عن الله عز وجل: «هذا عبدى الذى اصطفيته وحيبى الذى ارتاحت نفسى له» (٧٢)، وفى الفصل الحادى عشر (٧٣) من إنجيله: «إنى أشكرك يارب» (٧٤)، «ويارب السموات والأرض» (٧٥) وهذا «لوقا» يقول فى آخر إنجيله: «إن المسيح عرض لاثنين من الناس فى الطريق وهما محزونان، فقال لهما وهما لا يعرفانه: ما بالكما محزونين» فقالا: كأنك غريب فى بيت المقدس، إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها فى هذه الأيام من أمر الناصرى فإنه كان رجلاً نبياً قوياً تقياً فى قوله وفعله عند الله وعند الأمة أخذوه وقتلوه» (٧٦)، وهذا كثير جداً فى الإنجيل! وإن قلت: إنما جعلناه إلهاً لأنه صعد إلى السماء.. فهذا أخنوخ (٧٧)

(٧١) فى الأصل: الفصل التاسع. والصحيح فى الأصحاح الثانى عشر.
(٧٢) النص: «هوذا فتاى الذى اخترته. حبيبى الذى سرت به نفسى. أضع روحى عليه، فيخبر الأمم بالحق... الخ» (متى ١٢: ١٨-٢١) وهذا النص مقتبس من سفر أشعيا من الأصحاح الثانى والأربعين. وقال المؤلف أن النص يشير الى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام. مع أنه وهو يتحدث عن البشارة بنبى الاسلام فى التوراة ذكر كلام أشعيا ووضح أن المراد به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح. ونص عبارة أشعيا «هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم... الخ».

(٧٣) عبارة الأصل: الفصل الثامن والصحيح: الحادى عشر.
(٧٤) النص: «أحمدك أيها الآب. رب السماء والأرض... نعم أيها الآب» (متى ١١: ٢٥).

(٧٥) التعليق السابق.
(٧٦) عبارة الأصل: عرض له ولآخر من تلاميذه فى الطريق ملك وهما... الخ وهذا النص فى الأصحاح الرابع والعشرين من أنجيل لوقا الآية ١٣ وما بعدها.
(٧٧) أخنوخ هو أدريس عليه السلام. وفى التوراة عنه: وسار أخنوخ مع الله. ولم

وإلياس قد صعدا إلى السماء وهما حيان مكرمان لم تشكهما شوكة ولا طمع فيهما. طامع .

والمسلمون مجتمعون على أن محمداً صلى الله عليه وسلم صعد إلى السماء وهو عبد محض (٧٨) .

وهذه الملائكة تصعد إلى السماء، وهذه أرواح المؤمنين تصعد إلى السماء بعد مفارقتها الأبدان ولا تخرج بذلك عن العبودية، وهل كان الصعود إلى السماء مخرج عن العبودية بوجه من الوجوه؟

وإن جعلتموه إلهاً لأن الأنبياء سمته إلهاً ورباً وسيداً ونحو ذلك فلم يزل كثير من أسماء الله عز وجل تقع على غيره عند جميع الأمم وفي سائر الكتب، وما زالت الروم والفرس والهند والسريانيون والعبرانيون والقبسط وغيرهم يسمون ملوكهم آلهة وأرباباً، وفي السفر الأول من التوراة «أن بنى الله دخلوا على بنات الناس ورأوهن بأرعات الجمال فتزوجوا منهن» (٧٩)، وفي السفر الثاني من التوراة فى قصة الخروج من مصر «إنى جعلتك إلهاً لفرعون» (٨٠)، وفى المزمور الثانى والثمانين لداود «قام الله لجميع الآلهة» (٨١) هكذا فى العبرانية، وأما من نقله إلى السريانية فإنه حرقه فقال: «قام الله فى جماعة الملائكة»، وقال فى هذا المزمور وهو يخاطب قوماً بالروح: «لقد ظننت أنكم آلهة وأنكم

يوجد لأن الله أخذه» (تكوين ٥ : ٢٤) ونحو صعود الياس عليه السلام الى السماء بجسمه وروحه — ونحن نشك فى صعود جسده — مذكور فى الأصحاح الثانى من سفر الملوك الثانى .

(٧٨) أنظر أول سورة النجم .

(٧٩) التكوين ٦ : ٢ .

(٨٠) (الخروج ٧ : ١) .

(٨١) أول المزمور الثانى والثمانين . ونصه فى ترجمة البروتستانت «الله قائم فى مجمع الله» وفى ترجمة اليسوعيين . وفى هذا المزمور: «أنا قولت أنكم آلهة . وبنو العلى كللكم» .

أبناء الله كلكم» وقد سمي الله سبحانه عبده بالملك، كما سمي نفسه بذلك، وسماه بالرؤوف الرحيم كما سمي نفسه بذلك، وسماه بالعزیز وسمى نفسه بذلك، واسم الرب واقع على غير الله تعالى في لغة أمة التوحيد، كما يقال هذا رب المنزل ورب الإبل ورب هذا المتاع، وقد قال أشعياء: «عرف الثور من اقتناه والحمار مربوط ربه ولم يعرف بنو إسرائيل» (٨٢).

وإن جعلتموه إلهاً لأنه صنع من الطين صورة طائر ثم نفخ فيها فصارت لحماً ودماً وطائراً حقيقة ولا يفعل هذا إلا الله، قيل فاجعلوا موسى بن عمران إله الآلهة فإنه ألقى عصا فصارت ثعباناً عظيماً ثم أمسكها بيده فصارت عصا كما كانت!

وإن قلتم: جعلناه إلهاً لشهادة الأنبياء والرسل له بذلك، قال دانيال (٨٣) حيث سباهم بختنصر إلى أرض بابل بعد أربعمئة وثلاث وثمانين سنة: «يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم» (٨٤) وعند انتهاء هذه المدة أتى المسيح، ومن يطبق تخلص الأمم غير الإله التام، قيل

(٨٢) نص عبارة أشعياء في الأصحاح الاول هكذا من ترجمة البروتستانت «الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه. أما اسرائيل فلم يعرف. شعبي لا يفهم» (أش ١: ٣).

(٨٣) عبارة الأصل قال عزرا. والصحيح دانيال.

(٨٤) عبارة الأصل: إلى أربعمئة واثنين وثمانين. والصحيح وثلاث وثمانين. لأن الاثنين والسبعين أسبوعاً والأسبوع عددهم: تسعة وستون أسبوعاً والاسبوع سبع سنين فيكون ناتج الضرب: ثلاث وثمانون وأربعمئة. والحساب هذا في الأصحاح التاسع من سفر دانيال. ولا يشير إلى عيسى كما يزعم النصارى، بل يشير الحساب إلى سنة ولادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كما بينا في كتابنا «نبوات عن محمد في الكتاب المقدس» نشر دار الفكر العربي بمصر.

ولا يراد بالمسيح في النص عيسى عليه السلام. بل محمد صلى الله عليه وسلم. بحسب لغة بنى إسرائيل.

لكم : فاجعلوا جميع الرسل آلهة فإنهم خلصوا الأمم من الكفر والشرك وخلصوهم من النار بإذن الله وحده ، ولا شك أن المسيح خلص من آمن به واتبعه من ذل الدنيا وعذاب الآخرة ، كما خلص موسى بنى إسرائيل من فرعون وقومه ، وخلصهم بالإيمان بالله واليوم الآخر من عذاب الآخرة ، وخلص الله سبحانه بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله من الأمم والشعوب ما لم يخلصه نبي سواه فإن وجبت بذلك الإلهية لعيسى فوسى ومحمد أحق بها منه .

وإن قلتم أوجبنا له بذلك الإلهية لقول أشعيا (٨٥) النبي عن ولادته : « وفى ذلك الزمان يقوم لداود ابن ، وهو ضوء النور ، يملك الملك ، ويقيم الحق العدل فى الأرض ، ويخلص من آمن به من اليهود ومن بنى إسرائيل ومن غيرهم ، ويبقى بيت المقدس من غير مقاتل ، ويسمى الإله » (٨٦) فقد تقدم أن اسم الإله فى الكتب المتقدمة وغيرها قد أطلق على غيره وهو بمنزلة الرب والسيد والآب ولو كان عيسى هو الله لكان أجل من أن يقال ويسمى الإله وكان يقول وهو الله ، فإن الله سبحانه لا يعرف بمثل هذا ، وفى هذا الدليل الذى جعلتموه به إلهاً أعظم الأدلة على أنه عبد وأنه ابن البشر فإنه قال : « يقوم لداود ابن » فهذا الذى قام لداود هو الذى سمي بالإله ، فعلم أن هذا الاسم لمخلوق مصنوع مولود لا لرب العالمين وخالق السموات والأرضين .

وإن قلتم إنما جعلناه إلهاً من جهة قول أشعيا النبي : « قل لصهيون يفرح ويتהלل فإنه الله يأتى ويخلص الشعوب ويخلص من آمن به ويخلص

(٨٥) عبارة الأصل : لقول أرميا النبي .

(٨٦) النص : « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً . وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً لها قديراً . أباً أبدياً رئيس السلام . لنور رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود ، وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر . من الآن الى الأبد » (أشعيا ٩ : ٦-٧) .

مدينة بيت المقدس ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الأمم المتبدين ويجعلهم أمة واحدة، ويبصر جميع أهل الأرض خلاص الله لأنه يمشى معهم وبين أيديهم ويجمعهم إليه «إسرائيل»^(٨٧)، قيل لهم هذا يحتاج إلى أن يعلم أن ذلك في نبوة أشعيا بهذا اللفظ بغير تحريف للفظ ولا غلط في الترجمة، وهذا غير معلوم، وإن ثبت ذلك لم يكن فيه دليل على أنه إله تام وأنه غير مصنوع ولا مخلوق فإنه نظير ما في التوراة: «جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»، وليس في هذا ما يدل على أن موسى وعمداً إلهان والمراد بهذا مجيء دينه وكتابه وشرعه وهدايه ونوره.

وأما قوله: «ويظهر ذراعه الطاهر لجميع الأمم المبدين» ففي التوراة مثل هذا وأبلغ منه في غير موضع^(٨٨).
وأما قوله: «ويبصر جميع أهل الأرض خلاص الله لأنه يمشى معهم

(٨٧) النص الذي ذكره المؤلف من سفر أشعيا موجود في سفر أشعيا. ولكن ليس في موضع واحد. ففي الأصحاح الأربعين «على جبل عال أصعدى يامبشرة صهيون. أرفعى صوتك بقوة يامبشرة أورشليم. أرفعى لا تخافى. قولى لمدن يهوذا: هوذا الهك. هوذا السيد الرب بقوة يأتى وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه، وعملته قدامه. كراع يرعى قطيعه بذراعه يجمع الحملان. وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات».

وفي الأصحاح الخامس والثلاثين «قولوا لخائفى القلوب تشددوا، لا تخافوا. هوذا الحكم الانتقام يأتى. جزاء الله. هو يأتى ويخلصكم».

وفي الأصحاح الأربعين «صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب. قوموا فى القفر سبيلا لاهنا. كل وطاء يرتفع. وكل جبل وأكمة ينخفض. ويسير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً. فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم» وهذه العبارات التى تثبت ذراعه الله تعالى ومجيئاً لتخليص اليهود من ذل المستعمرين لبلادهم، وتثبت فما. هذه العبارات ليست موجودة فقط فى سفر أشعيا، بل فى كثير من أسفار التوراة.

(٨٨) أنظر: أظهار الحق لرحمت الله الهندي. فقد جمع كثيراً من النصوص. وأنظر كتابنا الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية.

ومن بين أيديهم» ، فقد قال فى التوراة فى السفر الخامس لبنى إسرائيل : « لا تهابوهم ولا تخافوهم لأن الله ربكم السائر بين أيديكم وهو محارب عنكم» (٨٩) وفى موضع آخر قال موسى : « إن الشعب هو شعبك ، فقال أنا أمضى أمامك ، فقال إن لم تمض أنت أمامنا وإلا فلا تصعدنا من ههنا ، فكيف أعلم أنا وهذا الشعب إنى وجدت نعمة كذا إلا بسيرك معنا؟ » (٩٠) ، وفى السفر الرابع : « أنك أصعدت هؤلاء بقدرتك فيقولون لأهل هذه الأرض الذى سمعوا أنك الله بين هؤلاء القوم الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عيناً لعين وغمامك تغيم عليهم وبعمود غمام تسير بين أيديهم نهائراً وبعمود نار ليلاً » (٩١) ، وفى التوراة أيضاً يقول الله لموسى : « إنى آت إليك فى غلظ الغمام لكى يسمع القوم مخاطبتى لك » (٩٢) ، وفى الكتب الإلهية وكلام الأنبياء من هذا كثير . وفيما حكى خاتم الأنبياء عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش ، وبى يمشى » .

وإن قلتم جعلناه إلهاً لقول زكريا فى نبوته : « ترغى وافرحى يا بنت صهيون . لأنى آتاك وأحل فىك وأترأى ، وتؤمن بالله فى ذلك اليوم الأمم الكثيرة ، ويكونون له شعباً واحداً ، ويحل هو فيهم ويعرفون أنى أنا الله القوى الساكن فىك ، ويأخذ الله فى ذلك اليوم الملك من يهوذا ويملك عليهم إلى الأبد » (٩٣) .. قيل لكم : إن أوجبتم له الإلهية بهذا

(٨٩) الأصحاح الأول من سفر التثنية ٢٩-٣٠ .

(٩٠) الأصحاح الثالث والثلاثون من سفر الخروج ١٣-١٦ .

(٩١) النص فى الأصحاح الرابع عشر من سفر العدد « فقال موسى للرب : فيسمع

المصريون الذين أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم ... الخ » (عدد ١٤ : ١٣-) .

(٩٢) الأصحاح التاسع عشر من سفر الخروج الآية التاسعة .

(٩٣) النص فى الأصحاح الثانى من سفر زكريا الآية العاشرة وما بعدها .

فلتجب لإبراهيم وغيره من الأنبياء، فإن عند أهل الكتاب وأنتم معهم :
« أن الله تجلى (٩٤) لإبراهيم واستعلن له وتراءى له » .

أما قوله : « وأحل فيك » لم يرد سبحانه بهذا حلول ذاته التي لا
تسعها السموات والأرض في بيت المقدس ، وكيف تحمل ذاته في مكان
يكون فيه مقهوراً مغلوباً مع شرار الخلق ؟ كيف وقد قال : « ويعرفون
أنى أنا الله القوى الساكن فيك » ؟ أفترى عرفوا قوته بالقبض عليه وشد
يديه بالحبال وربطه على خشبة الصليب ودق المسامير في يديه ورجليه
ووضع تاج الشوك على رأسه وهو يستغيث ولا يغاث ؟

وما كان المسيح يدخل بيت المقدس إلا وهو مغلوب مقهور مستخف
في غالب أحواله . ولو صبح مجيء هذه الألفاظ صحة لا تدفع وصحت
ترجمتها كما ذكروه لكان معناها أن معرفة الله والإيمان به وذكره وذنبه
وشرعه حل في تلك البقعة ، وبيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح بعد
رفعه يكن حصل فيه من الإيمان بالله ومعرفته ما لم يكن قبل ذلك .

« وجماع الأمر » .. أن النبوات المتقدمة والكتب الإلهية لم تنطق
بحرف واحد يقتضى أن يكون ابن البشر إلهاً تاماً .. إله حق من إله
حق ، وأنه غير مصنوع ولا مربوب ، بل لم يخصه إلا بما خص به أخوه
وأولى الناس به محمد بن عبد الله في قوله : « إنه عبد الله ورسوله
وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » ، وكتب الأنبياء المتقدمة وسائر
النبوات موافقة لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك كله يصدق
بعضه بعضاً ، وجميع ما تستدل به المثلة عباد الصليب على إلهية المسيح
من ألفاظ وكلمات في الكتب فإنها مشتركة بين المسيح وغيره كتسميته
أباً وكلمة وروح حق وإلهاً ، وكذلك ما أطلق من حلول روح القدس
فيه وظهور الرب فيه أو في مكانه .

(٩٤) المتجلى لإبراهيم ملاك .

وقد وقع فى نظير شركهم وكفرهم طوائف من المنتسبين إلى الإسلام، واشتبه عليهم ما يحل فى قلوب العارفين من الإيمان به ومعرفته ونوره وهداه فظنوا أن ذلك نفس ذات الرب، وقد قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٥)، وهو ما فى قلوب ملائكته وأنبيائه وعباده المؤمنين من الإيمان به ومعرفته ومحبه وإجلاله وتعظيمه، وهو نظير قوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنَ بِهِ فَقَدْ آمَتَدُوا﴾ (١٦) وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (١٧)، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (١٨)، فأولياء الله يعرفونه ويحبونه ويحبلونه، ويقال: هو فى قلوبهم.

والمراد محبه ومعرفته والمثل الأعلى فى قلوبهم لا نفس ذاته وهذا أمر يعتاده الناس فى مخاطباتهم ومحاوراتهم، يقول الإنسان لغيره: أنت فى قلبى ولازلت فى عينى.. كما قال القائل:

ومن عجب: أنى أحن إليهم وأسأل عنهم من لقيت، وهم معى
وتطلبهم عينى، وهم فى سوادها ويشتاقهم قلبى، وهم بين أضلعي
وقال آخر:

خيالك فى عينى، وذكرك فى فى ومثالك فى قلبى، فأين تغيب؟
وقال آخر:

ساكن فى القلب يعمره لست أنساه فأذكره

(٩٥) سورة الروم الآية السابعة والعشرون.

(٩٦) سورة البقرة الآية السابعة والثلاثون بعد المائة.

(٩٧) الأنعام الآية الثالثة.

(٩٨) الزخرف الآية الرابعة والثمانون.

وقال آخر:

إن قلت : غبت فقلبي لا يصدقني إذ أنست فيه لم تغيب
أوقلت : ما غبت قال الطرف ذا كذب فقد تحيرت بين الصدق والكذب

وقال الآخر:

أحن إليه ، وهو في القلب ساكن فيا عجباً لمن يحن لقلبه

ومن غلظ طبعه وكشف فهمه عن فهم مثل هذا لم يكثر عليه أن يفهم من ألفاظ الكتب أن ذات الله سبحانه تحل في الصورة البشرية وتتحد بها تعتزج بها .. (تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً) .
وإن قلتم أوجبنا له الإلهية من قول أشعياء : «من أعجب الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من البشر» (٩٩) ، قيل لكم هذا مع أنه يحتاج إلى صحة هذا الكلام عن أشعياء وأنه لم يحرف بالنقل من ترجمة إلى ترجمة وأنه كلام منقطع عما قبله وبعده بيينة ، فهو دليل على أنه مخلوق مصنوع ، وأنه ابن البشر مولود منه ، لا من الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد!

(٩٩) النص ليس بلفظه في سفر أشعياء . لكن توجد عبارتان بنفس المعنى حسب فهم النصارى . فالمؤلف كتب معنى العبارتين في جملة واحدة . العبارة الأولى : «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية : ها هي العذراء تحبل وتلد أبناً وتدعو اسمه عمانوئيل» أشعياء ٧ : ١٤ . وقد فسر النصارى «عمانوئيل» بمعنى «الله معنا» ففي الأصحاح الأول من متى «هوذا العذراء تحبل وتلد أبناً ويدعون اسمه عمانوئيل . الذي تفسيره الله معنا» متى ١ :

٢٣

العبارة الثانية : الأصحاح التاسع من سفر أشعياء وهي «لأنه يولد لنا ولد . ونعطي أبناً . وتكون الرئاسة على كتفه . ويدعى اسمه عجيباً مشيراً الهاً قديراً أباً أبدياً ورئيس السلام» أشعياء ٩ : ٦ . وقد سبق للمؤلف أن تحدث عن هذا وقال أن هذا مثل قول الله لموسى أنا جعلتك الهاً لفرعون واليهود وهم أعرف الناس بلغة كتابهم لم يقولوا أن موسى اله على الحقيقة بل بالمعنى المجازى ، أى سيداً .

وإن قلت جعلناه إلهاً من قول متى فى إنجيله : « ان ابن الإنسان يرسل ملائكته ويجمعون مختاريه من أقصاء السموات إلى أقصائها ويجمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض » (١٠٠) .. قيل هذا كالذى قبله سواء ، ولم يرد أن المسيح هو رب الأرباب ولا أنه خالق الملائكة ، وحاش لله أن يطلق عليه أنه رب الملائكة بل هذا من أقبح الكذب والافتراء ، بل رب الملائكة أوصى الملائكة بحفظ المسيح وتأييده ونصره بشهادة لوقا النبى القائل عندهم : «إن الله يوصى ملائكته بك ليحفظوك» (١٠١) ثم بشهادة لوقا : «إن الله أرسل له ملكا من السماء

(١٠٠) النص فى أنجيل متى — وهو مصحح — فى الأصحاح الرابع والعشرين والخامس والعشرين . وقد فهم المؤلف : أن ابن الإنسان هو المسيح عيسى ابن مريم كما يزعم النصارى والحقيقة أن ابن الإنسان لقب لنبى الاسلام صلى الله عليه وسلم وملائكته يعنى الأتباع والأصحاب الشبيهن بالملائكة فلفظ الملائكة على المجاز وليس على الحقيقة فان دانيال النبى فى الأصحاح الثانى والسابع من سفره تحدث عن ممالك أربع تنشأ على الأرض وفى أيام المملكة الرابعة وهى مملكة الروم يتأسس ملك سماوى الهى وسماه دانيال ملكوت السماء ولقب صاحبه بلقب ابن الإنسان بالمسيح عيسى عليه السلام يقول أن ابن الإنسان صاحب الملكوت الذى تحدث عنه دانيال إذا أتى سوف يرسل أتباعه لاحتلال أرض فلسطين وسوف تجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض ويتمتع الأخيار فى ملكه بحياة أبدية ويمضى الأشرار الى عذاب أبدى .

(١٠١) الأصحاح الرابع من لوقا الآية العاشرة ويشير بذلك الى المزمور الحادى والتسعين الآية الحادية عشرة؛ وقبلها وبعدها «لأنك قلت أنت يارب ملجئى جعلت العلى مسكنك . لا يوقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك . لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقتك على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك . على الاسد والصل تطأ . الشبل والثعبان تدوس . لأنه تعلق بى . أنجيه أرفعه لأنه عرف أسمى . يدعونى فأستجيب له . معه أنا فى الضيق . أنقذه وأمجده . من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى » والمزمور كله يتحدث عن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم ولكى يطبق النصارى هذا المزمور على المسيح عيسى أدعوا أن الشيطان أوقف المسيح على جناح هيكل سليمان وقال له أن كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا الى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك

ليقويه» (١٠٢)، هذا الذى نطقت به الكتب، فحرف الكذابون على الله وعلى مسيحه ذلك، ونسبوا إلى الأنبياء أنهم قالوا هو رب الملائكة، وإذا شهد الإنجيل واتفق الأنبياء والرسل أن الله يوصى ملائكته بالمسيح ليحفظوه. علم أن الملائكة والمسيح عبيد الله منفذون لأمره، وليسوا أربابا لا آلهة.

وقال المسيح لتلامذته: «من قبلكم فقد قبلنى، من قبلنى فقد قبل من أرسلنى» (١٠٣).

وقال المسيح لتلامذته أيضاً: «من أنكرنى قدام الناس أنكرته أنا قدام أبى الذى فى السموات» (١٠٤).

وقال للذى ضرب عبد رئيس الكهنة: «اغمد سيفك. أو لا تظن أنى أستطيع أن أدعو الله الآب فيقيم لى أكثر من أثنى عشر جيشاً من الملائكة؟» (١٠٥) فهل يقول هذا من هو رب الملائكة وإلههم وخالقهم؟ وإن أوجبتم له الإلهية بما نقلتموه عن أشعياء: «تخرج عصاً من جذع يسى، وينبت غصن من أصوله، ويحل فيه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح العلم وخوف الله» (١٠٦).. قيل لكم هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن أشعياء وصحة الترجمة له باللسان العربى وأنه لم يحرفه المترجم هو حجة على المثلثة عباد

... الخ وبحسب زعم النصرارى أن المسيح قتل وصلب يتبين أن هذا الموضع فى الإنجيل كاذب. أما نبي الاسلام فقد عصمه الله من الناس كما جاء فى سورة المائدة ٦٧.

(١٠٢) لوقا الأصحاح الثانى والبشرون الآية الثالثة والاربعون.

(١٠٣) متى الأصحاح العاشر الآية الأربعون.

(١٠٤) متى الأصحاح العاشر الآية الثالثة والثلاثون. وعبرة الأصل قدام ملائكة

الله.

(١٠٥) أنجيل متى الأصحاح السادس والعشرون الآية الثانية والخمسون وما بعدها.

(١٠٦) النص فى الأصحاح الحادى عشر من سفر أشعياء. الآية الأولى وما بعدها.

الصليب لا لهم ، فإن لا يدل على أن المسيح خالق السموات والأرض ، بل يدل على مثل ما دل عليه القرآن ، وأن المسيح أُؤيد بروح الرب ، فإنه قال : « ويحل فيه روح الرب روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح العلم وخوف الله » .

ولم يقل تحل فيه حياة الله فضلاً عن أن يحل الله فيه ويتحد به ويتخذ حجاباً من ناسوته .

هذه روح تكون مع الأنبياء والصديقين ، وعندهم في التوراة : إن الذين كانوا يعملون في قبة الزمان حلت فيهم « روح الحكمة » (١٠٧) وروح الفهم والعلم هي ما يحصل به الهدى والنصر والتأييد ، وقوله : « روح الله » لا يدل على أنها صفة فضلاً عن أن يكون هو الله ، وجبريل يسمى روح الله ، والمسيح اسمه روح الله .

« والمضاف » إذا كان ذاتاً قائمة بنفسها فهو إضافة مملوك إلى مالك كبيت الله وناقة الله وروح الله ، ليس المراد به بيت يسكنه ، ولا ناقة يركبها ، ولا روح قائمة به ، وقد قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (١٠٨) ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ (١٠٩) ، فهذه الروح أيد بها عباده المؤمنين . وقد أخبر أنه أيد بروح العلم وخوف الله ، فجمع بين العلم والخشية وهما الأصلان اللذان جمع القرآن بينهما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١١٠) ،

والنص صحيح على الترجمة الحديثة والمعنى على الصحيح ولاحظ أن روح الرب تترجم روح القدس .

(١٠٧) النص : « وكلم الرب موسى قائلاً : انظر . قد دعوت يصلئيل بن أوري بن حور . من سبط يهوذا باسمه . وملائته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة لا اختراع مخترعات لي عمل في الذهب والفضة والنحاس ... الخ » (خروج ٣١ : ١-٢) .

(١٠٨) آخر المجادلة . (١٠٩) الشورى ٥٢ .

(١١٠) فاطر ٢٨ .

وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم : «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية» وهذا شأن العبد المحض . وأما الإله الحق ورب العالمين فلا يلحقه خوف ولا خشية ولا يعبد غيره ، والمسيح كان قائماً بأوراد العبادات لله أتم القيام .

وإن أوجبتم له الإلهية بقول أشعياء : «إن غلاماً يولد لنا ، وإننا أعطينا ولداً ، ورياسته على عاتقيه وبين منكبيه ، ويدعى اسمه ملكاً عظيماً عجيباً إلهاً قوياً مسلطاً رئيساً ، قوى السلامة فى كل الدهور وسلطانه كامل ليس له فناء» (١١١) .

قيل لكم ليس فى هذه البشارة ما يدل على أن المراد بها المسيح بوجه من الوجوه ، ولو كان المراد بها المسيح لم يدل على مطلوبهم . إن دلالتها على محمد بن عبد الله أظهر من دلالتها على المسيح ، فإنه هو الذى رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين : من جهة أن خاتم النبوة علا نغض كتفيه ، وهو من أعلام النبوة التى أخبرت به الأنبياء ، وعلامة ختم ديوانهم ، ولذلك كان فى ظهره . ومن جهة أنه بعث بالسيف الذى يتقلد به على عاتقه ويرفعه إذا ضرب به على عاتقه ، ويدل عليه قوله : «مسلطاً رئيساً قوى السلامة» ، وهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد المنصور رئيس السلامة ، فإن دينه الإسلام ، ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة ومن استيلاء عدوه عليه ، والمسيح لم يسلط على أعدائه كما سبط محمد صلى

(١١١) النص : «لأنه يولد لنا ولد . ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيباً ، مشيراً ، الهاً قديراً ، أباً أبدياً ، رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود ، وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الأبد» (أشعياء ٩ : ٦-٧) .

ودلالة النص على نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم أقوى من دلالة على عيسى عليه السلام كما قال المؤلف .

الله عليه وسلم ، بل كان أعداؤه مسيطرين عليه قاهرين له حتى عملوا به ما عملوا عند المثلثة عباد الصليب .

فأين مطابقة هذه الصفات للمسيح بوجه من الوجوه ؟ وهى مطابقة لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من كل وجه ، وهو الذى سلطانه كامل ليس له فناء إلى آخر الدهور .

فإن قيل : إنكم لا تدعون محمداً إلهاً بل هو عندهم عبد محض ؟ قيل : نعم . والله إنه كذلك . عبد محض لله ، والعبودية أجل مراتبه ، واسم « الإله » من جهة التراجم جاء ، والمراد به السيد المطاع لا الإله المعبود الخالق الرزاق .

وإن أوجبتم له الإلهية من قول أشعيا فيما زعمتم : « ها هي العذراء تحبل وتلد ابناً يدعى اسمه عمانوئيل » (١١٢) ، وعمانوئيل كلمة عبرانية تفسيرها بالعربية « إلهنا معنا » فقد شهد له النبي أنه إله .

قيل لكم بعد ثبوت هذا الكلام وتفسيره لا يدل على أن العذراء ولدت رب العالمين وخالق السموات والأرضين ، فإنه قال تلد ابناً وهذا دليل على أنه ابن من جملة البنين ليس هو رب العالمين . وقوله « ويدعى اسمه عمانوئيل » فأنما يدل على أنه يسمى بهذا الاسم كما يسمى الناس أبناءهم بأنواع من الصفات والأسماء والأفعال والجمال المركبة من اسمين أو اسم وفعل ، وكثير من أهل الكتاب يسمون أولادهم عمانوئيل .

ومن علمائكم من يقول : « المراد بالعذراء ههنا غير مريم » (١١٣)

(١١٢) النص فى سفر أشعيا الأصحاح السابع الآية الرابعة عشرة . وليس فى أشعيا تفسير عمانوئيل بالله فان متى هو الذى فسر عمانوئيل بالله معنا لا أشعيا .

(١١٣) اللفظ العبرى المترجم فى العربية بالعذراء هو « علمه » مؤنث علم . ومعناه عند علماء اليهود المرأة الشابة سواء كانت عذراء أو غير عذراء . يقول الآباء اليسوعيون فى التعليق على هذا الموضع « من الناس من نازع فى لفظ العذراء الوارد فى هذا الموضع وزعم

ويذكر في ذلك قصة (١١٤)، ويدل على هذا أن المسيح لا يعرف اسمه «عمانويل» وإن كان ذلك اسمه فكونه يسمى إلهنا معنا أو بالله حسبى أو الله وحده ونحو ذلك .

وقد حرف بعض المثلثة عباد الصليب هذه الكلمة وقال معناها «الله معنا» ورد عليهم بعض من أنصف من علمائهم وحكم رشه على هواه وهواه الله للحق وبصره من عماه وقال : (أهذا هو القائل : «أنا الرب، ولا إله غيرى، وأنا أحيى وأميت وأخلق وأرزق؟» (١١٥) ، أم هو القائل لله : «إنك أنت الإله الحق وحدك الذى أرسلت يسوع المسيح» (١١٦) قال : والأول باطل قطعاً ، والثانى هو الذى شهد به الإنجيل ، ويجب تصديق الإنجيل وتكذيب من زعم أن المسيح إله معبود .

قال : «وليس المسيح مخصوصاً بهذا الاسم فإن — عمانويل — اسم تسمى به النصرى واليهود أولادهما» .

قال : «وهذا موجود فى عصرنا هذا ، ومعنى هذه التسمية بينهم شريف القدر» .

قال : «وكذلك السريان يسمون أولادهم «عمانويل» والمسلمون

أن الكلمة العبرانية (هملا) يراد بها الفتاة على الإطلاق... الخ» (حواشى على المجلد الاول من الكتاب المقدس للآباء اليسوعيين صفحة ٥٢) .

(١١٤) القصة فى نفس الأصحاح السابع من سفر أشعيا . وهى أن آحاز ملك يهوذا قد أتصل به أن ملك أرام وملك اسرائيل (السامرة) يجيشان عليل لتدمير مملكة يهوذا وببيت داود . فخاف خوفاً شديداً وأستصرخ ملك أشور . فتنبأ أشعيا بأنها لا يفوزان عليه ويجعل لآحاز آية على تحقق نبوءته . وهى أن العذراء ستلد أبناً يسمونه عمانوئيل . وقبل أن يبلغ سن الرشد تصير أرض ملكى أرام واسرائيل الى الدمار . ثم يقول : أن أرض يهوذا أيضاً ستخرب عقاباً للملك على عدم إيمانهم . وقد تم ذلك كله فى حينه .

(١١٥) تثنية ٢٣ : ٢٩ أشعيا ٤٥ : ١٨ — ٢١ .

(١١٦) يوحنا ١٧ : ٣ .

وغيرهم يقولون للرجل: الله معك.. فإذا سُمي الرجل بقول الله معك كان هذا تبركا بمعنى هذا الاسم» (أ. هـ).

وإن أوجبتم له الإلهية بقول حبقوق فيا حكيموه عنه: «إن الله في الأرض يتراءى ويختلط مع الناس ويمشي معهم» (١١٧)، ويقول تاروخ أيضاً: «الله يظهر في الأرض ويتقلب مع البشر» (١١٨).

قيل لكم هذا بعد احتياجه إلى ثبوت نبوة هذين الشخصين (١١٩) أولاً وإلى ثبوت هذا النقل عنها، وإلى مطابقة الترجمة من غير تحريف — وهذه «ثلاث مقامات» يعز عليكم إثباتها — لا يدل على أن المسيح هو خالق السموات والأرض، وأنه إله حق ليس بمخلوق ولا مصنوع، ففي التوراة ما هو من هذا الجنس وأبلغ ولم يدل ذلك على أن موسى إله ولا أنه خارج عن جملة العبيد.

وقوله «يتراءى» مثل «تجلى أو ظهر أو استعلن» ونحو ذلك من ألفاظ التوراة وغيرها من الكتب الإلهية، وقد ذكر في التوراة «أن الله تجلى وتراءى لإبراهيم وغيره من الأنبياء» ولم يد ذلك على الإلهية لأحد منه، ولم يزل في عرف الناس ومخاطبتهم أن يقولوا: فلان معنا وهو بين

(١١٧) النص في الأصحاح الثالث من سفر حبقوق — بالباء وليس بالنون كما في الأصل — ونص العبارة: «الله جاء من تيمان... قدامه ذهب الوباء، وعند رجله خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض... ركبت خيلك... خرجت لخلاص شعبك... الخ».

(١١٨) عبارة الأصل: ويقول أرمياء أيضاً بعد هذا وليس النص في أرمياء. بل في سفر باروخ الأصحاح الثالث الآية الثامنة والثلاثون ولاحظ أن في سفر أرمياء ما يدل على التنزيه من مثل هذه الايات: «لا مثل لك يارب عظيم أنت وعظيم أسمك في الجبوت. من لا يخافك يملك الشعوب لأنه بك يليق. لأنه في جميع حكماء الشعوب وفي كل ممالكهم ليس مثلك» (أرمياء ١٠: ٦-٧).

(١١٩) اليهود البسامريون يرفضون نبوة حبقوق وباروخ ويرفضون سفرهما. واليهود الصدوقيون يرفضون سفرهما واليهود الفريسيون يرفضون سفر باروخ. والبروتستانت من النصارى يرفضونه.

أظهرنا ولم يمت . إذا كان عمله وسنته وسيرته بينهم ووصاياه يعمل بها بينهم ، وكذلك يقول القائل لمن مات والده : ما مات من خلف مثلك ، وأنا والدك ، وإذا رأوا تلميذاً لعالم تعلم علمه قالوا : هذا فلان باسم أستاذه ، كما كان يقال عن عكرمة « هذا ابن عباس » وعن أبي حامد « هذا الشافعي » .

وإذا بعث الملك نائبا يقوم مقامه فى بلد يقول الناس « جاء الملك » ، و« حكم الملك » ، و« رسم الملك » .

وفى الحديث الصحيح الإلهى : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : عبدى مرضت فلم تعدنى ، فيقول يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما إن عبدى فلاناً مرض فلم تعده ، أما لو عدته لوجدتني عنده ، عبدى جعت فلم تطعمنى ، فيقول رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلاناً إستطعمك فلم تطعمه ، أما لو أطعمته لوجدت ذلك عندى . عبدى استسقيتك فلم تسقنى ، فيقول رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : أما إن عبدى فلاناً عطش فاستسقاك فلم تسقه ، أما لو سقيته لوجدت ذلك عندى » ، وأبلغ من هذا قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (١٢٠) ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (١٢١) ، فلو استحل المسلمون ما استحللتم لكان استدلالهم بذلك على أن محمداً إله من جنس استدلالكم لا فرق بينها !

وإن أوجبتم له الإلهية بقوله فى السفر الثالث من أسفار الملوك : « والآن يارب إله إسرائيل يتحقق كلامك لداود لأنه هل يسكن الله مع الناس على الأرض ؟ .. اسمعوا أيتها الشعوب ، كلكم ، ولتنصت الأرض

(١٢٠) سورة الفتح الآية العاشرة .

(١٢١) النساء الآية الثمانون .

وكل من فيها، فيكون الرب عليهم شاهداً، ويخرج من موضعه، وينزل، ويوطأ على مشارق الأرض في شأن خطيئة بنى يعقوب» (١٢٢) .. قيل لكم هذا السفر يحتاج أولاً إلى أن يثبت أن الذى تكلم به نبي (١٢٣)، وأن هذا لفظه، وأن الترجمة مطابقة له وليس ذلك بمعلوم. وبعد ذلك فالقول فى هذا الكلام كالقول فى نظائره مما ذكرتموه وما لم تذكروه، وليس فى هذا الكلام ما يدل على أن المسيح خالق السموات والأرض، وأنه إله حق غير مصنوع ولا مخلوق، وأنه سكن فى الأرض. فإن قوله: «هل يسكن الله مع الناس على الأرض؟» هو نفي للسكنى.

وجميع النبوات من أولها إلى آخرها متفقة على أصول: «أحدها» .. أن الله سبحانه وتعالى قديم واحد لا شريك له فى ملكه ولا ند ولا ضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ولا شافع إلا من بعد إذنه.

«الثانى» .. أنه لا والد له ولا ولد ولا كفؤ ولا نسيب بوجه من الوجوه ولا زوجة.

«الثالث» .. أنه غنى بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج إلى شىء مما يحتاج إليه خلقه بوجه من الوجوه.

«الرابع» .. أنه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والسينة والنوم والنسيان والندم والخوف والهمل والحزن ونحو ذلك.

(١٢٢) النص فى الأصحاح الثامن من سفر الملوك الأول بالمعنى — والمعنى على الصحيح — وفى ترجمة اليسوعيين اسمه الملوك الثالث. لان سفرى صموئيل الأول والثانى يسميان عندهم الملوك الأول والثانى.

(١٢٣) هذا السفر من كتابه عزرا وهو ليس بنبي ولا بولي (أنظر رسالة فى اللاهوت والسياسة لسينوزا).

«الخامس» .. أنه لا يماثل شيئاً من مخلوقاته بل ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

«السادس» .. أنه لا يحل فى شيء من مخلوقاته ولا يحل فى ذاته شى منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائون عنه .

«السابع» أنه أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء وفوق كل شيء وعال على كل شيء وليس فوقه شيء البتة .

«الثامن» .. أنه قادر على كل شيء فلا يعجزه شيء يريد بل هو الفعال لما يريد .

«التاسع» .. أنه عالم بكل شيء يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وما يكون ما لم يكن لو كان كيف كان يكون ﴿ وَمَا نَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ (١٢٤) لا متحرك إلا وهو يعلمه على حقيقته .

«العاشر» .. أنه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفتن الحاجات، ويرى دبيب التلة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء، فقد أحاط سمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات، ونفذت مشيئته فى جميع البريات، وعمت رحمته جميع المخلوقات، ووسع كرسيه الأرض والسماوات .

«الحادى عشر» .. أنه الشاهد الذى لا يغيب ولا يستخلف أحداً على تدبير ملكه ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج عباده أو يعاونه عليها أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم .

«الثانى عشر» .. أنه الأبدى الباقي الذى لا يضمحل ولا يتلاشى ولا يعدم ولا يموت .

(١٢٤) سورة الأنعام ٥٩ .

«الثالث عشر».. أنه المتكلم الأمر الناهى قائل الحق وهادى السبيل ومرسل الرسل ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر، ومجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته .

«الرابع عشر».. أنه الصادق فى وعده وخبره، فلا أصدق منه قيلا، ولا أصدق منه حديثا، وهو لا يخلف الميعاد .

«الخامس عشر».. أنه تعالى صمد بجميع الصمدية، فيستحيل عليه ما يناقض صمديته .

«السادس عشر».. أنه قدوس سلام، فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص .

«السابع عشر».. أنه الكامل الذى له الكمال المطلق من جميع الوجوه .

«الثامن عشر».. أنه العدل الذى لا يجور ولا يظلم ولا يخاف عباده منه ظلما .

فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل، وهو من المحكم الذى لا يجوز أن تأتى شريعة بخلافه ولا يخبر نبي بخلافه أصلا، فترك المثلثة عباد الصليب هذا كله، وتمسكوا بالمتشابهة من المعانى والمجمل من الألفاظ، وأقوال من ضلوا من قبل، وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل، وأصول المثلثة ومقاتلهم فى رب العالمين تخالف هذا كله أشد المخالفة وتباينه أعظم المباينة .

اعترفوا بالجميل

وإنه (١) لو لم يظهر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوة سائر الأنبياء، فظهور نبوته تصديق لنبواتهم وشهادة لها بالصدق، فأرساله من آيات الأنبياء قبله، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه فى قوله: ﴿جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢)، فإن المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه، فجائه هو نفس صدق خبرهم، فكأن مجيئه تصديق لهم إذ هو تأويل ما أخبروا به، ولا تنافى بين هذا وبين القول الآخر (٣): إن تصديقه المرسلين شهادته بصدقهم وإيمانه بهم فإنه صدقهم بقوله ومجيئه فشهد بصدقهم بنفس مجيئه، وشهد بصدقهم بقوله، ومثل هذا قول المسيح: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ﴾ (٤)، فإن التوراة لما بشرت به وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقا لها، ثم بشر برسول يأتى من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقا له، كما كان ظهوره تصديقا للتوراة فعادة الله

(١) عبارة الأصل: فصل فى أنه.

(٢) الصفات الآية السابعة والثلاثون.

(٣) يريد أن يقول: أن فى تفسير «جاء بالحق وصدق المرسلين» رأيين. الأول: أن محمدا صلى الله عليه وسلم جعل الانبياء الذين بشروا بظهوره صادقين فى تبشيرهم به. لان ظهوره تصديق لتبشيرهم. والثانى: أن محمدا صلى الله عليه وسلم دعا بمثل ما دعا به المرسلون السابقون عليه، فهو بهذا يصدقهم فى دعوتهم الى التوحيد ومكارم الاخلاق والبعث من الاموات - والرأى الثانى عليه الجمهور -
(٤) الصف الآية السادسة.

فى رسله أن السابق يبشر باللاحق ، واللاحق يصدق السابق ، فلو لم يظهر محمد بن عبد الله ولم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله ، والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره ، وقد كان بشر إبراهيم وهاجر بشارات بينات ولم نرها تمت ولا ظهرت إلا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد بشرت هاجر من ذلك بما لم تبشر به امرأة من العالمين غير مريم ابنة عمران بالمسيح على أن مريم بشرت به مرة واحدة ، وبشرت هاجر بإسماعيل مرتين ، وبشر به إبراهيم مرارا ، ثم ذكر الله سبحانه هاجر بعد وفاتها كالمخاطب لها على السنة الأنبياء ، ففي التوراة أن الله تعالى قال لإبراهيم : « قد أجبت دعاءك فى إسماعيل ، وباركت عليه ، وكبرته ، وعظمته » (٥) ، هكذا فى ترجمة بعض المترجمين . وأما فى الترجمة (٦) التى ترجمها اثنان وسبعون حبرا من أحبار اليهود فإنه يقول : « وسيلد اثنى عشر أمة من الأمم » (٧) وفيها لما هربت هاجر من سارة تراءى لها ملاك الله ، وقال « يا هاجر أمة سارة من أين أقبلت ؟ وإلى أين تذهبين ؟ قالت هربت من سيدتى ، فقال لها الملاك ، ارجعى إلى سيدتك واخضعى لها ، فإننى سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة ، ها أنت تحلين وتلدن ابنا تسميه إسماعيل ، لأن الله قد سمع خشوعك ، وهو يكون عين الناس ، ويكون يده فوق الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع ، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته » (٨) ،

(٥) التكوين ١٧ : ٢٠ « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه . وأثمره . وأكثره كثيرا جدا ، اثنى عشر رئيسا يلد . وأجعله أمة كبيرة » (ترجمة عبرية عن البروتستانت) .

(٦) يقصد التوراة اليونانية (السبعينية) .

(٧) العبارة توجد أيضا فى التوراة العبرانية والسامرية ونصها : « اثنى عشر رئيسا يلد . وأجعله أمة كبيرة » .

(٨) النص فى الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين من الآية الأولى الى الثانية عشرة .

وفى موضع آخر قصة إسكانها وابنها إسماعيل فى برية فاران ، وفيها «فقال لها الملاك يا هاجر ليهدأ روعك ، فقد سمع الله تعالى صوت الصبى ، قومى فاحمله وتمسكى به فان الله جاعله لأمة عظيمة ؛ وأن الله فتح عينها فاذا ببئر ماء فذهبت وملأت المزادة منه وسقت الصبى منه وكان الله معها ومع الصبى حتى تربى ، وكان مسكنه فى برية فاران» (٩) فهذه أربع بشارات خالصة (١٠) بإسماعيل : نزلت اثنتان منها على إبراهيم ، واثنتان على هاجر. وفى التوراة أيضاً بشارات أخرى بإسماعيل وولده وأنهم أمة عظيمة جداً ، وأن نجوم السماء تحصى ولا يحصون ، وهذه البشارة إنما تمت بظهور محمد بن عبد الله وأمه .

فإن «بنى إسحق» كانوا لم يزالوا مطرودين مشردين خولاً للفراغة والقبط حتى أنقذهم الله بنبيه وكليمه موسى بن عمران ، وأرثهم أرض الشام فكانت كرسى مملكتهم ، ثم سلبهم ذلك وقطعهم فى الأرض أعماً مسلوباً عزهم وملكتهم ، قد أخذتهم سيوف السودان ، وعلتهم أعلاج الحمران حتى إذا ظهر النبى صلى الله عليه وسلم تمت تلك النبوات وظهرت تلك البشارات بعد دهر طويل وعلت بنو إسماعيل على من حولهم فهشموهم هشماً ، وطحنوهم طحناً ، وانتشروا فى آفاق الدنيا ، ومدت الأمم أيديهم إليهم بالذل والخضوع ، وعلوهم علو الثريا فيما بين الهند والحبشة والسوس الأقصى وبلاد الترك والصقالية والخزر ، وملكوا ما

(٩) النص فى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين الى الآية الحادية

والعشرين .

(١٠) يقصد المؤلف أن قوله «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . الخ» ، - ريب

لابراهيم . لانه لحظ أن «اثنى عشر رئيساً... الخ» نص مستقل بنفسه عن «وأما إسماعيل... الخ» والصحيح أن النص كله بشارة واحدة .

وتوجد نصوص أخرى لابراهيم مثل «باسحق يدعى لك نسل . وأبى الجارية أيضا

سأجعله أمة لانه نسلك» (تكوين ٢١ : ١٢-١٣) .

بين الخافقين وحيث ملتقى أمواج البحرين .
وظهر ذكر إبراهيم على ألسنة الأمم ، فليس صبي من بعد ظهور
النبي صلى الله عليه وسلم ولا امرأة ولا حر ولا عبد ولا ذكر ولا أنثى
إلا وهو يعرف إبراهيم وآل إبراهيم .

وأما « النصرانية » وإن كانت قد ظهرت فى أمم كثيرة جليلة ، فإنه
لم يكن لهم فى محل إسماعيل وأمه هاجر سلطان ظاهر ولا عز قاهر
البتة ، ولا صارت أيدي هذه الأمة فوق أيدي الجميع ولا امتدت إليهم
أيدي الأمم بالخضوع ، وكذلك سائر ما تقدم من البشارات التى تفيد
بمجموعها العلم القطعى بأن المراد بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه
وسلم وأمته .

فإنه لو لم يقع تأويلها بظهوره صلى الله عليه وسلم لبطلت تلك
النبوات ، ولهذا لما علم الكفار من أهل الكتاب أنه لا يمكن الإيمان
بالأنبياء المتقدمين إلا بالإيمان بالنبي الذى بشروا به قالوا : نحن فى
انتظاره ولم يجيء بعد . ولما علم بعض الغلاة فى كفره وتكذيبه منهم أن
هذا النبي فى ولد إسماعيل أنكروا أن يكون لإبراهيم ولد اسمه
إسماعيل (١١) ، وأن هذا لم يخلقه الله .

ولا يكثر على أمة البهت وإخوان القروء وقتلة الأنبياء مثل ذلك ،
كما لم يكثر على المثلثة عباد الصليب الذين سبوا رب العالمين أعظم
مسبة أن يطعنوا فى ديننا وينتقصوا نبينا صلى الله عليه وسلم .
ونحن نبين أنهم لا يمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولا نبوة ولا آية
ولا معجزة إلا بإقرارهم أن محمداً رسول الله ، وإلا فع تكذيبه لا يمكن
أن يثبت للمسيح شئ من ذلك البتة ..

(١١) لا يستطيع أحد أن ينكر أن لإبراهيم ولداً اسمه إسماعيل . لان النصوص
صرحة . وأما هم يدعون أن الله وعد أبراهيم فى إسماعيل بالملك دون النبوة .

فنقول : إذا بكفرت معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، فن أبن لكم أن تثبتوا لعيسى فضيلة أو معجزة ؟ . ومن نقل إليكم عنه آية أو معجزة ؟ فإنكم إنما تبعتم من بعده بنيف على مائتين وعشرات من السنين أخبرتم عن منام (١٢) رثى فأسرعتم إلى تصديقه ، وكان الأولى لمن كفر بالقرآن أن بكر وجود عيسى فى العالم لأنه لا يقبل قول اليهود فيه ، ولا سيا وهم أعظم أعدائه الذين رموه وأمه بالعظام ، فأخبار المسيح والصليب إنما شيوخكم فيها اليهود ، وهم فيما بينهم مختلفون فى أمره أعظم اختلاف ، وأنتم مختلفون معهم فى أمره .

فاليهود تزعم أنهم حين أخذه الرومان حبسوه فى الشجن أربعين يوماً ، فقالوا لهم : ما كان لكم أن تحبسوه أكثر من ثلاثة أيام ثم تقتلوه إلا أنه كان يعضده أحد قواد الروم ، لأنه كان يداخله فى صناعة الطب عندهم . وفى الأناجيل التى بأيديكم « أنه أخذ صبح يوم الجمعة وصلب فى الساعة التاسعة من اليوم بعينه » (١٣) فتى تتوافقون مع اليهود فى خبره ، واليهود مجمعون أنه لم يظهر له معجزة ولا بدت منه لهم آية غير أنه طار يوماً وقد هموا بأخذه فطار على أثره آخر منهم فعلاه فى طيرانه فسقط إلى الأرض بزعمهم .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم فى غير موضع ما يشهد أنه لا معجزة له ولا آية .

فن ذلك أن فيه منصوصاً « أن اليهود قالوا له يوماً ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله تعالى ؟ فقال أمر الله : أن تؤمنوا بمن بعثه ، فقالوا له : وما آيتك التى ترينا لنؤمن بك وأنت تعلم أن آبائنا قد أكلوا المن

(١٢) يقصد المنظر الذى رآه القيصر الرومانى قسطنطين . وهو صليب « من كوكب مكتوبا حوله « بهذا تغلب » ويقول « يوسابيوس القيصرى » أن قسطنطين رأى بعد النظر رؤيا فى نومه . وسيشير المؤلف الى المنظر فيما بعد .
(١٣) متى الأصحاح السابع والعشرون .

بالمفاوز؟ قال: إن كان أطعمكم موسى خبزاً فأنا أطعمكم خبزاً .
سماوياً» (١٤) ، يريد نعيم الآخرة فلو عرفوا له معجزة ما قالوا ذلك .
وفى الإنجيل الذى بأيديكم أن اليهود قالت له : «ما آيتك التى
نصدقك بها؟» ، قال : «اهدموا البيت أبنيه لكم فى ثلاثة-أيام» (١٥)
فلو كانت اليهود تعرف له آية لم تقل هذا ، ولو كان قد أظهر لهم معجزة
لذكرهم بها حينئذ .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم أيضاً : «أنهم جاعوا يسألونه آية
فقدفهم ، وقال : «جيل فاسق وشرير يطلب آية فلا تعطى له» (١٦) .
وفيه أيضاً أنهم كانوا يقولون له وهو على الخشبة بظنكم إن كنت
المسيح فأنزل نفسك فنؤمن بك يطلبون بذلك آية فلم يفعل» (١٧) .
فإذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن لم يتحقق لعيسى بن
مريم آية ولا فضيلة ، فإن أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت إليها
لاختلافكم فى شأنه أشد الاختلاف وعدم تيقنكم لجميع أمره .

(١٤) النص : «فقالوا له : ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال
لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله . فقالوا له : فأية آية تصنع لئرى ونؤمن
بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء
ليأكلوا .

فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل
أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم
... الخ» (يوحنا ٦ : ٢٩) .

يريد بالخبز الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ليفوزوا بالحياة الآخرة .

(١٥) الأصحاح الثانى من يوحنا الآية الثامنة عشرة وما بعدها .

(١٦) أنجيل متى الأصحاح السادس عشر «وجاء اليه الفريسيون والصدوقيون
ليجربوه فسألوه أن يرهم آية من السماء فأجاب ... جيل شرير فاسق يلتمس آية . ولا
تعطى له آية ... ثم تركهم ومضى» (متى ١٦ : ١-٤) .

(١٧) الأصحاح الخامس عشر من أنجيل مرقس .

وكذلك اجتمعت اليهود على أنه لم يدَّع شيئاً من الإلهية التي نسبتهم إليه أنه ادعاها، وكان أقصى مرادهم أن يدعى فيكون أبلغ في تسلطهم عليه، وقد ذكر السبب في استفاضة ذلك عنه وهو أن أحبارهم وعلماءهم لما مضى وبقي ذكره خافوا أن تصير عامتهم إليه إذ كان على سنن تقبله قلوب الذين لا غرض لهم (١٨)، فشنعوا عليه أموراً كثيرة، ونسبوا إليه دعوى الإلهية تزهداً للناس في أمره.

ثم إن اليهود عندهم من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم تيقنهم بشيء من أخباره.

فمنهم من يقول: إنه كان رجلاً منهم ويعرفون أباه وأمه (١٩) وينسبونه لزانية (٢٠)! وحاشاه وحاشا أمه الصديقة الطاهرة البتول التي لم يقرعها فحل قط قاتلهم الله أنى يؤفكون، ويسمون أباه الزانى باندرا الرومى، وأمه مريم الماشطة، ويزعمون أن زوجها يوسف (٢١) من سبط يهوذا وجد باندرا عندها على فراشها وشعر بذلك فهجرها وأنكر ابنها. ومن اليهود من رغب عن هذا القول وقال إنما أبوه يوسف من سبط

(١٨) لقد آمن عامة الشعب بأنه كان يدعو إلى اقتراب ملكوت السموات أى مجيء محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٩) «اليس هذا هو النجار ابن مريم. وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان؟ أو ليست أخواته ههنا عندنا؟» (مرقس ٦ : ٣).

(٢٠) «قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. ولكم الان تطلبون أن تقتلوني. وأنا أنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعته من الله. هذا لم يعمله إبراهيم. أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له: أننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد، وهو الله» (يوحنا ٨ : ٣٩-٤١).

(٢١) يزعم النصراني: أن يوسف خطيب مريم من سبط يهوذا. وهذا خطأ. فان مريم من سبط لاوى وكيف تخطب لاوىة لرجل من سبط يهوذا؟ أن الشريعة عند اليهود تحتم زواج البنت من سبطها لا من سبط آخر. ففي سفر العدد: «وكل بنت ورثت نصيباً من أسباط بنى اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها لكى يرث بنو اسرائيل كل

يهودا الذى. كان زوجاً لمريم، ويذكرون أن السبب فى استفاضة اسم الزنا عليه: أنه بينا هو يوماً مع معلمه يهشوع بن برخيا وسائر التلاميذ فى سفر فنزلوا موضعاً فجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ فى كرامتهم، فقال يهشوع ما أحسن هذه المرأة؟ يريد أفعالها، فقال عيسى — بزعمهم — لولا عور فى عينيها، فصاح يهشوع وقال له: يا ممزار — ترجمته: يا زنى — أتزنى بالنظر؟ وغضب منه غضباً شديداً ولما عاد إلى بيت المقدس حرم اسمه ولعنه فى أربعمئة قرن، فحينئذ لحق ببعض قواد الروم وداخله بصناعة الطب فقوى بذلك على اليهود وهم يومئذ فى ذمة قيصر (٢٢) طيباريوس، وجعل يخالف حكم التوراة (٢٣) ويستدرك عليها ويعرض عن بعضها إلى أن كان من أمره ما كان.

وطوائف من اليهود يقولون غير هذا، ويقولون إنه كان يلاعب الصبيان بالكرة ف وقعت منهم بين جماعة من مشايخ اليهود فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ، فقوى عيسى وتخطى رقابهم وأخذها، فقالوا له ما نظنك إلا زنيماً.

• واحد نصيب آبائه» (عدد ٣٦: ٨) والدليل على أن مريم لاوية قرابتها لاليصابات امرأة زكريا عليه السلام. واليصابات من نسل هرون عليه السلام. وهرون من نسل لاوى وحيث ثبت أن مريم قريبة لاليصابات يثبت أن مريم من نفس السبط الذى منه اليصابات. وحيث أن اليصابات من نسل هرون تكون مريم من نسل هرون. كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم: «ياأخت هرون» (مريم ٢٨) فى أنجيل لوقا هذان النصان: ١ — «كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا. وامراته من بنات هرون، وأسمها اليصابات» (لوقا ١: ٥) ٢ — «فقال مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ فأجاب الملاك... وهوذا اليصابات نسيبتك هى أيضاً حبلى بأبن فى شيخوختها. وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً» (لوقا ١: ٣٤-٣٦) انظر: الفصل فى الملل والاهواء والنحل للامام أبى حزم رحمه الله تعالى.

(٢٢) الأصحاح الثالث من انجيل لوقا.

(٢٣) المسيح لم يخالف حكم التوراة، بل أحكام العلماء التى دونت فيما بعد فى

التلمود.

ومن اختلاف اليهود فى أمره أنهم يسمون أباه بزعمهم الذى كان
خطب مريم يوسف الذى من سبط يهوذا النجار. وبعضهم يقول: إنما هو
يوسف الحداد.

والنصارى (٢٤) تزعم أنها كانت ذات بعل وإن زوجها يوسف بن
يعقوب، وبعضهم يقول يوسف بن هالى.
وهم يختلفون أيضا فى آبائهم وعددهم إلى إبراهيم فن مقل ومن
مكثر (٢٥).

فهذا ما عند اليهود وهم شيوخهم فى نقل الصلب وأمره. وإلا فن
المعلوم أنه لم يحضره أحد من النصارى. وإنما حضره اليهود وقالوا: قتلناه
وصلبناه وهم الذين قالوا فيه ما حكيناه عنهم فان صدقتموهم فى
الصلب فصدقوهم فى سائر ما ذكروه، وإن كذبتهم فى نقله عنه فما
الموجب لتصديقهم فى الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذى قامت
البراهين القطعية على صدقه أنهم ما قتلوه وما صلبوه، بل صانه الله وحماه
وحفظه، وكان أكرم على الله وأوجه عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم
واليهود؟.

وأما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمة أشد إختلافاً فى معبودها ونبيها
ودينها منكم، فلو سألت (٢٦) الرجل وامراته وابنته وأمه وأباه عن دينهم
لأجابتكم كل منهم بغير جواب الآخر، ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون

(٢٤) النصارى يقولون: أنها كانت مخطوبة. وأنها ولدت المسيح بدون زرع بشر. ثم
بعد ولادتها المسيح اختلفوا فالطوائف العظمى تقول ظلت مريم بدون رجل الى أن ماتت.
والبعض يقول: أنها تزوجت يوسف وأنجبت بنات أربع وولدين.

(٢٥) الذى نسب يوسف الى يعقوب هو متى فى الأصحاح الأول. والذى نسب
الى هالى هو لوقا فى الأصحاح الثالث. والمقل هو متى والمكثر هو لوقا.

(٢٦) أنظر رسالة الجاحظ فى الرد على النصارى — طبع المطبعة السلفية بمصر —
نشر: يوشع فنكل.

الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً . مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وعبادة الصليب ، وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبي ولا رسول (٢٧) ، وأنه إله فى الحقيقة ، وأنه هو خالق السموات والأرض والملائكة والنبیین ، وأنه هو الذى أرسل الرسل وأظهر على أيديهم المعجزات والآيات ، وأن للعالم إلهاً هو آب والد لم يزل ، وأن ابنه نزل من السماء وتجسم من روح القدس ومن مريم وصار هو وابنها الناسوتى إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً وخالقاً واحداً ورازقاً واحداً ، وحبلت به مريم وولدتها ، وأخذ وصلب وألم ومات ودفن ، وقام بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه .

قالوا والذى ولدتها مريم وعينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله ، فالقديم الأزلى خالق السموات والأرض هو الذى حبلت به مريم وأقام هناك تسعة أشهر ، وهو الذى ولد ورضع وفطم وأكل وشرب وتغوط وأخذ وصلب وشد بالحبال وسمرت يداه .
ثم اختلفوا : فقالت «اليعقوبية» - أتباع يعقوب البرادعى ولقب بذلك لأن لباسه كان من خرق برادع الدواب يرقع بعضها ببعض ويلبسها - إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين : «إحداها» .. طبيعة الناسوت ، «والأخرى» .. طبيعة اللاهوت ، وأن هاتين الطبيعتين تركبتا فصار إنساناً واحداً وجوهرأ واحداً وشخصاً واحداً ، فهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح ، وهو إله كله ، وإنسان كله ، وهو شخص

(٢٧) يقول النصارى : أن المسيح عيسى عليه السلام مع كونه الإله ، أو اله ، هو أيضاً : عبد صالح ونبي ورسول . وهذا مؤكد عندهم . ليطبقوا نبوءات التوراة عليه . نبوءة موسى «يقيم لك الرب الهك نبيا ... الخ» طبقوها زورا على المسيح ونبوءة أشعيا «هوذا عبدي الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى ، وضعت روحى عليه ، فيخرج الحق للأتم ... الخ» طبقوها على المسيح زورا .

واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين. وقالوا: إن مريم ولدت الله، وإن الله سبحانه قبض وصلب وسمر ومات ودفن ثم عاش بعد ذلك (٢٨).

وقالت «الملكية» - وهى الروم نسبة إلى دين الملك - لا إلى رجل يدعى ملكانيا هو صاحب مقالتهن كما يقوله بعض من لا علم له بذلك - إن الإبن الأزلى الذى هو الكلمة تجسدت من مريم تجسداً كاملاً كسائر أجساد الناس، وركبت فى ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس، وأنه صار إنساناً بالجسد والنفس الذين هما من جوهر الناس، ولها بجوهر اللاهوت كمثله أبهى لم يزل، وهو إنسان بجوهر الناس مثل إبراهيم وموسى وداود، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل، وصح له جوهر الناسوت الذى لبسه من مريم، وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان، ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته مشيئة مثل الآب، وله بناسوته مشيئة إبراهيم وداود.

وقالوا: إن مريم ولدت «المسيح» وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت.

وقالوا: إن الذى مات هو الذى ولدته مريم، وهو الذى وقع عليه الصلب والتسمير والصفع والربط بالحبال واللاهوت لم يمت ولم يألم ولم يدفن.

قالوا وهو إله تام بجوهر لاهوته، وإنسان تام بجوهر ناسوته، وله المشيئتان: مشيئة اللاهوت، ومشيئة الناسوت، فأتوا بمثل ما أتى به

(٢٨) فى الجزء الأول من تاريخ الأقباط أن يعقوب البرادعى أخذ يفحص آراء المبتدعين، ويرد عليها فاختلفت بفضله الاختلافات حول ماهية الأقانيم وعاد الجميع إلى الإيمان القويم الذى أعلنه البابا ديسقورس البطريك الاسكندرى. هكذا يقول النصارى الأرثوذكس. فذهبهم إذن أساسه مذهب يعقوب كما حكى المؤلف.

والى مذهبهم يقول الله تعالى: لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم.

اليعقوبية من أن مريم ولدت الإله إلا أنهم بزعمهم نزهوا الإله عن الموت . وإذا تدبرت قولهم وجدته فى الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه ، فاليعقوبية أطرد لكفرهم لفظاً ومعنى (٢٩) ..

وأما «النسطورية» فذهبوا إلى القول بأن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة ، وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة ، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصاناً ولا يمتزج بشيء ، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان ، فكان المسيح بذلك إلهاً وإنساناً ، فهو الإله بجوهر اللاهوت الذى لا يقبل الزيادة والنقصان ، وهو إنسان بجوهر الناسوت الذى يقبل الزيادة والنقصان .

وقالوا إن مريم ولدت المسيح بناسوته وإن اللاهوت لم يفارقه قط (٣٠) .

وكل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبد الله وهو لم يستنكف من ذلك ، ورغبت به عن عبودية الله وهو لم يرغب عنها بل أعلى منازل العبودية عبودية الله ، ومحمد وإبراهيم خير منه ، وأعلى منازلها تكميل مراتب العبودية . فالله رضى أن يكون له عبداً فلم ترض المثلثة بذلك .

وقالت «الآريوسية» منهم وهم أتباع آريوس : إن المسيح عبد الله

(٢٩) الملكانية نسبة الى دين ملوك الرومان كما حكى المؤلف . وهم لا يقولون بتجسد الاله الخالق فى شكل انسان هو يسوع المسيح كما يقول الأرثوذكس . بل يقولون باله مستقل عن الاله الخالق هو الذى تجسد فى شكل انسان هو يسوع المسيح . لأن مذهبهم يقول بتعدد الآلهة الى ثلاثة كما حكى القرآن عنهم «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة» والقتل والصلب على المذهبين وقع على الجسد (الناسوت) وليس على الروح (اللاهوت) .

(٣٠) مذهب نسطور: المسيح لا هو بالإله الكلى . ولا هو بالإنسان الكلى . بل إله وإنسان .

كسائر الأنبياء والرسل ، وهو مربوب مخلوق مصنوع (٣١) ، وكان النجاشي على هذا المذهب .

وإذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلتته شر قتلة ، وفعلوا به ما يفعل بن سب المسيح وشتمه أعظم سب .

والكل من تلك الفرق الثلاث عوامهم لا تفهم مقالة خواصهم على حقيقتها ، بل يقولون إن الله تخطى مريم كما يتخطى الرجل المرأة وأحبها فولدت لها ابناً ، ولا يعرفون تلك الهذيان التي وضعها خواصهم ، فهم يقولون : الذي تدندنون حوله نحن نعتقده بغير حاجة منا إلى معرفة الأقسام الثلاثة من الطبيعتين والمشيئتين ، وذلك للتحويل والتطويل ، وهم يصرحون بأن مريم والدة الإله ، والله أبوه ، وهو الابن ، فهذا : الزوج ، والزوجة ، والولد ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخُجِرُ الْجِبَالِ هَذَا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴾ (٣٢) .

فهذا أقوال أعداء المسيح من اليهود والغالين فيه من النصارى المثلثة عباد الصليب فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بما أزال الشبهة فى

(٣١) القديس آريوس ولد فى لىبيا القيروان بأفريقية سنة سبعين ومائتين من الميلاد ودخل فى شبابه المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية ، ثم رسمه البابا بطرس بطريرك الاسكندرية شماسا سنة سبع وثلاثمائة من الميلاد ، ثم قسا وواعظا ، وكان ذكيا فصيحاً وكان يقول : «أنه يؤمن بإله واحد متعال يفوق حد التصور، منطو على نفسه ، وهو من العلو بحيث لا صلة له بتاتا بأى شىء له نهاية ، وهو فريد لا شبيه له ، أزلى لا بداية له ، لا يموت ، صالح ، وهو وحده سبحانه ينفرد بهذه الصفات . وعندما شاءت إرادته أن يخلق عالما له نهاية احتاج إلى وسيط ، ولم يكن فى هذا الوسيط قوة خالقة . وإنما كان عاملا بسيطا علما للآب كيفية القيام بهذه المهمة . وعلى ذلك فإن القوة الخالقة من صفات الآب ، أعطاهما للإبن فأوجد هذا بها المخلوقات ... الخ» .

(٣٢) سورة مريم ٨٨-٩٥ .

أمره وكشف الغمة ، وبرأ المسيح وأمه من افتراء اليهود وبهتهم وكذبهم عليها ونزه رب العالمين وخالق المسيح وأمه مما افتراه عليه المثلثة عباد الصليب الذين سبوه أعظم السب .

فأنزل المسيح أخاه بالمنزلة التى أنزله الله بها ، وهى أشرف منازلها ، فآمن به وصدقه ، وشهد له بأنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول الطاهرة الصديقة سيدة نساء العالمين فى زمانها ، وقرر معجزات المسيح وآياته ، وأخبر عن ربه تعالى بتخليد من كفر بالمسيح فى النار وأن ربه تعالى أكرم عبده ورسوله ونزله وصانه أن ينال إخوان القردة منه ما زعمته النصارى أنهم نالوه منه ، بل رفعه إليه مؤيدا منصوراً لم يشكه أعداؤه بشوكة ، ولا نالته أيديهم بأذى ، فرفعه إليه أسكنه سماءه ، وسيعيده إلى الأرض ينتقم به من مسيح الضلال وأتباعه ، ثم يكسر به الصليب ، ويقتل به الخنزير ، ويعلى به الإسلام ، وينصر به ملة أخيه وأولى الناس به محمد عليها أفضل الصلاة والسلام .

فإذا وضع هذا القول فى المسيح فى كفة وقول عباد الصليب المثلثة فى كفة تبين لكل من له أدنى مسكة من عقل ما بينها من التفاوت ، وأن تفاوتها 'كتفاوت ما بينه وبين قول المغضوب عليهم فيه ، وبالله التوفيق .

فلولا محمد صلى الله عليه وسلم لما عرفنا أن المسيح ابن مريم الذى هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلاً ، فان هذا المسيح الذى أثبته اليهود من شرار خلق الله ليس بمسيح الهدى .

والمسيح الذى أثبته النصارى من أبطل الباطل لا يمكن وجوده فى عقل ولا فطرة ، ويستحيل أن يدخل فى الوجود أعظم استحالة ، ولو صح وجوده لبطلت أدلة العقول ولم يبق لأحد ثقة بمعقول أصلاً ، فإنَّ استحالة وجوده فوق استحالة جميع المحالات ، ولو صح ما يقولون لبطل

العالم واضمحلت السموات والأرض وعمت الملائكة والعرش والكرسى
ولم يكن بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار.

ولا يستحب من إطباق أمة الضلال الذين شهد الله أنهم أضل من
الأنعام على ذلك فكل باطل فى الوجود ينسب إلى أمة من الأمم فإنها
مطبقة عليه ، وقد تقدم ذكر إطباق الأمم العظيمة التى لا يحصيها إلا
الله على الكفر والضلال بعد معاينة الآيات البينات ، فلعباد الصليب أسوة
باخوانهم من أهل الشرك والضلال .

المجامع النصرانية

نذكر (١) استنادهم فى دينهم إلى أصحاب «المجامع» الذين كفر بعضهم بعضاً وتلقبهم أصول دينهم عنهم، ونحن نذكر الأمر كيف ابتدأ، وتوسط، وانتهى، حتى كأنك تراه عياناً..

كان الله سبحانه قد بشر بالمسيح على السنة أنبيائه (٢)، من لدن موسى إلى زمن داود ومن بعده من الأنبياء، وأكثر الأنبياء تبشيراً به

(١) عبارة الأصل: فصل فى ذكر.

(٢) يفهم المؤلف أن المسيح المنتظر هو عيسى بن مريم عليه السلام. وأن الانبياء بشروا به. والصحيح أن المسيح المنتظر الذى بشر به الانبياء هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب لغة بنى اسرائيل ولسانهم. وليس عن عيسى أية بشارة فى التوراة. وبيان هذا الامر: أن اليهود فى مدينة «بابل» لما رأوا قصر النبوة والكتاب على بنى اسحق دون بنى اسماعيل. رأوا أن يضعوا نبوءات التوراة عن النبى المنتظر من آل اسماعيل فى أسلوب يحتمل معنيين فى نظر العوام غير الدارسين. يحتمل نبيا من اسماعيل أو نبيا من اسرائيل بن اسحق. ورأوا أن يعطوا النبى المنتظر جميع الألقاب التى يعطونها لانبيائهم ليوهمو العامة ويلقوا فى روعهم أنه سيكون من نسل اسرائيل.

وقد فعلوا ذلك. ثم اختلفوا فقال السامريون: سيكون النبى المنتظر من نسل يوسف عليه السلام. وقال العبرانيون: سيكون النبى المنتظر من سبط يهوذا من نسل داود عليه السلام. ولما ظهر عيسى عليه السلام فى مملكة اليهود العبرانيين، وناذى بأن آخر نبى من بنى اسرائيل وسيأتى من بعده النبى المنتظر من آل اسماعيل. رأى اليهود أن يتظاهروا بالنصرانية. ويطبقوا نبوءات التوراة عن النبى المنتظر على عيسى عليه السلام. ليقتلوا باب النبوة فى وجه النبى الآتى من اسماعيل. وقد فعلوا ذلك.

ولهذا قد شاع أن التوراة بشرت بعيسى. مع أنها لم تبشر به. ولم تبشر به. وانه لمن

بنى اسرائيل؟

داود، وكانت اليهود تنتظره وتصدق به قبل مبعثه، فلما بعث كفروا به بغيا وحسدا وشردوه فى البلاد وطردهوه وحبسوه وهما يقتله مرارا إلى أن أجمعوا على القبض عليه وعلى قتله، فصانه الله وأنقذه من أيديهم، ولم يهنه بأيديهم، وشبه لهم بأنهم صلبوه ولم يصلبوه، كما قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ يَقُولُهُمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ ۖ بُهِنْنَاهَا عَظِيمًا ۖ﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۖ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٣﴾، وقد اختلف فى معنى وقوله: (ولكن شبه

لهم). فقيل المعنى: ولكن شبه للذين صلبوه بأن ألقى شبهه على غيره فصلبوا الشبه، وقيل المعنى: ولكن شبه للنصارى أى حصلت لهم الشبهة فى أمره وليس لهم علم بأنه ما قتل وما صلب، ولكن لما قال أعداؤه إنهم قتلوه وصلبوه واتفق رفعه من الأرض وقعت الشبهة فى أمره، وصدقهم النصارى فى صلبه لتمام الشناعة عليهم، وكيف ما كان فالمسيح صلوات الله وسلامه عليه لم يقتل ولم يصلب يقينا لا شك فيه. ثم تفرق (٤) الحواريون فى البلاد بعد رفعه على دينه ومنهجه يدعون

- ونحن المسلمين لا ننكر نبوة عيسى عليه السلام، ولا ننكر أنه «مسيح» كسائر المسحاء الأنبياء فى لغة بنى اسرائيل ولسانهم. ولكننا ننكر أن يكون هو «المسيح» الذى تشير اليه نبوءات التوراة والانجيل. وآيات القرآن الكريم التى تتحدث عن «المسيح عيسى بن مريم» تدل على أن «المسيح» لقب لعيسى. لا اسم. وهو لقب يطلق عند اليهود على: النبى أو الكاهن أو الملك. وقد أطلق على عيسى عليه السلام بحسب ما اشتهر به بين الناس، وعرف به.

(٣) سورة النساء ١٥٦-١٥٨.

(٤) من هنا يبدأ تاريخ النصارى. وما ذكره المؤلف متفق عليه عند مؤرخى النصارى. وهو ينقل عن تاريخ ابن البطريق من الجزء الثالث من «الجواب الصحيح» لابن تيمية رحمة الله تعالى عليه.

الأُمم إلى توحيد الله ودينه والإيمان بعبده ورسوله ومسيحه ، فدخل كثير من الناس فى دينه ما بين ظاهر مشهور ومختف مستور، وأعداء الله اليهود فى غاية الشدة والأذى لأصحابه وأتباعه ، ولقى تلاميذ المسيح أتباعه من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل وعذاب وتشريد وحبس وغير ذلك ، وكان اليهود فى زمن المسيح فى ذمة الروم وكانوا ملوكا عليهم ، وكتب نائب الملك ببيت المقدس إلى الملك يعلمه بأمر المسيح وتلاميذه وما يفعل من العجائب الكثيرة من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، فهم أن يؤمن به ويتبع دينه فلم يتابعه أصحابه ، ثم هلك وولى بعده ملك آخر فكان شديداً على تلامذة المسيح .

ثم مات وولى بعده آخر، وفى زمنه كتب « مرقس » إنجيله بالعبرانية ، وفى زمانه صار إلى الإسكندرية فدعا إلى الإيمان بالمسيح ، وهو أول شخص جعل بتركاً على الإسكندرية ، وصير معه اثنى عشر قسيساً على عدة نقباء بنى إسرائيل فى زمن موسى وأمرهم إذا مات البترك أن يختاروا من الإثنى عشر واحداً يجعلونه مكانه ، ويضع الإثنى عشر أيديهم على رأسه ويبركونه ، ثم يختارون رجلاً فاضلاً قسيساً يصيرونه تمام العدة .

ولم يزل أمر القوم كذلك إلى زمن قسطنطين . ثم انقطع هذا الرسم واصطلحوا على أن ينصبوا البترك من أى بلد كان من أولئك القسيسين أو من غيرهم ، ثم سموه « بابا » ومعناه أبو الآباء .

وخرج « مرقس » إلى (برقة) يدعو الناس إلى دين المسيح ثم ملك آخر فأهاج على أتباع المسيح الشر والبلاء وأخذهم بأنواع العذاب ، وفى عصره كتب « بطرس » رئيس الحواريين إنجيل مرقس عنه بالرومية ، ونسبه إلى مرقس .

وفى عصره كتب « لوقا » إنجيله بالرومية لرجل شريف من عظماء الروم ، وكتب له الابركسيس الذى فيه أخبار التلاميذ . وفى زمنه

صلب «بطرس»، وزعموا أن بطرس قال له إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكسا لثلا أكون مثل سيدى المسيح فإنه صلب قائما، وضرب عنق بولس بالسيف، وأقام بعد صعود المسيح اثنتين وعشرين سنة، وأقام «مرقس» بالإسكندرية وبرقة سبع سنين يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح، ثم قتل بالإسكندرية وأحرق جسده بالنار.

ثم استمرت القياصرة ملوك الروم على هذه السيرة إلى أن ملك مصر قيصر يسمى «طيّطس» فحرب بيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها وأصاب أهلها جوع عظيم، وقتل من كان بها من ذكر وأنثى حتى كانوا يشقون بطون الحبالى ويضربون بأطفالهن الصخور، وخرّب المدينة وأضرم فيها النار، وأحصى القتلى على يده فبلغوا ثلاثة آلاف ألف.

ثم ملك ملوك آخرون فكان منهم واحد شديد على اليهود جدا، فبلغوه أن النصارى يقولون إن المسيح ملكهم وأن ملكه يدوم إلى آخر الدهر فاشتد غضبه وأمر بقتل النصارى وأن لا يبقى فى ملكه نصرانى، وكان «يوحنا» صاحب الإنجيل هناك فهرب، ثم أمر الملك بإكرامهم وترك الاعتراض عليهم.

ثم ملك بعده آخر فأثار على النصارى بلاء عظيما، وقتل بترك انطاكية برومية، وقتل أسقف بيت المقدس وصلبه وله يومئذ مائة وعشرون سنة، وأمر باستعباد النصارى فاشتد عليهم البلاء إلى أن رحّمهم الروم وقال له وزراؤه: إن لهم ديناً وشرعة وإنه لا يحل استعبادهم فكف عنهم، وفى عصره كتب يوحنا إنجيله بالرومية، وفى ذلك العصر رجع اليهود إلى بيت المقدس، فلما كثروا وامتلاّت منهم المدينة عزموا على أن يملكوا منهم ملكا فبلغ الخبر قيصر فوجه إليهم جيشاً فقتل منهم من لا يحصى، ثم ملك بعده آخر وأخذ الناس بعبادة الأصنام، وقتل من النصارى خلقاً كثيراً، ثم ملك بعده ابنه وفى زمانه قتل اليهود ببيت

المقدس قتلاً ذريعاً وخرب بيت المقدس ، وهرب اليهود إلى مصر وإلى الشام والجبال والأغوار وتقطعوا في الأرض ، وأمر الملك إلا يسكن بالمدينة يهودى ، وأن يقتل اليهود ويستأصلوا ، وأن يسكن المدينة اليونانيون .

امتلاّت بيت المقدس من اليونانيين ، والنصارى ذمة تحت أيديهم ، فرأوهم يأتون إلى مزبلة هناك فيصلون فيها فنعوهم من ذلك ، وبنوا على المزبلة هيكلًا باسم « الزهرة » فلم يمكن النصارى بعد ذلك قربان ذلك الموضع ، ثم هلك هذا الملك وقام بعده آخر فنصب يهوداً أسقفاً على بيت المقدس ، قال ابن البطريق : « فن يعقوب أسقف بيت المقدس الأول إلى يهوذا أسقفه هذا كانت الأساقفة الذين على بيت المقدس كلهم مختونون ، ثم ولى بعده آخر وأثار على النصارى بلاء شديداً وحرباً طويلاً ووقع فى أيامه قحط شديد كاد الناس أن يهلكوا فسألوا النصارى أن يستهلوا إلى إلههم فدعوا وابتهلوا إلى الله فطروا وارتفع عنهم القحط والوباء » . قال ابن البطريق : « وفى زمانه كتب بترك الإسكندرية إلى أسقف بيت المقدس وبترك انطاكية وبترك رومية فى كتاب فصح النصارى وصومهم وكيف يستخرج من فصح اليهود ، فوضعوا فيها كتباً على ما هى اليوم » ، قال : « وذلك أن النصارى كانوا بعد صعود المسيح إذا عيدوا عيد الغطاس من الغد يصومون أربعين يوماً ويفطرون كما فعل المسيح ، لأنه لما اعتمد بالأردن خرج إلى البرية فأقام بها أربعين يوماً ، وكان النصارى إذا أفصح اليهود عيدوا هم الفصح ، فوضع هؤلاء البتاركة حساباً للفصح ليكون فطرهم يوم الفصح ، وكان المسيح يُعَيّد مع اليهود فى عيدهم » .

واستمر على ذلك أصحابه إلى أن ابتدعوا تغيير الصوم فلم يصوموا عقيب الغطاس بل نقلوا الصوم إلى وقت لا يكون عيدهم مع اليهود . ثم مات ذلك الملك وقام بعده آخر ، وفى زمنه كان « جالينوس »

وفى زمنه ظهرت الفرس وغلبت على بابل وآمد وفارس . وتملك ازدشير ابن بابك فى (اصطخر) وهو أول ملك ملك على فارس فى المدة الثانية ، ثم مات قيصر وقام بعده آخر ، ثم آخر وكان شديداً على النصارى عذبهم عذاباً عظيماً وقتل خلقاً كثيراً منهم ، وقتل كل عالم فيهم ، ثم قتل من كان بمصر والإسكندرية من النصارى ، وهدم الكنائس ، وبنى بالإسكندرية هيكلًا وسماه هيكل «الآلهة» ثم قام بعده قيصر آخر ، ثم آخر وكانت النصارى فى زمنه فى هدوء وسلامة ، وكانت أمه تحب النصارى .

ثم قام بعده آخر فآثار على النصارى بلاء عظيماً وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأخذ الناس بعبادة الأصنام ، وقتل من الأساقفة خلقاً كثيراً ، وقتل بترك أنطاكية فلما سمع بترك بيت المقدس بقتله هرب وترك الكرسي ثم هلك ، وقام بعده آخر ، ثم آخر .

وفى أيام هذا ظهر «مانى» الكذاب وزعم أنه نبي ، وكان كثير الحيل والمخاريق ، فأخذه بهرام ملك الفرس فشقه نصفين ، وأخذ من أتباعه مائتى رجل فغرس رؤوسهم فى الطين منكسين حتى ماتوا .

ثم قام من بعده «فيلبس» فأمن بالمسيح فوثب عليه بعض قواده فقتله ، ثم قام بعده «دانقيوس» ويسمى «دقيانوس» فلقى النصارى منه بلاء عظيماً وقتل منهم ما لا يحصى ، وقتل بترك رومية ، وبنى هيكلًا عظيمًا وجعل فيه الأصنام ، وأمر أن يسجد لها ويذبح لها ومن لم يفعل قتل ، فقتل خلقاً كثيراً من النصارى وصلبوا على الهيكل ، واتخذ من أولاد عظماء المدينة سبعة غلمان فجعلهم خاصته وقدمهم على جميع من عنده ، وكانوا لا يسجدون للأصنام فأعلم الملك بخبرهم فحبسهم ثم أطلقهم ، وخرج إلى مخرج له فأخذ الفتية كل ما لهم فتصدقوا به ، ثم خرجوا إلى جبل فيه كهف كبير فاختموا فيه وصب الله عليهم النعاس فناموا كالأموات ، وأمر الملك أن يبنى عليهم باب الكهف ليوتوا ، فأخذ

قائد من قواده صفيحة من نحاس فكتب فيها أسماءهم وقصتهم مع دقيانوس وصيرها فى صندوق من نحاس ودفنه داخل الكهف وسده. ثم مات الملك (٥).

ثم قام بعده قيصر آخر. وفى زمنه جعل فى انطاكية بتركيا يسمى «بولس الشمشاطى» (٦) وهو أول من ابتدع فى شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مربوب، لا يختلف فيه اثنان منهم، فقال بولس هذا— وهو أول من أفسد دين النصارى— إن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنسانا كواحد منا فى جوهره، وأن ابتداء الإبن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الانسى صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشية،

(٥) هم «أصحاب الكهف» الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم. ويقال أنهم كانوا فى عصر دسيوس. فى مدينة «أفسوس».

(٦) فى تاريخ الاقباط ج ١ ص ١٤٨ عن «بولس السيمشاطى» ما يلى :
«كان بولس بطريركا على الكرسي الانطاكى، وقد اشتهر بالسيمشاطى نسبة الى مسقط رأسه «سيمساط» وهى مدينة واقعة بين النهرين. وقد زعم: أن ابن الله لم يكن من الازل، بل ولد انسانا حلت فيه كلمة الله وحكمته عندما ولد من العذراء. وأن هذه الحكمة هى التى مكنته من أن يعلم ويعمل العجائب قد فارقت حين أمسكه اليهود ليصلبوه. وبسبب هذا الذى حدث من اتحاد القوة الالهية بالانسان. يسوغ القول: أن المسيح هو الله. ولكن مجازا لا حقيقة. وقد أدى هذا القول بالسيمشاطى لأن يزعم أنه كان فى المسيح أفنومان وابنان لله أحدهما بالطبيعة، والآخر بالتبنى.

وبذلك شايع «سابليوس» فى أنكار الثالوث الاقدس، بقوله: أنه يوجد اله واحد، هو الذى تدعوه الكتب المقدسة بالآب. وأن كلمته وحكمته ليست أفنوما، بل أنها فى الكيان الالهى بمقام الفهم فى العقل الانسانى.

وحين بلغت البابا «ديوتيسوس» الاسكندرى. أنباء هذا الهرطوقى بعث اليه رسائل عديدة يبين له فيها ضلاله، كما عقد بسببه المجمع فى «أنطاكية» عدة مرات. وقد أنتهى الامر بخلعه من بطريركية الكرسي الانطاكى وتحريم بدعته «أ. ه.

ولذلك سمى ابن الله . وقال إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد
قال سعيد بن البطريق: « وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في
مدينة انطاكية ونظروا في مقالة «بولس» فأوجبوا عليه اللعن فلعنوه
ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا ..

ثم قام قيصر آخر فكانت النصارى في زمنه يصلون في المطامير
والبيوت فزعا من الروم، ولم يكن بترك الإسكندرية يظهر خوفاً أن
يقتل، فقام (بارون) بتركها فلم يزل يدارى الروم حتى بنى
بالإسكندرية كنيسة، ثم قام قياصرة آخرون منهم اثنان تملكا على الروم
إحدى وعشرين سنة فأثارا على النصارى بلاء عظيماً وعذاباً أليماً وشدة
تجل عن الوصف من القتل والعذاب واستباحة الحرم والأموال وقتل
ألوف مؤلفة من النصارى، وعذبوا «مار جرجس» (٧) أصناف العذاب
ثم قتلوه، وفي زمنها ضربت عنق «بطرس» بترك الإسكندرية، وكان
له تلميذان، وكان في زمنه «آريوس» يقول: «إن الآب وحده الله
الفرد الصمد والإبن مخلوق مصنوع وقد كان الآب إذ لم يكن الإبن»،
فقال بطرس لتلميذه: «إن المسيح لعن آريوس فاحذروا أن تقبلوا قوله،
فانى رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت ياسيدى! من شق
ثوبك؟ فقال لى: «آريوس». فاحذروا أن تقبلوه أو يدخل معكم
الكنيسة ..

وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير أحد تلميذه بتركاً على
الإسكندرية فأقام ستة أشهر ومات، ولما جرى على آريوس ما جرى
أظهر أنه قد رجع عن مقالته فقبله هذا البترك وأدخله الكنيسة وجعله
قسيساً، ثم قام قيصر آخر فجعل يتطلب النصارى ويقتلهم حتى صب
الله عليه النعمة فهلك شر هلكة .

(٧) كلمة «مار» معناها: «قديس» ومار جرجس هو: «القديس جاورجيوس» .

ثم قام بعده قيصران : (أحدهما) .. ملك الشام وأرض الروم وبعض الشرق ، (والآخر) .. رومية وما جاورها ، وكانا كالسباع الضارية على النصراني فعلا بهم من القتل والسبي والجلاء ما لم يفعله بهم ملك قبلهما ، وملك معها « قسطنطين » أبو قسطنطين ، وكان ديناً يبغيض الأصنام محباً للنصارى ، فخرج إلى ناحية الجزيرة والرها ، فنزل في قرية من قرى الرها فرأى امرأة جميلة يقال لها « هيلانة » وكانت قد تنصرت على يدى أسقف « الرها » وتعلمت قراءة الكتب فخطبها قسطنطين من أبيها فزوجه إياها ، فحبلت منه وولدت قسطنطين فتربى بالرها ، وتعلم حكمة اليونان ، وكان جميل الوجه قليل الشر محباً للحكمة .

وكان « مكسنتيوس »^(٨) ملك الروم حينئذ رجلاً فاجراً شديداً البأس مبغضاً للنصارى جداً ، كثير القتل فيهم ، محباً للنساء ، لم يترك للنصارى بنتاً جميلة إلا أفسدها وكذلك أصحابه ، وكان النصراني في جهد جهيد معه ، فبلغه خبر قسطنطين وأنه غلام هاد قليل الشر كثير العلم ، وأخبره المنجمون والكهنة أنه سيملك ملكاً عظيماً فهم بقتله فهرب قسطنطين من الرها ، ووصل إلى أبيه فسلم إليه الملك ، ثم مات أبوه ، وصب الله على « مكسنتيوس » أنواعاً من البلاء حتى تعجب الناس مما ناله ورحمه أعداؤه مما حل به ، فرجع إلى نفسه وقال لعل هذا بسبب ظلم النصراني فكتب إلى جميع عماله أن يطلقوا النصراني من الحبوس ، وأن يكرمهم ويسألوهم أن يدعوا له في صلواتهم ، فوهب الله له العافية ورجع إلى أفضل ما كان عليه من الصحة والقوة .

فلما صح وقوى رجع إلى شر مما كان عليه ، وكتب إلى عماله أن يقتلوا النصراني ولا يدعوا في مملكته نصرانياً ولا يسكنوا له مدينة ولا

(٨) فى الأصل : عليا نوس . والصحيح نقلا عن يوسابيوس القيصري فى كتابه « حياة قسطنطين العظيم » مكسنتيوس .

قرية، فكان القتلى يحملون على العجل ويرمى بهم فى البحر والصحارى. وأما «قيصر الآخر» الذى كان معه فكان شديداً على النصارى، واستبعد من كان برومية من النصارى، ونهب أموالهم، وقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم.

فلما سمع أهل رومية بقسطنطين وأنه مبغض للشر محب للخير وأن أهل مملكته معه فى هدوء وسلامة كتب رؤسائهم إليه يسألونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم، فلما قرأ كتبهم اغتم غمّاً شديداً وبقي متحيراً لا يدرى كيف يصنع».

قال سعيد بن الطريق: «فظهر له على ما يزعم النصارى نصف النهار فى الماء «صليب» من كوكب مكتوب حوله: «بهذا تغلب..»^(٩)، فقال لأصحابه رأيتم ما رأيتم؟ قالوا: نعم، فأمن حينئذ بالنصرانية، فتجهز لمحاربة قيصر المذكور، وصنع صليباً كبيراً من ذهب وصيره على رأس الجند، وخرج بأصحابه فأعطى النصر على قيصر فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وهرب الملك ومن بقى من أصحابه، فخرج أهل رومية إلى قسطنطين بالأكليل الذهب وبكل أنواع اللهو واللعب فتلقوه وفرحوا به فرحاً عظيماً، فلما دخل المدينة أكرم النصارى وردهم إلى بلادهم بعد النفى والتشريد، وأقام أهل رومية بضعة أيام يُعَيِّدون للملك وللصليب.

فلما سمع «مكسنتيوس» جمع جموعه وتجهز للقتال مع قسطنطين، فلما وقعت العين فى العين انهزموا وأخذتهم السيوف، وأفلت «مكسنتيوس»

(٩) يقول يوسابيوس القيصري فى كتابه «حياة قسطنطين العظيم» ترجمة القمص مرقس داود - نشر مكتبته المحبة بمصر سنة ١٩٧٥: «أن الله أظهر لقسطنطين وهو يصلى هيئة صليب من نور فى السماء فى منتصف النهار، وكتبت تحته عبارة تنصحه بأنه بهذا يغلب. ثم ظهر له فى نومه مسيح الله وأمره بأن يستعمل فى حروبه علماً مصنوعاً على شكل صليب» (ص ٢٤).

فلم يزل من قرية إلى قرية حتى وصل إلى بلده، فجمع السحرة والكهنة والعرافين الذين كان يجهم ويقبل منهم فضرب أعناقهم لثلاثا يقعوا في يد قسطنطين، وأمر ببناء الكنائس، وأقام في كل بلد من بيت المال الخراج فيما تعمل به أبنية الكنائس، وقام بدين النصرانية حتى ضرب بجرانه في زمانه .

فلما تم له خمس عشر سنة من ملكه حاج النصارى في أمر المسيح واضطربوا، فأمر بالجمع في مدينة «نيقية» وهي التي رتبت فيها «الأمانة» بعد هذا الجمع، — كما سيأتى — فأراد آريوس أن يدخل معهم فنهه بترك الإسكندرية، وقال أن بطرسا قال لهم: إن الله لعن آريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة، وكان على مدينة «أسيوط» من عمل مصر أسقف يقول بقول آريوس فلعهه أيضاً، وكان بالإسكندرية هيكل عظيم على اسم «زحل» وكان فيه صنم من نحاس يسمى (ميكائيل)، وكان أهل مصر والإسكندرية في اثني عشر يوما من شهر هاتور وهو تشرين الثاني يُعَيِّدون لذلك الصنم عيدا عظيما ويذبحون له الذبائح الكثيرة .

فلما ظهرت النصرانية بالإسكندرية أراد بتركها أن يكسر الصنم ويبطل الذبائح له، فامتنع عليه أهلها، فاحتال عليهم بحيلة، وقال: لو جعلتم هذا العيد لميكائيل ملاك الله لكان أولى. فإن هذا الصنم لا ينفع ولا يضر فأجابوه إلى ذلك، فكسر الصنم وجعل منه صليبا وسمى الهيكل «كنيسة ميكائيل» فلما منع بترك الإسكندرية آريوس من دخول الكنيسة ولعهه خرج آريوس مستعديا عليه ومعه أسقفان فاستغاثوا إلى قسطنطين، وقال آريوس: إنه تعدى على وأخرجنى من الكنيسة ظلما، وسأل الملك أن يشخص بترك الإسكندرية يناظره قدام الملك، فوجه قسطنطين برسول إلى الإسكندرية فأشخص البترك وجمع بينه وبين آريوس ليناظره، فقال قسطنطين لآريوس اشرح «مقالتك» قال

آريوس : «أقول إن الآب كان إذ لم يكن الابن، ثم إنه أحدث الابن فكان كلمة له إلا أنه محدث مخلوق، ثم فوض الأمر إلى ذلك الابن المسمى كلمة، فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما، كما قال في إنجيله إذ يقول «وهب لى سلطاناً على السماء والأرض» فكان هو الخالق لها بما أعطى من ذلك، ثم إن الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً واحداً، فالمسيح الآن معنيان كلمة وجسد إلا أنها جميعاً مخلوقان» .

فأجابه عند ذلك بترك الإسكندرية، وقال : «تخبرنا الآن : أيا أوجب علينا عندك عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا؟» قال آريوس : «بل عبادة من خلقنا» فقال له البترك : «فإن كان خالقنا الابن كما وصفت. وكان الابن مخلوقاً فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الآب الذى ليس بخالق، بل تصير عبادة الآب الذى خلق الابن كفراً وعبادة الابن المخلوق إيماناً، وذلك من أقبح الأقاويل» ..

فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البترك، وشنع عندهم مقالة آريوس، ودارت بينها أيضاً مسائل كثيرة، فأمر قسطنطين البترك أن يكفر آريوس وكل من قال بمقالته، فقال له : بل يوجه الملك بشخص للبتاركة والأساقفة حتى يكون لنا مجمع ونصنع فيه قضية ويكفر آريوس، ويشرح الدين ويوضحه للناس .

فبعث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان فجمع البتاركة والأساقفة فاجتمع فى مدينة نيقية بعد سنة وشهرين، ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً، فكانوا مختلفى الآراء، مختلفى الأديان .

فمنهم من يقول : المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم «المريمانية» . ومنهم من يقول : المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم ينقص من الأولى لإيقاد الثانية منها . ومنهم من كان يقول : لم تحبل مريم لتسعة أشهر وإنما مر نور فى

بطن مريم كما يمر الماء فى الميزاب ، لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهذه «مقالة الباريليدس وأشياعه» .

ومنها من كان يقول : إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره ، وإن ابتداء الإبن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجواهر الإنسانية صحبته النعمة الإلهية فحلت منه بالمحبة والمشية فلذلك سمى ابن الله ، ويقولون : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس وهذه «مقالة بولس وأشياعه» .

ومنها من كان يقول : ثلاثة آلهة لم تنزل صالح وطالح وعدل بينها هذه «مقالة مرقيون وأشياعه» .

ومنها من يقول : ربنا هو المسيح ، وهى مقالة «ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً» .

قال ابن البطريق : «ولما سمع قسطنطين الملك مقالتهم عجب من ذلك وأخلى لهم داراً وتقدم لهم بالإكرام والضيافة ، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه ، فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على دين واحد ورأى واحد .

وناظروا بقية الأساقفة المختلفين ففلجوا عليهم فى المناظرة ، وكان باقى الأساقفة مختلفى الآراء والأديان فصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً عظيماً وجلس فى وسطه وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفع ذلك إليهم ، وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على المملكة فاصنعوا ما بدا لكم وما ينبغى لكم أن تضيعوا ما فيه قوام الدين وصلاح الأمة ، فباركوا على الملك وقلدوه سيفه ، وقالوا له : اظهر دين النصرانية وذب عنه ، ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع وفيها ما يصلح أن يعمل به الأساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها .

وكان رئيس القوم والمجمع والمقدم فيه بترك الإسكندرية وبترك إنطاكية وأسقف بيت المقدس .

ووجه بترك رومية من عنده رجلين فاتفق الكل على لعن آريوس وأصحابه ولعنوه وكل من قال بمقالته ، ووضعوا « الأمانة » وقالوا : إن الإبن مولود من الآب قبل كون الخلائق وإن الإبن من طبيعة الآب غير مخلوق ، واتفقوا على أن يكون فصح النصارى يوم الأحد ليكون بعد فصح اليهود ، والا يكون فصح اليهود مع فصحهم فى يوم واحد ، ومنعوا أن يكون للأسقف زوجة ، وذلك أن الأساقفة منذ وقت الخواريين إلى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء ، لأنهم كانوا إذا صيروا واحداً أسقفاً وكانت له زوجة ثبتت معه ولم تنتح عنه ما خلا البتاركة فإنهم لم يكن لهم نساء ، ولا كانوا أيضاً يصيرون أحداً له زوجة بتركا .

قال : وانصرفوا مكرمين محظوظين ، وذلك فى سبع عشرة سنة من ملك قسطنطين الملك ، ومكث بعد ذلك ثلاث سنين :

(إحداها) .. كسر الأصنام وقتل من يعبدها .

(والثانية) .. أمر الايـثبت فى الديوان إلا أولاد النصارى ،

ويكونون هم الأمراء والقواد .

(والثالثة) .. أن يقيم للناس جمعة الفصح والجمعة التى بعدها لا

يعلمون فيها عملاً ولا يكون فيها حرب ، وتقدم قسطنطين إلى أسقف بيت المقدس أن يطلب موضع المقبرة والصليب ويبنى الكنائس ، ويبدأ ببناء القيامة ، فقالت هيلانة أمه : إنى نذرت أن أسير إلى بيت المقدس وأطلب المواضع المقدسة وأبنيها ، فدفع إليها الملك أموالاً جزيلة ، وسارت مع أسقف بيت المقدس ، فبنت كنيسة القيامة فى موضع الصليب وكنيسة قسطنطين .

ثم اجتمعوا بعد هذا مجعاً عظيماً ببيت المقدس ، وكان معهم رجل دسه بترك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بترك الإسكندرية ، وكان هذا

الرجل لما رجع إلى الملك أظهر أنه مخالف لآريوس ، وكان يرى رأيه ويقول بمقالاته ، فقام الرجل وقال : إن «آريوس» لم يقل إن المسيح خلق الإنسان ولكن قال : «به خلقت الأشياء لأنه كلمة الله التي بها خلقت السموات والأرض ، وإنما خلق الله الأشياء بكلمته ، ولم تخلق الأشياء كلمته كما قال المسيح في الإنجيل « كل بيده كان ومن دونه لم يكن شيء » ، وقال : «به كانت الحياة والحياة نور البشر» ، وقال : «العالم به يكون» (١٠) فأخبر أن الأشياء به تكونت .

قال ابن البطريق : «فهذه كانت مقالة آريوس ولكن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً تعدوا عليه وحرموه ظلماً وعدواناً ، فرد عليه بترك الإسكندرية وقال : «أما آريوس فلم تكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولا ظلموه لأنه إنما قال : الإبن خالق الأشياء دون الآب ، وإذا كانت الأشياء إنما خلقت بالإبن دون أن يكون الآب لها خالقاً فقد أعطى أنه ما خلق منها شيئاً ، وفي ذلك تكذيب قوله : «الآب يخلق ، وأنا أخلق» (١١) ، وقال : «إن أنا لم أعمل عمل أبى فلا تصدقونى» (١٢) ، وقال : «كما أن الآب يحيى من يشاء ويميت ، كذلك الإبن يحيى من يشاء ويميت» (١٣) ، قالوا : فدل على أنه يحيى ويخلق ، وفى هذا تكذيب لمن زعم أنه ليس بخالق وإنما خلقت الأشياء به دون أن يكون خالقاً .

وأما قولك : إن الأشياء كونت به فإننا لما قلنا : لا شك أن المسيح حى فعال وكان قد دل بقوله «إنى أفعل الخلق والحياة» كان قولك :

(١٠) النص فى أول أنجيل يوحنا .

(١١) الأصحاح الخامس من يوحنا الآية السابعة عشرة .

(١٢) الآية ٣٦ الأصحاح ٥ أنجيل يوحنا .

(١٣) الآية الحادية والعشرون من الأصحاح الخامس من يوحنا .

«به كونت الأشياء» إنما هو راجع فى المعنى إلى أنه كونها وكانت به مكونة، ولو لم يكن ذلك لتناقض القولان» .

قال : «وأما قول من قال من أصحاب آريوس : إن الآب يريد الشئ فيكونه الابن والإرادة للآب والتكوين للابن.. فان ذلك يفسد أيضاً إذا كان الابن عنده مخلوقا، فقد صار حظ المخلوق فى الخلق أوفى من حظ الخالق فيه، ذلك أن هذا أراد وفعل. وذلك أراد ولم يفعل فهذا أوفر حظا فى فعله من ذلك، ولا بد لهذا أن يكون فى فعله لما يريد ذلك بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه، ويكون حكمه كحكمه فى الخير والاختيار، فإن كان مجبوراً فلا شئ له فى الفعل، وإن كان مختاراً فجائز أن يطاع وجائز أن يعصى، وجائز أن يثاب وجائز أن يعاقب. وهذا أشنع فى القول» .

ورد عليه أيضاً وقال : «إن كان الخالق إنما خلق خلقه بمخلوق والمخلوق غير الخالق بلا شك فقد زعمتم أن الخالق يفعل بغيره والفاعل بغيره محتاج إلى متبهم ليفعل به إذ كان لا يتم له الفعل إلا به، والمحتاج إلى غيره منقوص والخالق متعال عن هذا كله» .

قال : «فلما دحض بترك الإسكندرية حجج أولئك المخالفين وظهر لمن حضر بطلان قولهم، وتحيروا وخجلوا وثبوا على بترك الإسكندرية فضربوه حتى كاد يموت، فخلصه من أيديهم ابن أخت قسطنطين، وهرب بترك الإسكندرية وصار إلى بيت المقدس من غير حضور أحد من الأساقفة، ثم أصلح دهن الميرون وقدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون، وسار إلى الملك فأعلمه الخبر فصرفه إلى الإسكندرية» .

قال ابن البطريق : «وأمر الملك الا يسكن يهودى ببيت المقدس ولا يجوز بها ومن لم يتنصر قتل، فظهر دين النصرانية وتنصر من اليهود خلق» .

فقيل للملك : إن اليهود يتنصرون من خوف القتل وهم على دينهم،

فقال : كيف لنا أن نعلم ذلك منهم ؟ فقال بولس البتريك : إن الخنزير فى التوراة حرام واليهود لا يأكلون لحم الخنزير ، فأمر أن تذبح الخنازير ويطبخ لحومها ويطعم منها فمن لم يأكل منه علم أنه مقيم على دين اليهودية ، فقال الملك إذا كان الخنزير فى التوراة حراماً فكيف يحل لنا أن نأكله ونطعمه الناس ؟

فقال له بولس : إن سيدنا المسيح قد أبطل كل ما فى التوراة ، وجاء بنواميس آخر وبتوراة جديدة وهو الإنجيل ، وفى إنجيله « إن كل ما يدخل البطن فليس بحرام ولا نجس ، وإنما ينجس الإنسان ما يخرج من فيه » (١٤) .

وقال بولس : « إن بطرس رئيس الحوارين بينما هو يصلى فى ست ساعات من النهار وقع عليه سبات فنظر إلى السماء قد تفتحت ، وإذا زاد قد نزل من السماء حتى بلغ الأرض ، وفيه كل ذى أربع قوائم على الأرض من السباع والدواب وغير ذلك من طير السماء ، وسمع صوتاً يقول له : يا بطرس قم فاذبح وكل ، فقال بطرس : يا رب ما أكلت شيئاً نجساً قط ولا دنساً قط ، فجاء صوت ثان : كل ما طهره الله فليس بنجس ، وفى نسخة أخرى : ما طهره الله فلا تنجسه أنت ، ثم جاءه الصوت بهذا ثلاث مرات ، ثم إن الزاد ارتفع إلى السماء .

« فتعجب بطرس وتخير فيما بينه وبين نفسه » (١٥) .

فأمر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتقطع -ضغاراً- وتصير على أبواب الكنائس فى كل مملكته يوم أحد الفصح ، وكل من خرج من

(١٤) متى ١٥ : ١٦ وإذا كان النص صحيحاً بحسب ظاهره فلماذا هو محرم عند النصارى «نجاسات الأصنام والزنا والخنوق والدم ؟» (أعمال ١٥ : ٢٠) أن لم يكن قصد المسيح الحث على طهارة القلب فأن التناقض واضح وظاهر .

(١٥) هذه القصة فى الأصحاح الحادى عشر من سفر أعمال الرسل .

الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنازير، فمن لم يأكل منه يقتل، فقتل لأجل ذلك خلق كثير.

ثم هلك قسطنطين وقام بعده أكبر أولاده واسمه «قسطنطين» وفي أيامه اجتمع أصحاب آريوس ومن قال بمقالته إليه فحسنوا لهم دينهم ومقاتلهم، وقالوا: إن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد أخطأوا وحادوا عن الحق في قولهم إن الابن متفق مع الآب في الجوهر، فأمر الا يقال هذا فإنه خطأ، فعزم الملك على فعله، فكتب إليه أسقف بيت المقدس الا يقبل قول أصحاب آريوس فإنهم حائدون عن الحق وكفار، وقد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولعنوا كل من يقول بمقاتلهم فقبل قوله.

قال ابن البطريق: «وفي ذلك الوقت أعلنت مقالة آريوس على قسطنطينية وإنطاكية والإسكندرية، وفي ثانی سنة من ملك قسطنطين هذا صار على أنطاكية بترك آريوسى ثم بعده آخر مثله».

قال: «وأما أهل مصر والإسكندرية وكان أكثرهم آريوسيين ومانيين (١٦) فغلبوا على كنائس مصر فأخذوها، ووثبوا على بترك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واستخفي».

(١٦) ولد مائى سنة ٢٣٩ م وأشاع بين الناس منذ سنة ٢٦٨ م أن المسيح ترك عمل الخلاص ناقصاً وأنه هو الذى سيتمه لانه هو «البارقليط» ومذهبه: أن الكون يحكمه الهان، هما اله النور، واله الظلام. وقد تمكن اله الظلام من مزج المادة المظلمة بقبس من النور، فكان هذا هو الانسان المكون من جسد مأخوذ من مادة الظلام، ومن روح مأخوذة من فيض النور. وقد أراد اله النور أن يخلص عنصر النور فى الانسان من عنصر الظلام فخلق من نفسه كائنين عظيمين هما المسيح والروح القدس. وأرسل المسيح ليخلص أرواح الناس ويعيدها الى وطنها السماوى. وقد ظهر المسيح بين اليهود لابساً صورة جسد انسانى وليس جسداً حقيقياً. وأعلن لهم السبيل الوحيد لخلاص النفوس من أجسادها، وبرهن على لاهوته بعجائبه. ولكن اله الظلمة أغوى اليهود فصلبوه.

ولما لم يكن له جسد، لم تؤثر فيه الآلام. وقد عاد المسيح الى عالم النور بعد أن

ثم ذكر جماعة من البتاركة والأساقفة من طوائف النصارى وما جرى لهم مع بعضهم بعضاً، وما تعصبت به كل طائفة لبتاركها حتى قتل بعضهم بعضاً واختلف النصارى أشد الاختلاف وكثرت مقالاتهم واجتمعوا عدة مجامع كل مجمع يلعن فيه بعضهم بعضاً .

ونحن نذكر بعض مجامعهم بعد هذين المجمعين :

فكان لهم مجمع ثالث بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الأول بنيقية فاجتمع الوزراء والقواد إلى الملك، وقالوا: إن مقالة الناس قد فسدت وغلبت عليهم مقالة آريوس ومكدونيوس (١٧)، فاكتب إلى جميع الأساقفة والبتاركة أن يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانية فكتب الملك إلى سائر بلاده، فاجتمع في قسطنطينية مائة وخمسون أسقفًا، فنظروا ونحثوا في مقالة آريوس فوجدوها: أن روح القدس مخلوق، ومصنوع وليس بإله، فقال بترك الإسكندرية: «ليس روح القدس عندنا غير روح الله، وليس روح الله غير حياته، فإذا قلنا: إن روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة فقد جعلناه غير حى، وذلك كفر به» .

فلعنوا جميعهم من يقول بهذه المقالة ولعنوا جماعة من أساقفهم وبتاركهم كانوا يقولون بمقالات أخر لم يرتضوها، وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق، إله حق من إله حق من طبيعة الآب والإبن، جوهر

- ترك تلاميذه ليعلموا الناس ديانتهم ووعدهم بأرسال رسول أعظم يفصح عن حقائق أسمى وهو البارقليط .

وقد ادعى مانى أنه هو البارقليط . (ص ١٤٩ ج ١ تاريخ الأقباط) .

(١٧) مكدونيوس من الآريوسيين . وقد عين بطريركا للقسطنطينية سنة ٣٤٣ ميلادية وأنكر لاهوت الروح القدس . وقال: أن الروح القدس عمل الهى منتشر فى الكون، وليس أقنوما متميزا عن الآب والإبن . واعتبره مخلوقا يشبه الملائكة . وأن كانت رتبته أسمى منهم (ص ٦ ج ١ تاريخ الأقباط) .

واحد وطبيعة واحدة، وزادوا فى الأمانة التى وضعتها الثلاثمائة والثمانية عشر « ونؤمن بروح القدس الرب المحيى الذى من الآب منبثق، الذى معه الآب والإبن وهو مسجود وممجّد » .

وكان فى تلك الأمانة « وروح القدس » (١٨) فقط، وبينوا أن الإبن والآب وروح القدس ثلاثة أقانيم (١٩) وثلاثة وجوه وثلاث خواص، وأنها وحدة فى تثليث وتثليث فى وحدة، وبينوا: أن جسد المسيح بنفس ناطقة عقلية وانفص هذا الجمع وقد لعنوا فيه كثيراً من أساقفهم وأشياعهم .

ثم بعد إحدى وخمسين سنة (٢٠) من هذا الجمع كان لهم مجمع رابع على نسطورس، وكان رأيه: أن مريم ليست بوالدة الإله على الحقيقة، ولذلك كان اثنين:

أحدهما: الإله الذى هو موجود من الآب .

والآخر: إنسان وهو الموجود من مريم، وأن هذا الإنسان الذى نقول إنه المسيح متوحد مع ابن الإله، ويقال له: إله، وابن الإله ليس على الحقيقة ولكن موهبة واتفاق الإسمين على طريق الكرامة .

فبلغ ذلك بتاركة سائر البلاد فجرت بينهم مراسلات واتفقوا على تخطيطته واجتمع منهم مائتا أسقف فى مدينة أفسس وأرسلوا إليه للمناظرة فامتنع ثلاث مرات فأجمعوا على لعنه فلعنوه ونفوه وبينوا: أن مريم ولدت إلهاً وأن المسيح إله حق من إله حق وهو إنسان وله طبيعتان فلما لعنوا

(١٨) يريد أن يقول أن فى مجمع نيفية سنة ٣٢٥ م أشار المجتمعون الى « الروح القدس » فى قانون الايمان اشارة عابرة . ولكنهم فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م زادوا فى قانون الايمان: « ونؤمن بروح القدس ... الخ » (انظر فى هذا الموضوع فصل قانون الايمان فى كتابنا: أقانيم النصارى — نشر دار الانصار بمصر) .

(١٩) أصل كلمة الأقنوم تدل على شخص .

(٢٠) أى فى سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ويسمى مجمع « أفسس الأول » .

نسطورس تعصب له بترك إنطاكية فجمع الأساقفة فلم يزل الملك حتى الذين قدموا معه وناظرهم وقطعهم فتقاتلوا وتلاعنوا وجرى بينهم شر فتفاقم أمرهم ثم أصلح بينهم فكتب أولئك صحيفة: «أن مريم القديسة ولدت إلها وهو ربنا يسوع المسيح الذى هو مع الله فى الطبيعة ومع الناس فى الناسوت» .

وأقروا بطبيعتين وبوجه واحد وأقنوم واحد وأنفذوا لعن نسطورس فلما لعنوه ونفى سار إلى مصر وأقام فى أخميم سبع سنين ومات ودفن بها، وماتت مقالته إلى أن أحيها «إبن صرما» مطران «نصيبين» وبثها فى بلاد المشرق فأكثر نصارى المشرق والعراق نسطورية وانفض ذلك المجمع الرابع أيضاً وقد أطبقوا على لعن نسطورس وأشياعه ومن قال بمقاتته .

ثم كان لهم بعد هذا المجمع «مجمع خامس» (٢١) وذلك أنه كان بالقسطنطينية طيبب راهب يقال له «أوطيسبوس» (٢٢) يقول: «إن جسد المسيح ليس هو مع أجسادنا بالطبيعة، وإن المسيح قبل التجسد من طبيعتين وبعد التجسد طبيعة واحدة» .

وهو أول من أحدث هذه المقالة وهى «مقالة اليعقوبية» — فرحل إليه بعض الأساقفة فناظره وقطعه ودحض حجته، ثم صار إلى قسطنطينية فأخبر بتركها بالمناظرة وبانقطاعه فأرسل بترك القسطنطينية إليه فاستحضره وجمع جمعاً عظيماً وناظره .

فقال أوطيسبوس: «إن قلنا إن المسيح طبيعتان فقد قلنا يقول «نسطورس» ولكننا نقول: إن المسيح طبيعة واحدة وأقنوم واحد، لأنه

(٢١) أى فى سنة ٤٤٩ ميلادية ويسمى مجمع أفسس الثانى . وفى هذا المجمع رجع أوطاخى عن رايه الذى كان «أن طبيعة المسيح الناسوتية أندجحت فى اللاهوتية» وتمسك بقرار مجمع نيقية الأول (ص ١٧٨ ج ١ تاريخ الأقباط) .
(٢٢) فى تاريخ الأقباط بدل «أوطيسوس» أوطاخى .

من طبيعتين كانتا قبل التجسد، فلما قبل التجسد زالت عنه وصار طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً» .

فقال له بترك القسطنطينية : «إن كان المسيح طبيعة واحدة فالطبيعة القديمة هي المحدثه، وإن كان القديم هو المحدث فالذى لم يزل هو الذى لم يكن، ولو جاز أن يكون القديم هو المحدث لكان القائم هو القاعد والحار هو البارد» .

فأبى أن يرجع عن مقالته فلعنوه .

فاستعدى إلى الملك وزعم أنهم ظلموه وسأله أن يكتب إلى جميع البطاركة للمناظرة، فاستحضر الملك البطاركة والأساقفة من سائر البلاد إلى مدينة أفسس، فثبت بترك الإسكندرية مقالة أوطيسوس وقطع بترك القسطنطينية وانطاكية وبيت المقدس وسائر البطاركة والأساقفة، وكتب إلى بترك رومية وإلى جماعة الكهنة فحرمهم ومنعهم من القربان إن لم يقبلوا مقالة أوطيسوس .

ففسدت الأمانة وصارت مقالة أوطيسوس خاصة بمصر والإسكندرية وهو مذهب اليعقوبية، فافترق هذا المجمع الخامس وكل فريق يلعن الآخر ويحرمه ويبرأ من مقالته .

ثم كان لهم بعد هذا «مجمع سادس» فى مدينة «خليقدونية» (٢٣) فإنه لما مات الملك ولى بعده مرقيون فاجتمع إليه الأساقفة من سائر البلاد فأعلموه ما كان من ظلم ذلك المجمع وقلة الإنصاف، أن مقالة أوطيسوس قد غلبت على الناس وأفسدت دين النصرانية، فأمر الملك باستحضر سائر البطاركة والمطارنة والأساقفة إلى مدينة خليقدونية فاجتمع فيها ستمائة وثلاثون أسقفًا فنظروا فى مقالة «أوطيسوس» وبترك الإسكندرية الذى قطع جميع البطاركة فأفسد الجميع مقالاتها ولعنوها .

(٢٣) يسمى مجمع خليقدونية وكان فى سنة ٤٥١ ميلادية .

وأثبتوا: «أن المسيح إله وإنسان. فى المكان مع الله باللاهوت. وفى المكان معنا بالناسوت، يعرف بطبيعتين.. تام باللاهوت.. وتام بالناسوت. ومسيح واحد».

وثبتوا أقوال الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً، وقبلوا قوهم: «بأن الإبن مع الله فى المكان. نور من نور. إله حق من إله حق». ولعنوا آريوس، وقالوا: «إن روح القدس إله، وأن الآب والإبن وروح القدس واحد بطبيعة واحدة وأقانيم ثلاثة».

وثبتوا قول المجمع الثالث فى مدينة أفسس أعنى المائتى أسقف على «نسطورس» وقالوا: «إن مريم العذراء ولدت إلها ربنا يسوع المسيح الذى هو مع الله بطبيعة ومع الناسوت بطبيعة»، وشهدوا: «أن للمسيح طبيعتين وأقنوماً واحداً».

ولعنوا نسطورس وبترك الإسكندرية، ولعنوا المجمع الثانى الذى كان بأفسس، ثم المجمع الثالث المائتى أسقف بمدينة أفسس أول مرة، ولعنوا نسطورس، وبين نسطورس إلى مجمع خليقدونية إحدى وعشرون سنة، فانفض هذا المجمع وقد لعنوا من مقدمهم وأساقفتهم من ذكرنا وكفروهم وتبرأوا منهم ومن مقالاتهم.

ثم كان لهم بعد هذا المجمع (٢٤) «مجمع سابع» فى أيام «أنسطاس» الملك، وذلك أن «سورس» القسطنطينى كان على رأى «أوطيسوس» فجاء إلى الملك فقال: «إن المجمع الخيلقدونى فى الستمائة وثلاثين قد أخطأوا فى لعن أوطيسوس وبترك الإسكندرية، والدين الصحيح ما قالاه فلا يقبل دين من سواهما، ولكن اكتب إلى جميع

(٢٤) يقول مؤلف تاريخ الأقباط: «ولا تعترف الكنيسة القبطية بمجمع خليقدونية، ولا بقرارته، كما لا تعترف بالجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك فى سنة ٥٥٢ وسنة ٦١٠ وسنة ٧٨٦ لخالفه الذين اشتركوا فيها مع الكنيسة القبطية فى الاعتقاد بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشية واحدة» (ج ١ ص ١٧٩).

عمالك أن يلعنوا الستمائة وثلاثين ويأخذوا الناس بطبيعة واحدة ومشية واحدة وأقنوم واحد، فأجابه الملك إلى ذلك، فلما بلغ ذلك «إيليا» بترك بيت المقدس جمع الرهبان ولعنوا «أنسطاس» الملك و«سورس» ومن يقول بمقاتلتهما، فبلغ ذلك «أنسطاط» ونفاه إلى أيلة، وبعث «يوحنا» بتركاً على بيت المقدس لأن يوحنا كان قد ضمن له أن يلعن المجمع الخيلقدوني الستمائة وثلاثين، فلما قدم إلى بيت المقدس اجتمع الرهبان وقالوا: «إياك أن تقبل من سورس ولكن قاتل عن المجمع الخيلقدوني ونحن معك».

فضمن لهم لذلك وخالف أمر الملك، فبلغ ذلك الملك فأرسل قائدا وأمره أن يأخذ يوحنا بطرح المجمع الخيلقدونث، فإن لم يفعل ينفية عن الكرسي، فقدم القائد وطرح يوحنا في الحبس فصار إليه الرهبان في الحبس وأشاروا عليه بأن يضمن للقائد أن يفعل ذلك، فإذا حضر فيقر بلعنة من لعنة الرهبان ففعل ذلك واجتمع الرهبان وكانوا عشرة آلاف راهب ومعهم مدرس وسابا ورؤساء الديرات، فلعنوا أوطيسوس وسورس ونسطورس ومن لا يقبل المجمع الخيلقدوني، وفرع رسول الملك من الرهبان، وبلغ الملك أنهم لا يقبلون مقالة سورس ولا أحد من المخالفين ولو أهرىقت دماؤهم وسألوه أن يكف أذاه عنهم، وكتب بترك رومية إلى الملك يقبح فعله ويلعنه.

فانفض هذا المجتمع أيضاً وقد تلاعنت فيه هذه الجموع على ما وصفنا!

وكان لسورس تلميذ يقال له يعقوب يقول بمقالة سورس، وكان يسمى يعقوب البرادعي وإليه تنسب «اليعاقبة» فأفسد أمانة النصارى، ثم مات أنسطاس وولى قسطنطين فرد كل من نفاه أنسطاس الملك إلى موضعه، واجتمع الرهبان وأظهروا كتاب الملك وعيّدوا عيداً حسناً بزعمهم، وأثبتوا المجمع الخيلقدوني بالستمائة وثلاثين أسقفاً، ثم ولى

ملك آخر وكانت اليعقوبية قد غلبوا على الإسكندرية وقتلوا بتركاهم يقال له «بولس» كان ملكيا ، فأرسل قائداً ومعه عسكر عظيم إلى الإسكندرية ، فدخل الكنيسة في ثياب البترك ، وتقدم وقدم فرموه بالحجارة حتى كادوا يقتلونه فانصرف .

ثم أظهر لهم من بعد ثلاثة أيام أنه قد أتاه كتاب الملك ، وضرب الجرس ليجمع الناس يوم الأحد في الكنيسة فلم يبق أحد بالإسكندرية حتى حضر لسماع كتاب الملك ، وقد جعل بينه وبين جنده علامة إذا هو فلها وضعوا السيف في الناس ، فصعد المنبر وقال : «يامعشر أهل إسكندرية ! إن رجعتم إلى الحق وتركتم مقالة اليعاقبة وإلا لن تأمنوا أن يرسل إليكم الملك من يسفك دماءكم» .

فرموه بالحجارة حتى خاف على نفسه أن يقتل ، فأظهر العلامة فوضعوا السيف على كل من في الكنيسة فقتل داخلها وخارجها أمم لا تحصى كثرة حتى خاض الجند في الدماء ، وهرب منهم خلق كثير ، وظهرت «مقالة الملكية» .

ثم كان لهم بعد ذلك «مجمع ثامن» بعد المجمع الخيلقدوني الذي لعن فيه اليعقوبية بمائة سنة وثلاث سنين ، وذلك أن أسقف منبج — وهي بلدة شرقي حلب بالقرب منها وهي مخسوفة الآن — كان يقول بالتناسخ وأن ليس قيامة ، وكان أسقف الرها وأسقف المصيصة وأسقف آخر يقولون : «إن جسد المسيح خيال غير حقيقة» فحشروهم الملك إلى قسطنطينية .

فقال لهم بتركها : «إن كان جسده خيالا فيجب أن يكون فعله خيالا وقوله خيالا وكل جسد يعالين لأحد من الناس أو فعل أو قول فهو كذلك» .

وقال لأسقف منبج : «إن المسيح قد قام من الموت وأعلمنا أنه كذلك يقوم الناس من الموت يوم الدينونة ، وقال في «إنجيله» : «إنه

تأتى ساعة حتى أن كل من فى القبور إذا سمعوا قول ابن الله يحيون» (٢٥) فكيف تقولون ليس قيامة؟ (٢٦) فأوجب عليهم الخزي واللعن، وأمر الملك أن يكون لهم مجمع يلعنون فيه، واستحضر بتاركة البلاد، فاجتمع فى هذا المجمع مائة وأربعة وستون أسقفاً، فلعنوا أسقف «منبج» وأسقف «المصيصة» وثبتوا على قول أسقف الرها «أن جسد المسيح حقيقة لا خيال، وأنه إله تام وإنسان تام معروف بطبيعتين ومشيتين وفعلين أقنوم واحد».

وثبتوا المجامع الأربعة التى قبلهم بعد المجمع الخيلقدونى، وأن الدنيا زائلة، وأن القيامة كائنة (٢٧)، وأن المسيح يأتى بمجد عظيم فيدين الأحياء والأموات كما قال الثلاثمائة والثمانية عشر.

(٢٥) الآية الخامسة والعشرون من الأصحاح الخامس من انجيل يوحنا.

(٢٦) هذا النص لا يدل على القيامة. بل هو تعبير مجازى عن حياة المعرفة اذا ظهر نبي الاسلام (انظر فصل أقنوم الابن فى كتابنا: أقانيم النصارى) أما الذى يدل على القيامة فنصوص أخرى سنذكر منها فى التعليق السابع والعشرين.

(٢٧) النصوص التى تدل على يوم القيامة فى الانجيل كثيرة جداً. والنصارى يعترفون بالقيامة لكنهم يقولون بالبعث الروحاني استناداً على كلام بولس فى الأصحاح الخامس عشر من كورنثوس الأولى. وجواب المسيح للصدوقيين عن المرأة ذات السبعة أزواج فى الأصحاح الثانى عشر من مرقس. مع: أنه توجد فى الاناجيل آيات واضحات على البعث بالروح والجسد وهو الصحيح من ذلك قول المسيح: فان كانت اليمنى تعثر فاقطعها وألقها عنك. لانه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى نجهنم. وان كانت يديك اليمنى تعثر فاقطعها والقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك. ولا يلقى جسدك كله فى جهنم» (متى ٥: ٢٩-٣٠) وفى التوراة التى جاء المسيح مصداقاً لها ما يثبت البعث بالروح والجسد. ففي سفر أيوب مانعه عن ترجمة الآباء اليسوعيين: «أنى لعالم بان فادى حى. وسيقوم آخر على البتراب. وبعد ذلك قلبس هذه الاعضاء بجلدى. ومن جسدى أعاين الله» (أيوب ١٩: ٢٥-٢٦) ولكن البروتستانت يترجمون هكذا: «أما أنا فقد علمت أن ولى حى، والآخر على الارض يقوم. وبعد أن يفنى جلدى هذا. وبدون جسدى أرى الله» وغرضهم من الترجمة: أثبات البعث بالروح فقط

ثم كان لهم «مجمع تاسع» فى أيام معاوية بن أبى سفيان تلاعنوا فيه ، وذلك أنه كان برومية راهب قديس يقال له «مقسلمس» وله تلميذان ، فجاء إلى «قسطا» الوالى فوبخه على قبح مذهبه وشناعة كفره ، فأمر به «قسطا» فقطعت يداه ورجلاه ونزع لسانه ، وفعل بأحد التلميذين مثله ، وضرب الآخر بالسياط ونفاه ، فبلغ ذلك ملك قسطنطينية فأرسل إليه أن يوجه إليه من أفاضل الأساقفة ليعلم وجه هذه الحجة ومن الذى كان ابتدأها لكيا يطرح جميع الآباء القديسين كل من استحق اللعنة ، فبعث إليه مائة وأربعين أسقفًا وثلاثة شمامسة فلما وصلوا إلى «قسطنطينية» جمع الملك مائة وثمانية وستين أسقفًا فصاروا ثلاثمائة وثمانية ، وأسقطوا الشمامسة فى «البرطحة» .

وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية ، ولم يكن لبیت المقدس واسكندرية بترك ، فلعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم ، وسموهم واحداً واحداً وهم جماعة ، ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة ، ولما لعنوا هؤلاء جلسوا فلخصوا الأمانة المستقيمة بزعمهم ، فقالوا : «نؤمن بأن الواحد من اللاهوت الإبن الوحيد الذى هو الكلمة الأزلية الدائم ، المستوى مع الآب الإله فى الجوهر ، الذى هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين ، وفعلين ، ومشيتين ، فى أقنوم واحد ووجه واحد ، يعرف تاما بلاهوته . تاما بناسوته . وشهدت كما شهد مجمع الخيلقدونية على ما سبق أن الإله الإبن فى آخر الأيام اتحد مع العذراء السيدة مريم القديسة جسداً إنسانا بنفسين ، وذلك برحمة الله تعالى محب البشر ولم يلحقه اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولا فصل ، ولكن هو واحد

(أنظر فى هذا الموضوع كتابنا : الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والاسلام . وأنظر تقديمنا لكتاب : يقظة أولى الاعتبار فيما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار تأليف الامام : صديق حسن خان - نشر مكتبة عاطف بميدان الأزهر) .

يعمل بما يشبه الإنسان أن يعمل في طبيعته وما يشبه الإله أن يعمل في طبيعته الذي هو الابن الوحيد. والكلمة الأزلية المتجسدة إلى أن صارت في الحقيقة لحماً كما يقول الإنجيل المقدس من غير أن تنتقل عن محلها الأزلى، وليست بمتغيرة ولكنها بفعلين ومشيتين وطبيعتين إلهي، وإنسي، الذي بهما يكون القول الحق، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتهما، مشيئتين غير متضادتين ولا متصارعتين، ولكن مع الشيئة الإنسية في المشيئة الإلهية القادرة على كل شيء» .

هذه شهادتهم وأمانة المجمع السادس من المجمع الخيلقدوني، وثبتوا ما ثبتته الخمسة مجامع التي كانت قبلهم ولعنوا من لعنوه، وبين المجمع الخامس إلى هذا المجمع مائة سنة .

ثم كان لهم «مجمع عاشر» لما مات الملك وولى بعده ابنه، واجتمع فريق المجمع السادس وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل، فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفاً فثبتوا قول المجمع السادس ولعنوا من لعنهم وخالفهم، وثبتوا قول المجمع الخمسة، ولعنوا من لعنوا وانصرفوا .

فانقرضت هذه المجمع والحشود وهم علماء النصارى وقدمائهم وناقلو الدين إلى المتأخرين وإليهم يستند من بعدهم .

وقد اشتملت هذه المجمع العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفاً من الأساقفة والبتاركة والرهبان كلهم يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً، فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض وكل منهم لاعن ملعون .

فإذا كانت هذه حال المتقدمين مع قرب زمنهم من أيام المسيح وبقاء أختيارهم فيهم والدولة دولتهم والكلمة لهم وعلمائهم إذ ذاك أوفر ما كانوا واحتفالهم بأمر دينهم واهتمامهم به كما ترى . ثم هم مع ذلك تائهون حائرون بين لاعن وملعون لا يثبت لهم قدم، ولا يتحصل لهم قول في معرفة معبودهم، بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه، وباح باللعن

والبراءة ممن اتبع سواه ، فإما الظن بحثالة الماضين ، ونفاية الغابرين ،
وزبالة الحائرين ، وذرية الضالين ، وقد طال عليهم الأمد ، وبعد العهد ،
وصار دينهم ما يتلقونه عن الرهبان .

وقوم إذا كشفت عنهم وجدتهم أشبه شيء بالأنعام ، وإن كانوا في
صور الأنام ، بل هم كما قال تعالى ومن أصدق من الله قيلا ؟ ﴿ إِنَّهُمْ
إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٢٨) وهؤلاء هم الذين عناهم الله سبحانه
بقوله : ﴿ بَنَاهُمْ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ
قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٢٩) ، ومن أضل من
أمة الضلال بشهادة الله وبرسوله عليهم ؟ ، وأمة اللعن بشهادتهم على
نفوسهم بلعن بعضهم بعضاً ؟

وقد لعنهم الله سبحانه على لسان رسوله في قوله صلى الله عليه
وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . يحذر ما
فعلوه » هذا والكتاب واحد ، والرب واحد ، والنبى واحد ، والدعوى
واحدة ، وكلهم يتمسك بالمسيح وإنجيله وتلاميذه ثم يختلفون فيه هذا
الاختلاف المتباين .

فهم من يقول : « إنه الإله » (٣٠) ومنهم من يقول : « ابن
الإله » (٣١) .

ومنهم من يقول : « ثالث ثلاثة » (٣٢) .

ومنهم من يقول : « إنه عبد » (٣٣) .

(٢٨) سورة الفرقان الآية الثانية والاربعون .

(٢٩) سورة المائدة الآية السابعة والسبعون .

(٣٠) الأرثوذكس .

(٣١) جميع النصارى لتطبيق الزمور الثانى على المسيح عليه السلام .

(٣٢) الكاثوليك .

(٣٣) جميع النصارى لتطبيق نبوءة أشعيا عليه نبوءة الأصحاح الثانى والأربعين .

ومنهم من يقول : « إنه أقنوم وطبيعة » (٣٤) .

ومنهم من يقول : « طبيعتان » (٣٥) .

إلى غير ذلك من المقالات التي حكوها عن أسلافهم ، وكل منهم يكفر صاحبه .

فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلهاً ثم عرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا من قبوله ، فوازن بين هذا وبين ما جاء به خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وسلامه تعلم علماً يضارع المحسوسات أو يزيد عليها : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٣٦) .

(٣٤) الأرثوذكس .

(٣٥) مذهب الكاثوليك .

(٣٦) الآية التاسعة عشرة من سورة آل عمران .

نور النبوة

وإنه (١) لا يمكن الإيمان بنبي من الأنبياء أصلاً مع جحود نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه من جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحداً .. وهذا يتبين بوجوه :

(الوجه الأول) .. أن الأنبياء المتقدمين بشروا بنبوته وأمروا أممهم بالإيمان به ، فن جحد نبوته فقد كذب الأنبياء قبله فيما أخبروا به وخالفهم فيما أمروا وأوصوا به من الإيمان به ، والتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم ، وإذا انتفى اللازم انتفى ملزومه قطعاً وبيان الملازمة : ما تقدم من الوجوه الكثيرة التي تفيد بمجموعها القطع .. على أنه صلى الله عليه وسلم قد ذكر في الكتب الإلهية على ألسن الأنبياء ، وإذا ثبتت الملازمة فانتفاء اللازم موجب لانتفاء ملزومه .

(الوجه الثاني) .. أن دعوة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه هي دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم إلى آخرهم ، فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم ، فإن جميع الرسل جاءوا بما جاء به ، فإذا كذبه المكذب فقد زعم أن ما جاء به باطل ، وفي ذلك تكذيب كل رسول أرسله الله وكل كتاب أنزله الله ، ولا يمكن أن يعتقد أن ما جاء به صدق وأنه كاذب مفتر على الله .

وهذا في غاية الوضوح . وهذا بمنزلة شهود شهدوا بحق فصدقهم الخصم ، وقال : هؤلاء كلهم شهود عدول صادقون ، ثم شهد آخر على شهادتهم سواء . فقال الخصم : هذه الشهادة باطلة وكذب لا أصل لها ، إن ذلك تكذيب بشهادة جميع الشهود قطعاً ، ولا ينجيه من تكذيبهم

(١) عبارة الأصل : فصل في أنه .

اعترافه بصحة شهادتهم وإنها شهادة حق مع قوله : إن الشاهد بها كاذب فيما شهد به .

فكما أنه لو لم يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوات الأنبياء قبله فكذلك إن لم يصدق لم يمكن تصديق نبي من الأنبياء قبله .

(الوجه الثالث) .. إن الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف آيات من قبله من الرسل ، فليس لنبي من الأنبياء آية توجب الإيمان به إلا ولمحمد صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو في الدلالة مثلها وإن لم يكن من جنسها ، فأيات نبوته أعظم وأكبر وأبهر وأدل ، والعلم بنقلها قطعي ، لقرب العهد ، وكثرة النقلة ، واختلاف أمصارهم وأعصارهم ، واستحالة تواطئهم على الكذب .

فالعلم بآيات نبوته كالعلم بنفس وجوده وظهوره وبلده ، بحيث لا تمكن المكابرة في ذلك ، والمكابر فيه في غاية الوقاحة والبهت ، كالمكابرة في وجود ما يشاهده الناس ولم يشاهده هو من البلاد والأقاليم والجبال والأنهار .

فإن جاز القدح في ذلك كله ، فالقدح في وجود عيسى وموسى وآيات نبوتها أجوز وأجوز ، وإن امتنع القدح فيها وفي آيات نبوتها فامتناعه في محمد صلى الله عليه وسلم وآيات نبوته أشد .

ولذلك لما علم بعض علماء أهل الكتاب أن الإيمان بموسى لا يتم مع التكذيب بمحمد أبداً . كفر بالجميع ، وقال : (ما أنزل الله على بشر من شيء) ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَ قَرِيطِينَ تَبْدُونَهَا وَيُخَفُّونَ كَثِيرًا وَظَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٢) ، قال سعيد بن جبیر : جاء

(٢) الأنعام الآية التسعون .

رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : «أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى ، أما تجد في التوراة ان الله ييغض الحبر السمين ؟ » وكان حبراً سميناً ، فغضب عدو الله وقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء . فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ولا موسى ؟ فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء . فأنزل الله عز وجل (وما قدرُوا الله حق قدره) الآية ، وهذا قول عكرمة (٣) .

وقال محمد بن كعب : جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب ، فقالوا يا أبا القاسم ، ألا تاتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها (٤) من عند الله عز وجل ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ۖ ﴾ (٥) الآية .

وجاء رجل من اليهود فقال : مما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً ، ما أنزل الله على بشر من شيء ، فحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبوته ، وجعل يقول : « ولا على أحد » .

وذهب جماعة منهم مجاهد ، إلى أن الآية نزلت في مشركي قريش ، فهم الذين جحدوا أصل الرسالة ، وكذبوا بالرسول ، وأما أهل الكتاب فلم يجحدوا نبوة موسى وعيسى .

(٣) سيضعف المؤلف قول عكرمة فيما بعد .

(٤) يقصدون القرآن جملة ، كما أن التوراة نزلت جملة . ولاحظ أنه في التوراة عبارات تدل على أنها لم تنزل جملة مثل قصة المعتدى في يوم السبت ، وقصة بنات صلفحاء في نهاية سفر العدد .

(٥) الآية الثالثة والخمسون بعد المائة في سورة النساء .

وهذا اختيار ابن جرير، قال: وهو أولى الأقاويل بالصواب، لأن ذلك فى سياق الخبر عنهم، فهو أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود، لم يجز لهم ذكر يكون هذا به متصلاً، مع ما فى الخبر عن من أخبر الله عنه من هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب، وليس ذلك مما تدين به اليهود، بل المعروف من دين اليهود الإقرار بصحف إبراهيم، وموسى، وزبور داود، والخبر من أول السورة إلى هذا الموضع خبر عن المشركين من عبدة الأوثان، وقوله: (وما قدروا الله حق قدره) موصول به غير مفصول عنه، قلت: ويقوى قوله، أن السورة مكية، فهى خبر عن زنادقة العرب، المنكرين لأصل النبوة.

ولكن بقى أن يقال: فكيف يحسن الرد عليهم بما لا يقرون به من إنزال الكتاب الذى جاء به موسى؟ وكيف يقال لهم: (تجعلونه قراطيس تبتدونها وتخفون كثيراً)؟ ولا سيما على قراءة من قرأ بقاء الخطاب. وهل ذلك صالح لغير اليهود؟ فإنهم كانوا يخفون من الكتاب ما لا يوافق أهواءهم وأغراضهم، ويبدون منه ما سواه، فاحتج عليهم بما يقرون به من كتاب موسى، ثم وبخهم بأنهم خانوا الله ورسوله فيه، فأخفوا بعضه وأظهروا بعضه، وهذا استطراد من ذكر جحدهم النبوة بالكلية، وذلك إخفاء لها وكتمان إلى جحد ما أقروا به كتابهم بإخفائه وكتمانه، فتلك سجية لهم معروفة لا تنكر، إذ من أخفى بعض كتابه الذى يقر بأنه من عند الله، كيف لا يجحد أصل النبوة؟.

ثم احتج عليهم، بأنهم قد علموا بالوحى ما لم يكونوا يعلمونه هم ولا آباؤهم، ولولا الوحى الذى أنزله على أنبيائه ورسله لم يصلوا إليه، ثم أمر رسوله أن يجب عن هذا السؤال، وهو قوله: (من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) فقال (قل الله) أى الله الذى أنزله، أى إن كفروا به وجحدوه فصدق به أنت وأقربه (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون).

وجواب هذا السؤال أن يقال : إن الله سبحانه احتج عليهم (٦) بما
 يقر به أهل الكتابين وهم أولو العلم من الأمم التي لا كتاب لها ، أى
 إن جحدتم أصل النبوة وأن يكون الله أنزل على بشر شيئاً فهذا كتاب
 موسى يقر به أهل الكتاب وهم أعلم منكم فاسألوهم عنه ، ونظائر هذا
 فى القرآن كثيرة يستشهد سبحانه بأهل الكتاب على منكرى النبوات
 والتوحيد ، والمعنى إنكم إن أنكرتم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً فمن
 أنزل كتاب موسى ؟ فإن لم تعلموا ذلك فاسألوا أهل الكتاب ، وأما قوله
 تعالى : ﴿يَجْعَلُونَهُ قَرَاتِيسَ يَبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ فمن قرأها بالياء فهو إخبار
 عن اليهود بلفظ الغيبة ، ومن قرأها بلفظ التاء للخطاب فهو خطاب لهذا
 الجنس الذين فعلوا ذلك أى يجعلونه يامن أنزل عليه كذلك ، وهذا من
 أعلام نبوته أن يخبر أهل الكتاب بما اعتمدوه فى كتابهم ، وأنهم جعلوه
 قراتيس وأبدوا بعضه وأخفوا كثيراً منه ، وهذا لا يعلم من غير جهتهم
 إلا بوحي من الله ، ولا يلزم أن يكون قوله : (يجعلونه قراتيس) خطاباً
 لمن حكى عنهم أنهم قالوا (ما أنزل الله على بشر من شيء) بل هذا
 استطراد من الشيء إلى نظيره وشبهه ولازمه ، وله نظائر فى القرآن كثيرة
 كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي
 قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ (٧) إلى آخر الآية .
 فاستطرد من الشخص المخلوق من الطين وهو آدم إلى النوع المخلوق
 من النطفة وهم أولاده ، وأوقع الضمير على الجميع بلفظ واحد ، ومثله
 قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا
 فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ جَمَلًا خَفِيًّا فَرَّتْ بِهِ * فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا لَهَا : ائْتِنِنَا صَاحِبًا
 لَنَشْكُرَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى
 اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٨) إلى آخر الآيات .

(٦) على الكفار . (٧) سورة المؤمنون ١٢ وما بعدها .

(٨) سورة الاعراف ١٨٩ وما بعدها .

ويشبه هذا قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ * فَأَنْشُرْنَاهُ بِلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ ﴿١﴾﴾ إلى آخر الآيات .

وعلى التقديرين فهو لاء لم يتم لهم إنكار النبی صلی الله عليه وسلم ومكابرتهم إلا بهذا الجحد والتكذيب العام، وزأوا أنهم إن اقروا ببعض النبوات وجحدوا نبوته ظهر تناقضهم وتفريقهم بين المتماثلين، وأنهم لا يمكنهم الإيمان بنبي وجحد نبوة من نبوته أظهر آياتها أكثر وأعظم ممن أقروا به .

وأخبر سبحانه أن من جحد أن يكون قد أرسل رسله وأنزل كتبه لم يقدره حق قدره، وأنه نسبه إلى ما لا يليق به بل يعتالي ويتنزه عنه، فإن في ذلك إنكار دينه وإلهيته وملكه وحكمته ورحمته، والظن السيء به أنه خلق خلقه عبثاً باطلاً، وأنه خلاهم سداً مهملاً وهذا ينافی كماله المقدس وهو متعال عن كل ما ينافی كماله .

فمن أنكر كلامه وتكليمه وإرساله الرسل إلى خلقه فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق عظمته، كما أن من عبد معه إلها غيره لم يقدره حق قدره معطل جاحد لصفات كماله ونعوت جلاله وإرسال رسله وإنزال كتبه، ولا عظمه حق عظمته .

ولذلك كان جحد نبوة خاتم أنبيائه ورسله وإنزال كتبه وتكذيبه إنكاراً للرب تعالى في الحقيقة وجحوداً له، فلا يمكن الإقرار بربوبيته وإلهيته وملكه بل ولا بوجوده مع تكذيب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

(٩) سورة الزخرف الآية ٩ وما بعدها .

وقد أشرنا إلى ذلك فى المناظرة التى تقدمت (١٠)، فلا يجامع الكفر برسول الله صلى الله عليه وسلم الإقرار بالرب تعالى وصفاته أصلاً، كما لا يجامع الكفر بالمعاد واليوم الآخر الإقرار بوجود الصانع أصلاً.

وقد ذكر سبحانه ذلك فى موضعين من كتابه فى سورة الرعد فى قوله: ﴿وَلَمَّا تَعَجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَؤِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَنَفْسٌ جَدِيدٌ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ (١١) والثانى فى سورة الكهف فى قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنَهَا مُنْقَلَبًا﴾ * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (١٢)، فالرسول صلوات الله وسلامه عليه إنما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله والتعريف بحقوقه على عباده، فمن أنكر أرسالاته فقد نكر الرب الذى دعا إليه وحقوقه التى أمر بها، بل نقول: لا يمكن الاعتراف بالحقائق على ما هى عليه مع تكذيب رسوله، وهذا ظاهر جداً لمن تأمل مقالات أهل الأرض وأديانهم.

فإن «الفلاسفة» لم يمكنهم الاعتراف بالملائكة والجن والمبدأ والمعاد وتفاصيل صفات الرب تعالى وأفعاله مع إنكار النبوات، بل والحقائق المشاهدة التى لا يمكن إنكارها لم يثبتوها على ما هى عليه ولا أثبتوا حقيقة واحدة على ما هى عليه البتة، وهذا ثمرة إنكارهم النبوات

(١٠) المناظرة المذكورة فى هذا الكتاب.

(١١) الآية الخامسة من سورة الرعد.

(١٢) الآية ٣٥ وما بعدها من سورة الكهف.

فسلبهم الله إدراك الحقائق التي زعموا أن عقولهم كافية في إدراكها، فلم يدركوا منها شيئا على ما هو عليه، حتى ولا الماء ولا الهواء ولا الشمس ولا غيرها. فن تأمل مذاهبهم فيها علم أنهم لم يدركوها وإن عرفوا من ذلك بعض ما خفى على غيرهم.

وأما «المجوس» فأضل وأضل.

وأما «عباد الأصنام» فلا عرفوا الخالق ولا عرفوا حقيقة المخلوقات، ولا ميزوا بين الشياطين والملائكة وبين الأرواح الطيبة والخبيثة، وبين أحسن الحسن وأقبح القبيح، ولا عرفوا كمال النفس وما تسعد به ونقصها وما تشقى به.

وأما «النصارى» فقد عرفت ما الذى أدركوه من معبودهم وما وصفوه به (١٣) وما الذى قالوه فى نبيهم، وكيف لم يدركوا حقيقة البتة، ووصفوا الله بما هو من أعظم العيوب والنقائص، ووصفوا عبده

(١٣) أستحسن أن أذكر هنا، نص كلام ساويرس بن المقفع فى ذات الله. عند النصارى الأرثوذكس. «ساويرس» الذى جادل كثيرا من أئمة المسلمين فى عصر المعز لدين الله الفاطمى. حتى اذا جادل مسلم نصرانيا يكون خبيرا بأصل مذهبه. يقول ساويرس فى كتابه «مصباح العقل» تحقيق الأب سمير خليل — مطبعة دار العالم العربى سنة ١٩٧٨ تحت عنوان «قولنا فى البارى تبارك اسمه» مانصة:

«نعرفه أبأ وأبنا وروحا قدسا، جوهرأ واحدا، وطبيعة واحدة وذاتا واحدة. وقولنا: أنه جوهر واحد يعنى: أن جوهره وذاته وطبيعته لا تشبه شيئا من المخلوقات ولا توافق ذاتا من المحدثات. فجوهره وذاته مباينة لسائر الجواهر المعقولة والحسوسة المركبة. ومعنى قولنا: أنه جوهر. لأنه لا شىء الا وهو اما جوهرأ أو جسما أو عرضا — هذا على ما يقوله الجدليون — فأما الفلاسفة المنطقيون. فالموجودات كلهم عندهم لا تخلوا من أن تكون جوهرأ أو عرضا والجسم عندهم داخل فى الجوهر.

ولأنه قد قامت البراهين على أنه ليس يجسم لثلا يلزم التركيب والتفصيل والتحليل والفساد والزمان والمكان — وكل هذه صفات المحدثين — نفينا أن يكون جسما. والعرض أيضا يحتاج الى حامل يحمله وناعت ينعت به وهو ليس موجودا فى الحقيقة، كما أبان ذلك

المنطقيون. لانه متى لم يكن الجوهر أو الجسم موجودا لم يوجد العرض. ولان الاعراض لا أفعال لها، ولا ثبات ولا قوام الا بغيرها.

وكان الاجماع قد وقع على أن الباري عز وجل لم يزل موجودا ولا يزل موجودا، وأنه فاعل. وليس يحتاج في وجوده الى غيره لانه قائم بذاته. فقلنا: أنه جوهر اذ لم يجوز أن يكون جسما ولا عرضا. ولسنا نذهب الى أنه الجوهر الذي وصفه أرسطاطاليس في كتاب «المنطق» وزعم أنه قابل الازدواج في ذاته. لانه أنما وصف هناك الجوهر الذي هو سقراط وأفلاطون، وهو الجوهر الجزئي الأول.

ولا نقول. انه من، الجواهر الثواني، يعنى الانواع والاجناس. لان تلك أنما هي صورة الجوهر الاول. وهي يختلف فيها: هل لها قوام بذاتها. أم أنها هي موهومة فقط؟. وأنما نذهب الى أنه موجود الذات: أزلي. باق وسرمدي، ليس كالاعراض، التي لم تكن ثم كانت. ولا كالأجسام، التي، وأن كانت جواهر، فانها مركبة من هيولى، وصورة. وأنما نريد أنه مخالف لساثر الأجسام والاعراض والجواهر المتوهمة. لانه موجود بالحقيقة لا يحتاج في وجوده الى غيره. فهذا معنى قولنا: انه، جوهر. وأنما نريد بقولنا:، انه جوهر واحد: لأن الحنفاء والوثنيين. وماني. وابن ديان، ومريكان، يزعمون: أن الباري جواهر مختلفة. وكذلك «آريوس وأونوميوس، وأفلاطون، الفيلسوف فانه يجعل خالقين عدة. فنفيها، آراء هؤلاء كلهم، بقولنا: ان خالق العالم، جوهر واحد، لا جواهر كثيرة. وكذلك أيضا ما يذهب اليه أرسطاطاليس من أن للباري تمام العالم، وأن الكل قديم. فقلنا: أنه جوهر واحد. لا يشبه شيئا، من جواهر العالم. ومعنى قولنا: أنه آب وابن وروح قدس. هو هذا. بعد الذي أخذناه من التوقيف، نذهب الى أن هذا الخالق حي، ناطق، فنطقه: كلمته، وحياته روحه. وأنما، يسمى نطقه: ابنا، كَمَا يعنى به، أنه متولد من ذاته. لان أهل اللغات يسمون ما كان متولدا من ذات الشيء: ابنا. وفي بعض اللغات يقال، قد ولد الهلال. وقد ولدت النخلة، والشجرة. وعلى هذا المعنى: سموا: أفلاطون ابن أرسطو، أى هو من ذاته وجوهره، وطبيعته. وليس له علة ظاهرة غيره. وهذه الأسماء. أعنى الآب، والابن، وروح القدس. مما قد استعمله الأوائل، وقالوا به. ودانوا بصحته. أعنى قدماء الفلاسفة منهم: هرمس، وأفلاطون، وفيثاغورس، وأمونوس ونظائرهم. وتوالت به الكتب العتيقة. وأنا أذكر أقاويلهم في «كتاب التوحيد».

واذا قد بينا المعنى الذى نذهب، اليه فى تسمية الله: «ابنا» فقد سقط اللجاج والمحك لان الغرض انما هو صحة المعانى. دون الأسماء لأن الأسماء انما تؤخذ بالتوقيف، فالسألة

« ساقطة عن أصحابنا فى تسمية الكلمة «ابنا» والحياة: روحا. وأما ان الحياة تسمى روحا
فذلك بين. أما من الكتاب:

فقوله فى الزبور: «وتعدمهم أرواهم: فيموتون» (١٠٤: ٢٩) أى يذهب بحياتهم.
وقول أهل اللغة: أنا أتلّف روحك. أى أعدمك الحياة، وأميتك. وقول التوراة: «روح
الحياة التى ركبها الله فى آدم» (تكوين ٢: ٧) التى يزعم الاطباء: وانها فى القلب.
وهم أيضا يسمون الحياة: دما جاريا ويزعمون أنه فى القلب. وانما قلنا: روح القدس.
لان الارواح كثيرة. ونحن نسمى الشياطين: أرواحا ونسمى الملائكة: أرواحا.
فنقول: روح القدس، لان الشياطين أرواح ليست مقدسة، ولا طاهرة.
والملائكة أيضا فهى وأن كانت أرواحا، فقابلة للرزائل، كما وصف فى قصة
أبليس، فانه عاد الى المعصية بعد الطاعة، وصار مدحورا، ونجسا رجسا.
فانفرد هذا الروح باسم «القدس» ليتبين، أنه ليس مما يجوز عليه الدنس ولا
الطمث، ولا شىء من الرذائل

فهذا، معنى، قولنا فى البارئ جل ذكره انه جوهر وانه آب وابن وروح قدس.
على طريق الجملة. وانما نعنى، بقولنا «الاقانيم»: انه لما كانت صفات هذا
الجوهر قائمة. ثابتة، لم تزل — بفتح التاء — ولم تزل — بضم التاء — وليست كالصفات،
التي تكون، وتبطل. ولا كالأعراض التي تفتنى، وتفسد لان. كلام البارئ، تبارك.
وتعالى. قائم ثابت. ليس ككلام، البشرين، الزائل البائد الذى انما علته اختلاط الهواء
بالصوت، فحينئذ ينقطع، وتبين حروفه.
بل نطقه تبارك وتعالى، نطق ذاتى جوهرى لا يحتاج الى الهواء فى تبينه، ولا الى الصوت
فى كونه. بل علته هى الذات.
فهو ذاتى جوهرى، موجود بوجود الذات معقول مفهوم يميزه العقل ويعلم أنه نطق تلك
الذات، التي قد تقدمت له المعرفة بها وقام البرهان على وجودها.
وما ميزه العقل وفضله، فليس الى نفية وجوده سبيل. فن انكر ثبات هذه
الصفات وقيامها وازليتها، فقد انكر ما قد اعترف به، وجحد ما قد أقر، بوجوده.
كما فعل، اليهود وسابليوس، والمعتزلة. الذين يجعلون صفات البارئ اساء خالية
من المعانى. ولانا قد قلنا ان غرضنا هاهنا الاختصار، والايجاز، رأينا ترك الاحتجاج والرد
على المخالفين، لانا قد فعلنا ذلك فى كتابنا عليهم.
فهذا معنى قولنا «أقنوم».

ورسوله بما ليس له بوجه من الوجوه، وما عرفوا الله ولا رسوله، والمعاد الذى اقرؤا به لم يدركوا حقيقته ولم يؤمنوا بما جاءت به الرسل من حقيقته، إذ لا أكل عندهم فى الجنة ولا شرب ولا زوجة هناك ولا حور عين يلذ بهن الرجال ك لذاتهم فى الدنيا، ولا عرفوا حقيقة أنفسهم وما تسعد به وتشقى، ومن لم يعرف ذلك فهو أجدر ألا يعرف حقيقة شيء كما ينبغى البتة، فلا لأنفسهم عرفوا ولا لفاطرها وبارئها، ولا لمن جعله الله سبباً فى فلاحها وسعادتها، ولا للموجودات وأنها جميعها فقيرة مربوبة مصنوعة ناطقها وصامتها آدميها وجنيها وملكها، فكل من فى السموات عبده وملكه، وهو مخلوق مصنوع مربوب فقير من كل وجه، ومن لم يعرف هذا لم يعرف شيئاً .

وأما «اليهود» فقد حكى الله لك عن جهل أسلافهم وغبواتهم وضلالهم ما يدل على ما وراءه من ظلمات الجهل التى بعضها فوق بعض، ويكفى فى ذلك عبادتهم العجل الذى صنعتهم أيديهم من ذهب، ومن عبادتهم أن جعلوه على صورة أبلد الحيوان وأقله فطانة الذى يضرب المثل به فى قلة الفهم، فانظر إلى هذه الجهالة والغبابة المتجاوزة للحد كيف عبدوا مع الله إلهاً آخر وقد شاهدوا من أدلة التوحيد وعظمة الرب وجلاله ما لم يشاهده سواهم؟! !

نريد صفة هذا الجوهر قائمة ثابتة معقولة مميزة، لا تفسد كالاعراض، ولا تغنى كالاصوات، وسائر كلام المحدثين. وكذلك حياتهم وأرواحهم. وان عبر معبر فقال: «اشخاص» أو خواص، أو معانى، أو صفات، كما فعل المتقدمون، فانما يذهبون الى ماقلته، والمعنى فى عباراتهم واحد، وان اختلفت الالفاظ.

فأمنهم هذا. وتبين، فانه أدق، ما فى مذهبنا ومن عرفه سهل عليه الكلام فى التثليث وبان عنده، ووقف على معناه من قرب. فانا قد قربناه، ونطقنا فى العبارة عنه بما لم يسبق اليه كثير من أصحابنا. وقد شرحته أيضاً، فى، كتابى «فى تفسير الامانة» .

أنتهى كلام ساويرس. بنصه. وقد أوضحت أفكاره فى كتابنا: أقانيم النصارى. ورددت عليها.

وإذا قد عزموا على اتخاذ إله دون الله اتخذوه ونبيهم حتى بين أظهرهم لم ينتظروا موته! وإذا قد فعلوا لم يتخذوه من الملائكة المقربين ولا من الأحياء الناطقين بل اتخذوه من الجمادات! وإذا قد فعلوا لم يتخذوه من الجواهر العلوية كالشمس والقمر والنجوم بل من الجواهر الأرضية! وإذا قد فعلوا لم يتخذوه من الجواهر التي خلقت فوق الأرض عالية عليها كالجبال ونحوها بل من جواهر لا تكون إلا تحت الأرض والصخور والأحجار عالية عليها! وإذا قد فعلوا لم يتخذوه من جوهر يستغنى عن الصنعة وإدخال النار وتقليبه وجوهاً مختلفة وضربه بالحديد وسبكه بل من جوهر يحتاج إلى نيل الأيدي له بضروب مختلفة وإدخاله النار وإحراقه واستخراج خبثه! وإذا قد فعلوا لم يصوغوه على تمثال ملك كريم ولا نبي مرسل ولا على تمثال جوهر علوى لا تناله الأيدي بل على تمثال حيوان أَرْضِي! وإذا قد فعلوا لم يصوغوه على تمثال أشرف الحيوانات وأقواها وأشدها امتناعاً من الضيم كالأسد والفيل ونحوهما بل صاغوه على تمثال أبلد الحيوان وأقبله للضم والذل بحيث يحتر عليه الأرض ويسقى عليه بالسواقي والدواليب ولا له قوة يمتنع بها من كبير ولا صغيره.

فأى معرفة هؤلاء بمعبودهم ونبيهم وحقائق الموجودات؟ وحقيق بمن سأل نبيه أن يجعل له إلهاً فيعبد إلهاً مجعولاً بعد ما شاهد تلك الآيات الباهرات الا يعرف حقيقة الإله ولا أسماءه وصفاته ونعوته ودينه، ولا يعرف حقيقة المخلوق وحاجته وفقره.

ولو عرف هؤلاء معبودهم ورسولهم لما قالوا لنبيهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (١٤)، ولا قالوا له: ﴿قَاذَهِبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا﴾ (١٥)،

(١٤) سورة البقرة الآية ٥٥.

(١٥) سورة المائدة الآية ٢٤.

ولا قتلوا نفساً (١٦) وطرحوا المقتول على أبواب البرآء من قتله ونبههم
حتى بين أظهرهم وخبر السماء والوحى يأتيه صباحاً ومساءً، فكأنهم جوزا
أن يخفى هذا على الله كما يخفى على الناس؟! ولو عرفوا معبودهم لما
قالوا فى بعض مخاطباتهم له: «يا أبانا انتبه من رقدتك، كم تنام». .
ولو عرفوه لما سارعوا إلى محاربة أنبيائه وقتلهم وحبسهم ونفيهم ولما
تحيلوا على تحليل محارمه وإسقاط فرائضه بأنواع الحيل.

ولقد شهدت التوراة بعدم فطانتهم وأنهم من الأغبياء (١٧)، ولو
عرفوه لما حجروا عليه بعقولهم الفاسدة أن يأمر بالشىء فى وقت لمصلحة
ثم يزيل الأمر به فى وقت آخر لحصول المصلحة وتبدله بما هو خير منه
وينهى عنه ثم يبيحه فى وقت آخر لاختلاف الأوقات والأحوال فى
المصالح والمفاسد، كما هو مشاهد فى أحكامه القدريّة الكونية التى لا
يتم نظام العالم ولا مصلحته إلا بتبديلها واختلافها بحسب الأحوال
والأوقات والأماكن، فلو اعتمد طبيب الا يغير الأدوية والأغذية
بحسب اختلاف الزمان والأماكن والأحوال لأهلك الحرث والنسل وعد
من الجهال، فكيف يحجر على طبيب القلوب والأديان أن تتبدل
أحكامه بحسب اختلاف المصالح؟! (١٨) وهل ذلك إلا قدح فى حكمته
ورحمته وقدرته وملكه التام وتدبيره لخلفه؟

ومن جهلهم بمعبودهم ورسوله وأمره أنهم أمروا أن يدخلوا باب المدينة
التي فتحتها الله عليهم سجداً ويقولوا حطة، فدخلوا متواضعين لله سائلين
منه أن يحط عنهم خطاياهم، فدخلوا يزحفون على أستاههم (١٩)، بدل

(١٦) يشير الى قصة البقرة فى سورة البقرة.

(١٧) سفر التثنية الأصحاح الثانى والثلاثون الآية الثامنة والعشرون.

(١٨) أنظر كتابنا (لا نسخ فى القرآن) نشر دار الفكر العربى بمصر فى الفصل

الأول منه كل ما يتعلق بالنسخ عند اليهود السامريين واليهود العبرانيين وموقف النصارى من
التوراة.

(١٩) ليس المراد الزحف كما فهم المؤلف. وإنما المراد أنهم دخلوا مدينة القدس

السجود لله ، ويقولون : « هنطا سقمانا » أى حنطة سمراء ، فذلك
سجودهم وخشوعهم ، وهذا استغفارهم واستقالتهم من ذنوبهم .
ومن جهلهم وغباوتهم أن الله سبحانه أراهم من آيات قدرته وعظيم
سلطانه وصدق رسوله ما لا مزيد عليه ، ثم أنزل عليهم بعد ذلك كتابه
وعهد إليهم فيه عهده وأمرهم أن يأخذوه بقوة فيعبده بما فيه كما خلصهم
من عبودية فرعون والقبط فأبوا أن يقبلوا ذلك وامتنعوا منه ، فنتق الجبل
العظيم (٢٠) فوق رؤوسهم على قدرهم ، وقيل لهم إن لم تقبلوا أطبقته
عليكم فقبلوه من تحت الجبل .

قال ابن عباس : رفع الله الجبل فوق رؤوسهم وبعث ناراً من قبل
وجوههم ، وأتاهم البحر من تحتهم ، ونودوا إن لم تقبلوا أرضختكم بهذا ،
وأحرقكم بهذا ، وأغرقتكم بهذا ، فقبلوه ، وقالوا سمعنا وأطعنا ولولا الجبل
ما أطعناك ولما آمنوا بعد ذلك قالوا ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (٢١) .

ومن جهلهم أنهم شاهدوا الآيات ورأوا العجائب التى يؤمن على
بعضها البشر ثم قالوا بعد ذلك : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (٢٢)
وكان الله سبحانه قد أمر موسى أن ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ (٢٣)

- (أورشليم) وبدل أن يقولوا للناس حسنا . ظلموا وفسقوا فعنى سجدا : الخضوع لله ونشر
شريعته بين الناس . لان الله أنزل التوراة والانجيل هدى للناس . أنهم بدل ذلك قصرُوا
الشرية عليهم ومنعوا الحق عن الناس .

(٢٠) نتق الجبل فى سورة الاعراف الآية المائة وواحد وسبعون ومشار اليه فى سفر
الخروج .

(٢١) سورة البقرة الآية الثالثة والتسعون .

(٢٢) سورة البقرة — الآية ٥٥ .

(٢٣) سورة الاعراف الآية ١٥٥ وهذا مشار اليه فى سفر الخروج . وفى هذا الموضع
تختلف التوراة السامرية عن التوراة العبرانية ففى السامرية فى سفر الخروج وعدهم الله بنبى
من بنى اسماعيل مثل موسى له يسمعون ويطيعون وهذا النص لا يوجد فى العبرانية الا فى
سفر التثنية فقط .

ليقاته ، فاخترهم موسى وذهب بهم إلى الجبل ، فلما دنى موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل ، وقال للقوم ادنوا ودنا القوم حتى إذا دخلوا فى الحجاب وقعوا سجداً ، فسمعوا الرب تعالى وهو يكلم موسى ويأمره وينهاه ويعهد إليه ، فلما انكشف الغمام قالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) .

ومن جهلهم أن هارون لما مات ودفنه موسى قالت بنو إسرائيل لموسى : أنت قتلتَه حسدته على خلقه ولينه ومحبة بنى إسرائيل له ، قال فاخترأوا سبعين رجلاً فوقفوا على قبر هارون ، فقال موسى يا هارون أقتلت أم مت ؟ قال : بل مت وما قتلتى أحد (٢٤) .

فحسبك من جهالة أمة وجفائهم أنهم اتهموا نبيهم ونسبوه إلى قتل أخيه فقال موسى ما قتلتَه فلم يصدقوه حتى أسمعهم كلامه وبراءة أخيه مما رموه به .

ومن جهلهم أن الله سبحانه شبيههم فى حملهم التوراة وعدم الفقه فيها والعمل بها بالحمار ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (٢٥) ، وفى هذا التشبيه من الغباء على جهالتهم وجوه متعددة :

(منها) أن الحمار من أبلد الحيوانات التى يضرب بها المثل فى البلادة .

(ومنها) أنه - لو حمل غير الأسفار من طعام أو علف أو ماء لكان له به شعور بخلاف الأسفار .

(ومنها) أنهم حملوها لا لأنهم حملوها طوعاً وإختياراً بل كانوا كالمكلفين لما حملوه لم يرفعوا به رأساً .

(ومنها) أنهم حيث حملوها تكليفاً وقهراً لم يرضوا بها ولم يحملوها رضا

(٢٤) لا يوجد فى الأسفار الخمسة .

(٢٥) سورة الجمعة الآية الخامسة .

واختيارا وقد علموا أنهم لا بد لهم منها، وأنهم إن حلوها اختيارا كانت لهم العاقبة فى الدنيا والآخرة (٢٦).

(ومنها) أنها مشتملة على مصالح معاشهم ومعادهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة فأعرضهم عن التزام ما فيه سعادتهم وفلاحهم إلى ضده من غاية الجهل والغباوة وعدم الفطنة .

ومن جهلهم وقلة معرفتهم أنهم طلبوا عوض البن والسلوى (٢٧) اللذين هما أطيب الأطعمة وأنفعها وأوفقها للغذاء الصالح : البقل والقثاء والثوم

(٢٧) المن : « شئ دقيق مثل قشور. دقيق كالجليد على الأرض » (خروج ١٦ : ١٤) وفى موضع آخر انه (كبذر الكذبيرة أبيض . وطعمه كرقاق بعسل) (خروج ١٦ : ٣١) والسلوى طائر للذيد .

(٢٦) قول المؤلف (كانت لهم العاقبة فى الدنيا والآخرة) يدل على أنه يفهم أن النص على يوم القيامة مذكور فى التوراة ونقول : انه فى التوراة السامرية النص صريح على يوم القيامة فى الأسفار الخمسة وهو يحتل اما الجزء فى الدنيا واما الجزء فى الآخرة فى التوراة العبرانية . فى هذا النص : (ليس ذلك مكنوزا عندى . نختوما عليه فى خزانتي ؟ لى النعمة والجزاء فى وقت تزل اقدامهم) (تثنية ٣٢ : ٣٤-٣٥) وعلماء اليهود الصدوقيين سألوا المسيح عن يوم القيامة وطلبوا منه الدليل من الاسفار الخمسة العبرانية لانهم يعلمون ان النص غير واضح فلجأ المسيح الى الاستنباط من آيات فى الاسفار الخمسة العبرانية يقول متى فى انجيله بعد ذكر السؤال مانصه : (وأما من جهة قيامة الاموات . افا قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل : أنا اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب ؟ ليس الله اله أموات بل اله أحياء) (متى ٢٢ : ٣١-٣٢) يشير المسيح الى ان الله تعالى فى طور سيناء خاطب موسى وقال له أنا اله أبوك اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب . انه حيث تكلم الله الحى عن ابراهيم واسحاق ويعقوب فاذن هم أحياء بعد موتهم . والقادر على حفظهم أحياء قادر على بعثهم وأظهرهم فى الحياة الاخرى واذا ثبت ذلك تثبت القيامة . على أنه يوجد فى التلمود تصريحات للربانيين والأخبار تفيد امكان البعث ووقوعه . ويوجد أيضا أقوال لعلماء اليهود العبرانيين تثبت البعث منهم ابن كموته فى كتابه تنقيح الابحاث فى الملل الثلاث . وابن ميمون كما بينا فى تقديمنا لكتاب (يقظة اولى الاعتبار فيما ورد فى ذكر النار وأصحاب النار) .

والعدس والبصل (٢٨)، ومن رضى باستبدال هذه الأغذية عوضاً عن
المن والسلوى لم يكثر عليه أن يستبدل الكفر بالإيمان والضلالة بالهدى
والغضب بالرضا والعقوبة بالرحمة، وهذه حال من لم يعرف ربه ولا
كتابه ولا رسوله ولا نفسه .

وأما نقضهم ميثاقهم، وتبديلهم أحكام التوراة، وتحريفهم الكلم عن
واضعه، وأكلهم الربا وقد نهوا عنه، وأكلهم الرشا، واعتدائهم فى
السبت حتى مسخوا قردة، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وتكذيبهم عيسى
ابن مريم رسول الله، ورميهم له ولأمه بالعظام، وحرصهم على قتله،
وتفردهم دون الأمم بالخبث والبهت، وشدة تكالبتهم على الدنيا وحرصهم
عليها، وقسوة قلوبهم، وحسدهم، وكثرة سخرهم: فإليه النهاية .

وهذا وأضعافه من الجهل وفساد العقل قليل على من كذب رسل
الله وجاهر بمعاداته ومعاداة ملائكته وأنبيائه وأهل ولايته، فأى شىء
عرف من لم يعرف الله ورسله؟

وأى حقيقة أدرك من فاتته هذه الحقيقة؟

وأى علم أو عمل حصل لمن فاتته العلم بالله، والعمل بمرضاته،
ومعرفة الطريق الموصلة إليه، ومآله بعد الوصول إليه .

فأهل الأرض كلهم فى ظلمات الجهل والغى إلا من أشرق عليه نور
النبوة، كما فى المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمر عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله خلق خلقه فى ظلمة وألقى عليهم
من نوره، على علم الله» .

ولذلك بعث الله رسله ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، فن
أجابهم خرج إلى الفضاء والنور والضياء، ومن لم يجيبهم بقى فى الضيق
والظلمة التى خلق فيها، وهى: ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة

(٢٨) الأصحاح الحادى عشر من سفر العدد الآية الخامسة .

الهُوى، وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به فى معاشها ومعادها. فهذه جملتها ظلمات خلق فيها العبد، فبعث الله رسله لإخراجه منها إلى العلم والمعرفة والإيمان والهدى الذى لا سعادة للنفس بدونه البتة فن أخطأه هذا النور، أخطأه حظه وكمالهِ وسعادته وصار يتقلب فى ظلمات بعضها فوق بعض، فدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، وقوله ظلمة، وعمله ظلمة، وقصده ظلمة، وهو متخبط فى ظلمات طبعه وهواه وجهله، وقلبه مظلم، ووجهه مظلم، لأنه يبقى على الظلمة الأصلية، ولا يناسبه من الأقوال والأعمال والإرادات والعقائد إلا ظلماتها. فلو أشرق له شىء من نور النبوة لكان بمنزلة إشراق الشمس على بصائر الخفاش..

بصائر أغشاها النهار بضوئه - ولا عمها قطع من الليل مظلم
يكاد نور النبوة يعمى تلك البصائر ويخطفها لشدة وضعفها، فتهرب إلى الظلمات لموافقتها لها وملاءمتها إياها.
والمؤمن عمله نور، وقوله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، وقصده نور، فهو يتقلب فى النور فى جميع أحواله.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِهَا فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٤).

ثم ذكر حال الكفار وأعمالهم وتقلبهم فى الظلمات فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَمِثْلِهِمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ

عِنْدَهُ فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ ۖ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظَلُمْتُ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ
فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ ۚ سَحَابٌ ظَلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ
لَّا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٣٠﴾ .

والحمد لله أولا وآخر وباطنا وظاهرا ، وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم
الدين .

فهرس كتاب هداية الحيارى

الموضوع	الصفحة
ترجمة المؤلف	٥
مقدمة المحقق	٩
مقدمة المؤلف للكتاب	٢٣
التهديد لمن حاد عن الإسلام	٣٢
الأمم قبل البعثة	٣٣
من حقوق الله رد الطاعنين على الرسول صلى الله عليه وسلم	٣٨
سبب تأليف الكتاب مسائل (اسئلة) أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين	٣٨
السؤال الأول	٤١
ليست الرياسة هى المانع الوحيد لأهل الكتاب عن قبول الإسلام	٤١
الأسباب المانعة من قبول الحق	٤٩
اعتراف أبى جهل بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم	٥٠
علماء اليهود يعرفون النبى كما يعرفون أبناءهم	٥١
لا غرابة فى جحد النصارى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقد سبوا الله	٥٦
ألوان من سخافة النصارى فى الصليب	٥٦
صلاة النصارى استهزاء بالمعبود	٥٩
أكثر النصارى مقلدون	٦٠

السؤال الثاني	٦٣
من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من رؤساء النصارى	٦٣
السؤال الثالث	٩٥
المذكور فى كتبهم غالباً نعتة صلى الله عليه وسلم	
وهو أبلغ من الاسم	٩٥
اثنا عشر وجهاً تدل على أنه صلى الله عليه وسلم	
مذكور فى الكتب المنزلة	١٠٤
تخالف نسخ التوراة والانجيل وتناقضها — الأناجيل تواريخ	١٠٦
اثنا عشر وجهاً تدل على أنه صلى الله عليه وسلم المذكور فى الكتب	
جمعهم بين التحريف والكتمان لنعت الرسول صلى الله عليه وسلم	١٠٩
نصوص الكتب المتقدمة فى البشارة به وصفته ونعت أمتة صلى الله	
عليه وسلم، وإيضاح دلالتها ومطابقتها للشريعة والواقع	١١٥
النصارى آمنوا بمسيح لا وجود له، واليهود ينتظرون المسيح الدجال	١٤١
ما عوض به إبليس والنصارى وكل مستكبر عن حق	١٤٢
مناظرة المؤلف لأحد كبار اليهود	١٧٩
حديث سهل فولى عثمة النصرانى عن نعت رسول الله صلى الله عليه	
وسلم فى الانجيل	١٩١
حديث وهب عن الزبور	١٩٢
خبر الحجر الذى وجد فى قبر دانيال	١٩٣
خبر عن هرقل أيضاً	٢٠١
الطرق الأربعة الدالة على صحة البشارة به صلى الله عليه وسلم	
ودفع اليهود والنصارى لها استكباراً	٢٠٥
وقوع التحريف فى التوراة، وفريتهم على الأنبياء — سبعون كاهناً	
أجمعت على تبديل (١٣) حرفاً من التوراة	٢٠٦
سبب تبديل التوراة	٢٠٦

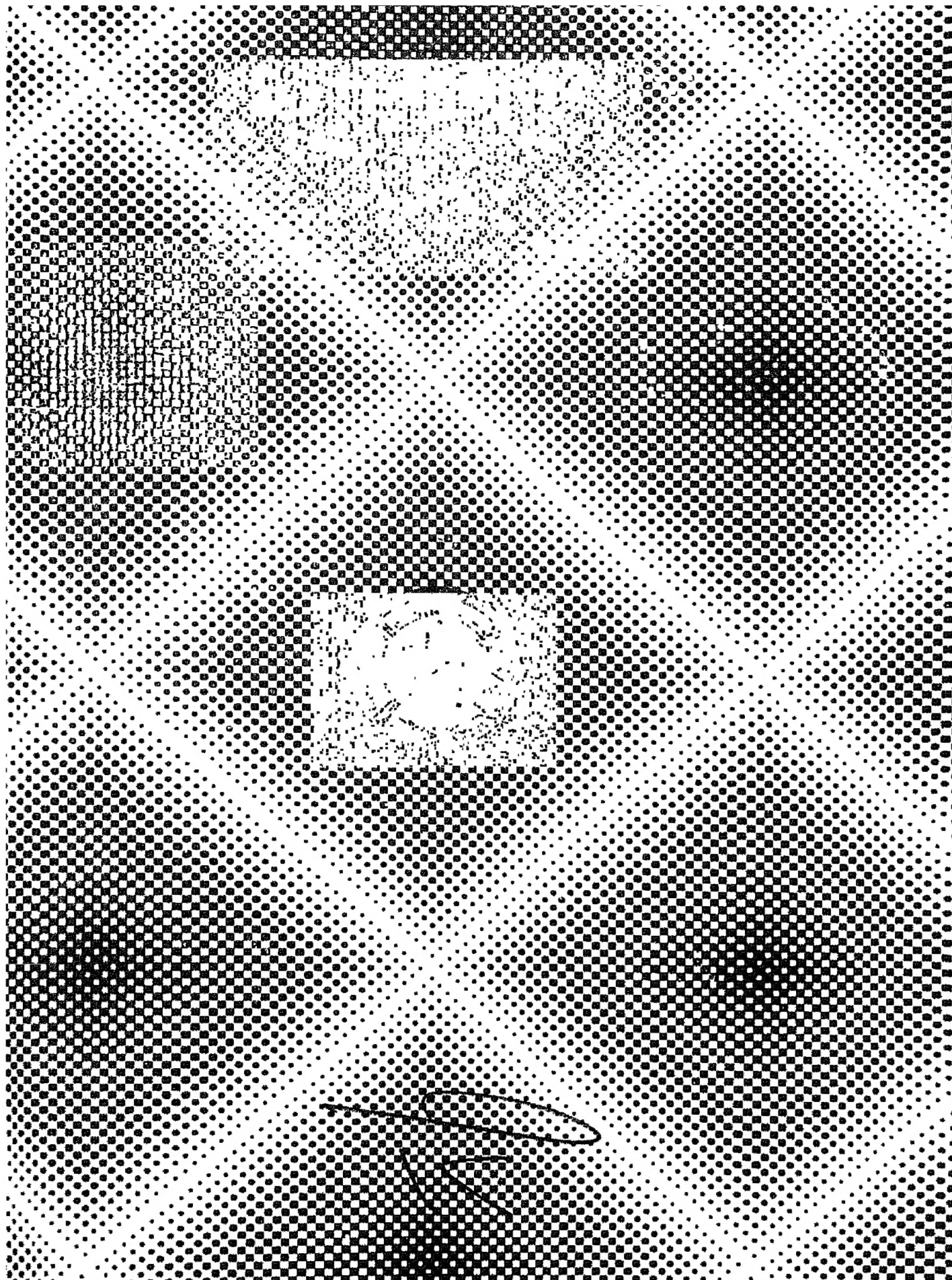
٢١٤	اليهود كذبوا مسيح الهدى ، وينتظرون مسيح الضلال — المسيح وأصحابه يقتلونهم شر قتلة
٢١٨	المتناقضات فى الانجيل
٢٢١	تواطؤ اليهود والنصارى على تغيير بعض النسخ غير ممتنع — من مثالب النصارى
٢٢٩	السؤال الرابع
٢٢٦	موقف عبد الله بن سلام من قومه حين أسلم
٢٢٩	السؤال الخامس
٢٣٠	لماذا أسلم الحبر عيد الله بن سلام
٢٣٣	السؤال السادس
٢٣٦	المسلمون فوق كل الأمم فى الأعمال والمعارف النافعة الصحابة أعلم الناس وأفضلهم ، علماء الأمة تلاميذهم ، من أعلام الصحابة والأئمة
٢٤٨	هنيئاً لأمة الغضب والضلال بعلومهم وبعلمائهم
٢٥٢	السؤال السابع
٢٥٢	معاصى الأمم لا تقدر فى الرسل ولا فى رسالتهم
٢٥٢	ذنوب الموحدين من المسلمين فى جنب عظام اليهود والنصارى
٢٥٢	كتفلة فى بحر
٢٥٣	من فضائح اليهود وقبائحهم المنكرة
٢٥٧	دين اليهود
٢٥٧	افتراق اليهود ، واختلافهم كتاب علم الذباجة
٢٦٢	حيل حخاميمهم الدينية
٣٨١		

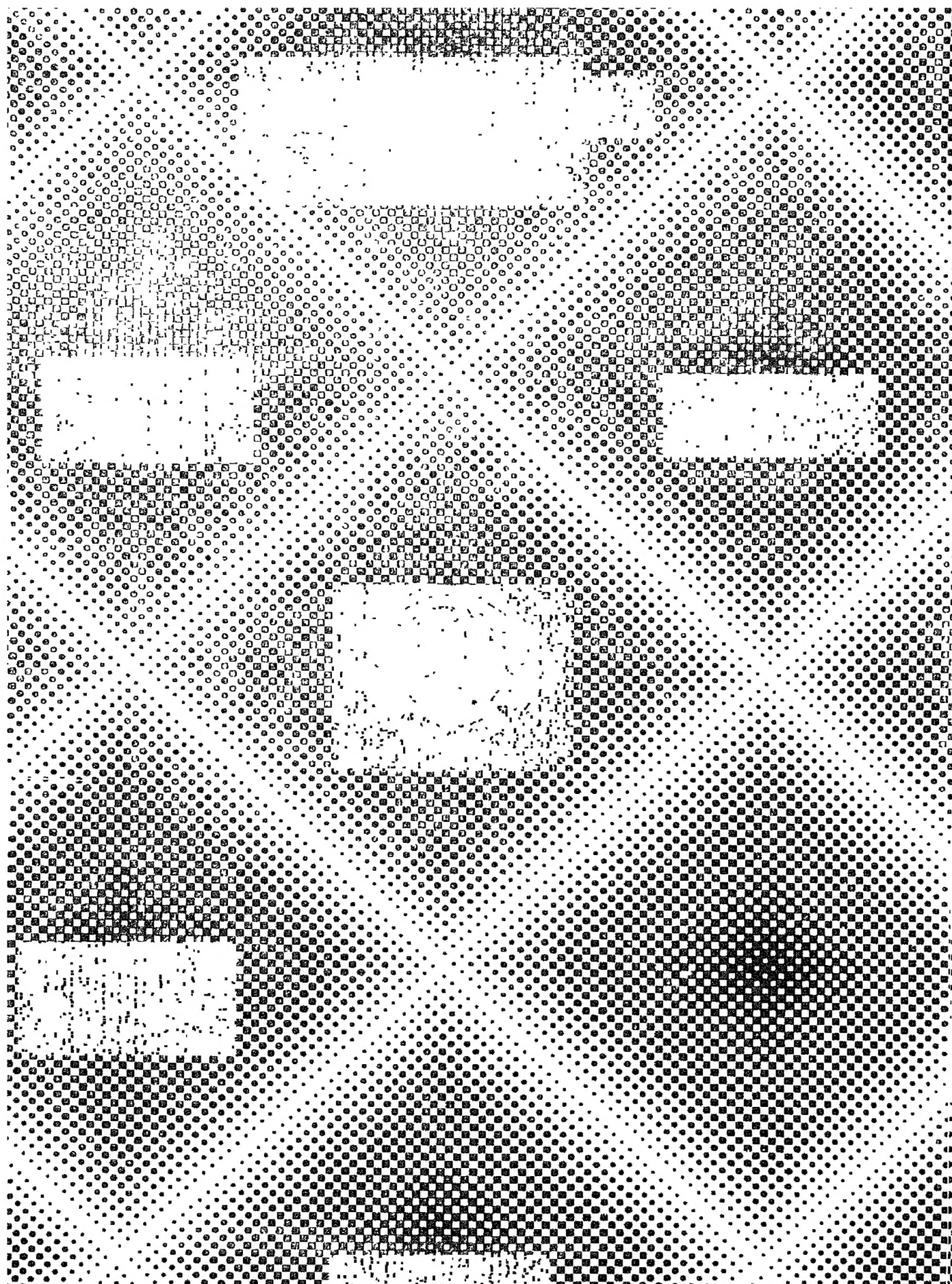
٢٦٤ من شريعتهم نكاح امرأة الأخ أو العار
٢٦٥ ما لاقاه إخوان القردة من الإذلال والصغار من مختلف الأمم والدول، وكان سبب طمس معالم دينهم وآثارهم
٢٦٦ صلاتهم دعاء على الأمم وإفك على الله تعالى وتقديس
٢٦٩ دين النصارى
٢٦٩ أساس دين النصارى قائم على شتم الله، والشرك به—
٢٦٩ خرافة الفداء
٢٧٠ مقالة أشباه الحمير فى مريم وابنها
٢٧٣ النصارى مخالفون للمسيح فى كل فروع دينهم أيضاً: فى الطهارة والصلاة والصوم وأكل الخنزير وتعليق الصليب و
٢٧٥ الراهب والقسيس يغفر ذنوبهم!! ويطيّب لهم نساءهم!!!
٢٧٥ المسيح لم يفوض الأساقفة والبتاركة فى التشريع— مناقضة
٢٧٥ النصارى لليهود
٢٧٨ أمانة المثلثة أكبر خيانة
٢٨٣ المسيح يكذب دعوى ربوبيته وإلهيته ويصرح بأنه نبي بشر
٢٨٨ ما يراد بلفظ «الأب» و«الرب» و«إله» و«السيد» فى كتبهم التى اشتبهت عليهم. أسئلة على إلهية المسيح تنتظر
٣٠٠ الجواب من عباد الصليب
٣١٠ وباء جلولهم أصاب بعض مبتدعة الصوفية وعباد الجهمية
٣١٠ المثلثة خالفت أصول الأنبياء فى تقديس الله ووصفه بصفات الكمال
٣١٣ اعترفوا بالجميل
٣١٣ لو لم يظهر محمد بن عبد المطلب لبطلت نبوة سائر الأنبياء
٣١٣ بنوا إسرائيل قبل موسى وبعده

لا يمكن للنصارى أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولا نبوة إذا كفروا	
بمحمد صلى الله عليه وسلم	٣١٦
اليهود أساتذة النصارى فى قصة الصلب وأخبار المسيح	٣١٧
أخبار اليهود والنصارى عن عيسى عليه السلام ونسبه	
لا يوثق بها	٣١٩
النصارى أشد الأمم افتراقاً فى دينهم	٣٢١
ما اتفقت عليه فرقهم المشهورة	٣٢١
اختلاف فرق النصارى المشهورة فى شخصية المسيح	٣٢٢
الأرثوذكس	٣٢٢
الكاثوليك	٣٢٣
النساطرة	٣٢٤
مذهب آريوس، وكان النجاشى عليه	٣٢٤
محمد صلى الله عليه وسلم برأ المسيح وأمه من افتراء أعدائهما	
وأنزله المنزلة العالية، ونزه الله عن افتراء المثلثة عليه	٣٢٦
— المجامع النصرانية	٣٢٩
النصارى تلقوا أصول دينهم عن أصحاب المجامع — (١٠) مجامع	
العلماء النصارى يكفر فيها بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً —	
قصة المسيح قبل بعثه وبعده إلى أن رفع وما لاقى أتباعه من	
اليهود والقياصرة	٣٢٩
أول من ابتدع اللاهوت والناسوت فى شأن المسيح هو بولس	٣٣٥
المجمع الأول وكان فى عهد القيصر الرومانى قسطنطين	٣٣٥
أول من ابتدع شارة الصليب قسطنطين	٣٣٨
المجمع الثانى، وفيه وضعوا الأمانة	٣٤٠
المجمع الثالث — مجمع الروح القدس	٣٤٧
المجمع الرابع — مجمع مريم	٣٤٨

٣٤٩	المجمع الخامس - مجمع أوطافى (أوطيسوس)
٣٥٠	المجمع السادس - مجمع خيلقيدونية
٣٥١	المجمع السابع
٣٥٣	المجمع الثامن
٣٥٥	المجمع التاسع
٣٥٦	المجمع العاشر
		لو عرض دين النصرانية على قوم لم يعرفوا لهم آلهاً
٣٥٦	

٣٥٩	نور النبوة
		يستحيل الإيمان بنبي من الأنبياء مع جحد نبوة محمد
٣٥٩	صلى الله عليه وسلم
٣٦٠	معجزات محمد صلى الله عليه وسلم أعظم وأدل
٣٦٤	إنكار النبوات معناه جحد الخالق والجهل بالحقائق
		ما وقع للفلاسفة والمجوس والنصارى واليهود من جحد الخالق
٣٦٥	والجهل بالحقائق
٣٦٩	غباوة اليهود ونقضهم للعهود وتحريفهم وحسد هم هو الغاية
		اليهود قتلة الأنبياء وأكلة الربا والمنفردون بغاية
٣٧١	الخبث والبهت
		إشراق الأرض بالنبوة وظلمتها بفقدتها - المعرض عن النبوة يتقلب
٣٧٦	فى ظلمات والمؤمن فى أنوار







Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com